

تقريظ

استُخدم كتاب مارغريت نايدل، فهم العرب، لمدة 15 عاماً من قبل عدد لا يُحصى من الأميركيين الذين كانوا يستعدون للعمل أو الحياة في العالم العربي. فهو مصدر فريد من نوعه؛ ولا مثيل له. وقد تم تأليفه بذكاء وجدية ويعكس فهماً ثقافياً عميقاً ويقدم أيضاً معلومات أساسية حول المنطقة. ويشكل الملحق الجديد الذي أضيف إليه، والذي يحمل عنوان «المسلمون العرب في الغرب» ابتكاراً رئيساً في الطبعة الثالثة. أما الرسالة الشخصية للمؤلفة حول أحداث 11 أيلول المأساوية فتقتضي القراءة من قبل جميع من يتخذون القرارات أو يكتبون عن العالم العربي.

ماكس ل. كروس

كلية الاستخبارات العسكرية المشتركة

هذا كتاب مهم وآسر، وخاصة للأميركيين في الوقت الحاسم في العلاقة بين العرب وأميركا. تقدم الدكتورة نايدل دليلاً في وقته، سهلاً وآسراً، حول قيم العالم العربي وثقافته، يستند إلى سنواتها الكثيرة التي قضتها في العمل والحياة هناك وعلى تدريبها كمتخصصة محترفة في علم اللغة. فهذا الكتاب الصريح والممتع يرصد تباينات وخصائص هذه الحضارة العظيمة ويحضرها إلى الحياة بحيوية للقارئ الغربي.

كارين رايدنغ

رئيسة قسم اللغة العربية في جامعة جورج تاون

هل سبق وتساءلت: بماذا يفكر العرب؟ يقدم كتاب فهم العرب تحليلاً ومنظوراً مطلوبين جداً. فهذا الكتاب يغطي ما يهمله الإعلام عادة وما هو ضروري لفهم ما يجري. لقد اعتمدنا على هذا المرجع المليء بالمعلومات الثقافية لكثير من الأعوام. ولم أجد كتاباً آخر غيره مفيداً في الإنكليزية.

العقيد تيرينس م. بوتر

الأكاديمية العسكرية الأميركية

اعتمد اختصاصيو الشرق الأوسط لوقت طويل على نسخهم المهترئة من الاستعمال من كتاب فهم العرب من أجل فهم السلوك الاجتماعي العربي. فبعد أحداث أيلول، صدرت الطبعة الثالثة من هذا الكتاب في حينها تماماً. وقد تعرف جيل كامل من الدبلوماسيين الأميركيين على الموضوع بفضل السيدة نايدل ... في السبعينيات والثمانينيات. ففي هذا الدليل الموجز والعملي، تقدم ثروتها من التجربة البحثية والعملية، وهي تفعل ذلك بموضوعية تفتقر إليها غالباً المسوحات الأخرى للموضوع.

السفير ديفد ل. ماك، نائب رئيس

معهد الشرق الأوسط، واشنطن

جسدت أحداث الحادي عشر من أيلول، بين أمور أخرى، جهلنا الكبير كأيركيين بالعرب والإسلام. يساعدنا هذا الكتاب على ملء هذا الفراغ من خلال استقصاء المفهومات المغلوطة التي نعتنقها حول بعضنا بعضاً. في هذا الكتاب... تستقصي نايدل كلاً من الخلفية

والسياق من أجل فهمنا المتبادل لبعضنا بعضاً. وهي تناقش المعتقدات والقيم، العلاقات بين الرجال والنساء، آداب السلوك والبنية الاجتماعية، أساليب التواصل، الدين، اللغة العربية، والتشابهات والاختلافات بين الدول العربية المختلفة. في النهاية، لا نتعرف على أساس سوء الفهم فحسب بل أيضاً على الحاجة إلى المزيد من التواصل والمعلومات.

ألفينيو ي. فانتيني، رئيس، سياتار الدولية

مدرسة التدريب الدولية، براتلبورو، فيرمونت

فهم العرب دليل الأزمنة الحديثة

مارغريت ك. نايدل

نقله إلى العربية

أسامة إسبر





المحتويات

13	رسالة من المؤلفة
23	خريطة العالم العربي
25	مقدمة
35	مقدمة: نماذج التغيير
35	التحديث
43	تقارير التنمية العربية
44	تأثيرات التغيير
46	وجهة النظر الإسلامية
50	مواجهة المستقبل
53	1- المعتقدات والقيم
56	قيم عربية أساسية
56	مواقف دينية عربية أساسية
57	تصورات ذاتية أساسية
59	2- الأصدقاء والغريباء
59	مفهوم الصداقة
60	أعمال معروف متبادلة

63	مقدمات
74	نماذج الزيارة
67	صداقات العمل
68	علاقات المكتب
70	النقد
71	الوسطاء
73	السلوكيات الخاصة والعامه
75	3- العاطفة والمنطق
75	الموضوعية والذاتية
76	القضاء والقدر
77	ما الواقع؟
80	البعد الإنساني
81	الإقناع
85	4- المسألة الشخصية
85	المسائل الشخصية
86	موضوعات حساسة
88	المسافة الاجتماعية
91	الإيماءات
93	الأسماء

99	5- الرجال والنساء
99	التفاعل الاجتماعي
102	إظهار الحميمية
102	وضع المرأة
104	حق المرأة بالاقتراع
105	النساء في مواقع حكومية
107	سلطة المرأة في العائلة
108	الحجاب
110	تعدد الزوجات
112	الأدوار التقليدية للجنسين
113	النساء الغربيات
115	6- الشكليات الاجتماعية وآداب السلوك
115	حسن الضيافة
118	الوقت والمواعيد
119	مناقشة العمل
121	تقاسم الوجبات
125	التدخين
126	قواعد آداب السلوك

- 131 ————— 7- البنية الاجتماعية
- 131 ————— الطبقات الاجتماعية
- 132 ————— صورة الطبقة العليا وسلوكها
- 135 ————— التعامل مع الخدم
- 137 ————— 8- دور الأسرة
- 137 ————— الولاء للأسرة والالتزام
- 139 ————— العلاقات بين أعضاء الأسرة
- 142 ————— الزواج
- 144 ————— الطلاق
- 146 ————— ممارسات تربية الطفل
- 148 ————— التحدث عن أسرتك
- 151 ————— 9- الدين والمجتمع
- 151 ————— الاندماج الديني
- 151 ————— الممارسات الدينية
- 153 ————— دين الإسلام
- 160 ————— القرآن والكتاب المقدس
- 164 ————— نصوص من القرآن الكريم

- 167 ————— 10- التواصل مع العرب
- 168 ————— تنوعات العربية
- 169 ————— تفوق العربية
- 171 ————— هيبة اللغة العربية الكلاسيكية
- 173 ————— فصاحة الكلام
- 174 ————— التكلف في الكلام
- 176 ————— قوة الكلمات
- 178 ————— التعبيرات الملطّفة
- 179 ————— الكلمة المكتوبة
- 180 ————— أمثال
- 183 ————— 11- الأصولية الإسلامية (التطرف الإسلامي)
- 183 ————— تعريفات وأرقام
- 189 ————— جهاد
- 190 ————— الإسلاميون المتطرفون والمجتمع الإسلامي
- 193 ————— مسلمو الاتجاه السائد
- 197 ————— 12- العداء لأميركا
- 199 ————— أسباب الغضب العرب
- 199 ————— وجهات نظر عربية إسلامية وأخرى غير عربية
- 203 ————— بعض وجهات النظر الأميركية

- 209 وجهات النظر العربية الإسلامية في الثقافة الأميركية-
210 وجهات نظر حول الديمقراطية على النمط الغربي —
216 الإسلام —————
217 التعليقات المضادة للإسلام —————
218 تعليقات تدافع عن الإسلام —————
221 **13- المسلمون في الغرب** —————
221 العرب في الولايات المتحدة —————
223 المسلمون في الولايات المتحدة وكندا —————
225 المسلمون في أوروبا —————
230 صورة العرب والمسلمين —————
231 في أميركا —————
232 في أوروبا وأستراليا —————
243 خاتمة —————
247 **14- البلدان العربية: التشابهات والفروق** —————
249 المغرب العربي —————
250 المغرب —————
254 الجزائر —————
257 تونس —————

260	ليبيا
263	شمال شرق إفريقيا
263	مصر
268	السودان
272	المشرق
272	لبنان
277	سوريا
281	الأردن
284	العراق
288	شبه الجزيرة العربية
289	السعودية
298	اليمن
303	دول الخليج العربي
303	الكويت
307	البحرين
309	قطر
311	الإمارات العربية المتحدة
314	عمان

317	خاتمة
321	الملحق: اللغة العربية
322	اللهجات العامية العربية
324	المواقف من اللهجات
325	بنية العربية
328	الكتابة العربية
330	فن الخط كشكل فني
330	التحيات الاجتماعية
337	الهوامش
365	المراجع



رسالة من المؤلفة

في ساعة متأخرة من صباح 11 أيلول عام 2001، غادرت حرم جامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة سيراً على الأقدام، وعبرت جسر (كي) إلى فرجينيا، فرأيت أن كثيراً من الأبنية قد أُخْلِيتْ، وتوقفت المواصلات العامة، وأغلقت جميع الطرق التي تعبر مبنى وزارة الدفاع (البنتاغون). عثرت أخيراً على سيارة أجرة، وأكد لي السائق أنه سيساعدني على الوصول إلى المنزل في كريستال سيتي من خلال الدوران حول منطقة البنتاغون ثم الانطلاق إلى فرجينيا. وقد فعل ذلك، على نحو متآلق، عابراً شوارع سكنية صغيرة، إلى أن صرت قريبة بما يكفي كي أسير إلى منزلي. كان باكستانياً، وبالطبع، مسلماً. كنت أبكي. لم يرد أن يأخذ نقوداً. قال إنه سيفعل ذلك طول النهار كخدمة عامة. لكنني أعطيته النقود وقلتُ له إن كان لا يريد أن يأخذها فإنه يستطيع أن يتبرّع بها.

قادت صدمة 11 أيلول جميع الأميركيين إلى لحظة وضوح: نحن أمة واحدة. أمل أن يتواصل هذا الوضوح ويشجّعنا على نشدان فهم أكبر للثقافات الأخرى. فأميركا جزء من العالم. ونحن جميعاً أسرة واحدة الآن.

أربكت الهجمات الإرهابية على برج التجارة العالمي والبنتاغون في

11 أيلول ملايين الأميركيين وغيرهم في أنحاء العالم وصدمتهم وأغضبتهم. من يستطيع ارتكاب عمل وحشي كهذا؟ وحين انجلى الدخان، تبين أن المعتدي عربي سعودي يدعى أسامة بن لادن، يقود شبكة تُدعى القاعدة، غير معروفة في السابق للجمهور العام، ومعظم أعضائها ومساعدتها المعروفين عرب وجميعهم مسلمون.

سأل الناس في معظم أنحاء العالم: لماذا؟ لماذا الولايات المتحدة؟ ما الدافع الكامن وراء فعل كهذا؟ وقدّم الإعلام، المندفع دوماً إلى تقديم أجوبة سريعة، نظريات متنوعة بدرجات مختلفة من المصادقية. استند بعضها إلى مفهومات شعبية مغلوطة حول المسلمين، ومن أبرزها:

- يستند هذا الصراع إلى الثقافة والدين: نظرية «صراع» الحضارات. صُوِّرت جماعة بن لادن كممثلة لتفكير غالبية المسلمين.
- إن المهاجمين، وآخرين ممن «يكرهون أميركا»، يحسدونها على طريقة حياتها. يريدون تغيير القيم الأميركية والقضاء على الحريات الأميركية.
- دفعت المعتدين رؤى المكافآت في الجنة لأن هذا كان جهاداً بالنسبة لهم (ما يدعى بالحرب المقدسة) ضد الكافرين.

تفتقر جميع هذه الآراء إلى المصادقية. ولا تتسجم مع الحقائق. فهي تخلط بين دوافع هذه الجماعة الإرهابية المحددة وبين السخط السائد في العالم الإسلامي. ولكن جماعة القاعدة لم تأت من فراغ: إنها فئة ضالة، دينية، نمت في بيئة شرق أوسطية*. وبالرغم من أن

هذا العمل الإرهابي ناجم عن مظالم سياسية، فإنه كان تعبيراً عن غضب الجماعة، عبر العنف الإرهابي، من أجل ذاته.

إن مقولات على غرار «يكرهون الحرية الأميركية»، و«يريدون القضاء على أميركا»، لا تصمد طويلاً: فهي غامضة بنحو بغض. ومع مرور الزمن، بدأ الناس بتحديد الأسباب المقنعة أكثر. علينا أن نحفر إلى أعماق، وينبغي أن يكون هناك أسباب أفضل إلا إذا كان الإرهابيون كلهم أشراراً ومجانين. وإذا كانت المقولات الثلاث التي ذُكرت أعلاه صحيحة فإنها ستقودنا أولاً إلى اليأس، ثم إلى التحدي، ثم ستعود بنا في النهاية إلى اليأس.

ربما تتطوي الأسباب على أمور لا نفهمها أو نجهلها. على سبيل المثال، إن الاستياء من الولايات المتحدة نشأ من سياق لا تعرفه إلا قلة من الأميركيين. فالاستياء ليس بنحو رئيس من الثروة الأميركية أو القوة. إن الناس في الشرق الأوسط غاضبون من رؤية أميركا تستخدم ثروتها وقوتها حين تتعامل مع بلدان وثقافات أخرى.

* نشأت القاعدة من نسخة بيوريتانية عن الإسلام تُدعى الوهابية، والمتبعة رسمياً في المملكة العربية السعودية فحسب. وكانت التأويل السائد للإسلام بين جماعة الطالبان هو التأويل الوهابي. وتمنع الوهابية المسارح والكنائس أو النقش على القبور. ولا تسمح باستيراد الكحول أو لحم الخنزير. المنشورات تخضع للرقابة. والمسؤولون الذين تعينهم الحكومة يفرضون القانون الذي يفرض على جميع المؤسسات التجارية أن تُغلق في أثناء وقت الصلاة. يفرض الوهابيون الحجاب على النساء. ولا توجد هذه القيود إلا في السعودية. تتحول التصورات الذاتية إلى حقيقة لدى الناس الذين يحملونها، والمصطلح البديل للوهابي هو السلفي.

ويمكن أن يسيء الذين يفتقرون إلى تجربة التقاطع الثقافي فهم المواقف والسلوكيات التي يواجهونها بسهولة. ومن المعروف أن الأميركيين يجهلون الشرق الأوسط. وبدوره، فإن الفرد الشرق الأوسطي العادي يمكن أن يكون مهتماً كثيراً بالسياسات الأميركية ولكنه لا يعرف سوى القليل عن المجتمعات الغربية. فكل جانب لديه مفهومات مغلوطة ضخمة عن الآخر.

اللغة عائق كبير. وإذا قبلنا الفرضية القائلة بأن جميع البشر يعبرون عن أنفسهم بدقة أكبر وبصراحة في لغتهم، فإن هذا سيدفعنا إلى التشكيك بالمقولات التي تُنقل من المحادثات مع الأجانب، والتي تنقل عبر الإنكليزية أو لغات أخرى. ولسوء الحظ، فإن كثيراً من خبراء الشرق الأوسط، والصحفيين الذين يكتبون عنه، يجهلون اللغات المحلية (تخيلوا خبيراً بأميركا لا يتحدث الإنكليزية). وهكذا فإنهم يمتلكون مدخلاً محدوداً جداً إلى المعلومات، ومن المحتمل أنهم انجذبوا إلى أشخاص يمكن أن يتحدثوا معهم بسهولة، أشخاص سيئون أحياناً تمثيل تفكير السكان العاميين.

هناك حجج كثيرة يمكن طرحها على الجانبين، ولكن هناك أمراً واحداً مؤكداً وهو أن الحاجز اللغوي مسؤول عن كثير من سوء الفهم. وفي الأعوام الأربعين التي أصغيت فيها إلى المناقشات السياسية في اللغة العربية، بين العرب الذين كانوا يتحدثون إلى بعضهم وليس إليّ، لم أسمع أبداً أي امتعاض من أي شيء أميركي سوى السياسة الخارجية؛ فالشرق أوسطيون يهتمون بعامة بالأنشطة الأميركية التي

تؤثر سلباً على حيواتهم فحسب. فكّروا بالشروح التي قدمها قادة الإرهابيين وآخرون ربطناهم بالحركات الإرهابية. ينبغي ألا نتجاهل ما كانوا يقولونه؛ ينبغي أن نحاول فهم تصريحاتهم، معترفين أن هذا لا يقتضي الاتفاق معهم.

● ابن لادن: «ينتهبون أرضنا ويحتلوننا ويسرقون ممتلكات المسلمين، وحين تواجههم المقاومة، يدعونها إرهاباً... فما تتذوقه أميركا الآن هو شيء بسيط إذا ما قُورن مع ما تذوقناه لكثير من الأعوام. كانت أمتنا تتذوق هذا الذل وهذا الانحلال لأكثر من ثمانين عاماً»*.

● محمد عمر، قائد طالبان: «لقد ابتدعت أميركا الشر الذي تهاجمه... يجب أن تتراجع الولايات المتحدة وتراجع سياستها».

● ناطق باسم الإخوان المسلمين في مصر: «نريد أن نفهم، هل أنتم أميركيون تدافعون عن حقوق الإنسان والحرية؟ أم هل هذا امتياز لبعض الناس غير متاح للآخرين؟»

● آية الله السيد علي خامنئي، مرجع ديني في إيران: «لسنا معكم ولسنا مع الإرهابيين. تتوقع أميركا أن يساعدها العالم كله لأن مصالحها تقتضي ذلك. ولكن هل تأبه بمصالح الآخرين؟ هذا ما يجعل أميركا مكروهة هكذا في العالم».

* قاله رجل الأعمال كيم هينغتون ويحالفه منغول قهرمبنة ماتا بطن، أي في جيفتا 2009 أو. (انظر الفصل 12).

فصيل سينطلقان كي يجتاحا الولايات المتحدة، ويجبراهما على تغيير مجتمعها أو فرض طرقهما في التفكير علينا. وعلى حدّ علمي، لم تكن هناك تصريحات كهذه. ولم تستهدف هجمات أيلول تمثال الحرية أو كاتدرائية أو استاداً لكرة البيسبول، وإنما استهدفت بنى ترمز إلى قوة أميركا الاقتصادية والعسكرية.

كيف يستجيب الأميركيون لهذا النمط من النقد؟ إن السخط الفاضل طبيعي ولكنه غير منتج مع مرور الوقت. نحتاج إلى فحص تصريحات الإرهابيين وفهم السياق الذي جاؤوا منه. ليس البحث عن المعرفة التي لا نملكها الآن استرضاء. كيف يُمكن أن تُمنع أفعال كهذه من الحدوث مرة أخرى إذا تُركت الأسباب الحقيقية للأفعال دون اكتشاف، أو تم تجاهلها؟ برأيي، إن أحد المظاهر الأكثر مأساوية لهذه التجربة الأليمة هي أن آلاف الأسر تُكَلت إلى الأبد، وتجهل لماذا حدث لها هذا. أرجو أن يساعدها هذا الكتاب.

يقدم كتاب فهم العرب الخلفية والسياق من أجل وعي ثقافي متزايد، ولكنه كُتب قبل سنوات من اتخاذ مشكلة الإرهاب العالمي لحجمها الحالي. وقد كُتب بنحو رئيس كدليل للغربيين، وخاصة الأميركيين. ومن أجل جعل الكتاب أكثر صلة بالموقف الحالي ولتوسيع الجمهور المستهدف، أقدم هنا بعض النقاط البارزة التي أعتقد أنه ينبغي التفكير بها بينما تقرر شعوب العالم كدول كيف ستعامل مع التهديد الناشئ. إن هدفي هو تسجيل ما أعتقد أنه حقائق موضوعية بدلاً من إقحام توصيات أو اقتراح حلول محددة:

- لا يصادق المسلمون بعامّة على أفعال هذه الجماعة الإرهابية. وهم في الحقيقة مرعوبون. كان قرار الانخراط في الإرهاب رد مجموعة ذات عقلية فتوية مضللة مفردة. و لا يدعم الإسلام الإرهاب بأي طريقة، ذلك أن الإسلام شدّد دوماً على العلاقات الإنسانية والعدالة الاجتماعية. (هناك كثير من المواد حول هذا الموضوع، بعضها متاح على الإنترنت).
- تتكرّر أعضاء جماعة القاعدة كمهاجرين، مستفيدين من السمعة الحسنة التي حظي بها المهاجرون الشرق أوسطيون. وجماعة، من المعروف أن المهاجرين كادحون ويركزون على العائلة. خان الإرهابيون هؤلاء الناس. أخذوا وضعية المهاجرين الذين يريدون أن يأخذوا حصتهم من خيرات الغرب، ولكن كان لديهم من البداية أجندة مختلفة كلياً.
- لا يريد المسلمون تغيير الثقافات الغربية أو غير الإسلامية. ولا يريد كثير من المسلمين أن تدخل القيم الغربية إلى مجتمعاتهم، ولكن إذا تبين أن حياتهم لا تتأثر، فإن المسلمين (والشرق أوسطيون بعامّة) لا يهتم كيف يبني الغربيون والآخرون حياتهم. فالأغلبية الواسعة لا تستاء من الرفاه والحرية في الغرب؛ وفي الحقيقة، يهاجر الملايين منهم إلى الغرب لأنهم يُعجبون بكثير من القيم الاجتماعية ويريدون المشاركة في نمط الحياة الغربية. يريدون أن يكبر أولادهم أحراراً ويحصلوا على الرفاهية.

- يجب ألا نسمح لفئة بأن تمثل ديناً كاملاً؛ فالدين المسيحي لا يبرر تفجير عيادات عمليات الإجهاض، ولا يمثل العنف الطائفي في أيرلندا المذهب البروتستانتي أو الكاثوليكي.
- لا يلوم المسلمون والعرب والشرق أوسطيون الآخرون الأميركيين كأفراد. إن افتراضهم، سواء أكان صحيحاً أم خاطئاً، هو أن الشعب الأميركي لا يتحمل مسؤولية شخصية لأنه يجهل سياسات حكومته. فمن المعروف لدى الشعوب الأخرى أن الأميركيين يجهلون سياسة بلدهم الخارجية. (والأقل وضوحاً للشرق أوسطيين هو حقيقة أن كثيراً من الأميركيين، على الأقل قبل 11 أيلول، لا يكتثرون أيضاً). وعلى عكس المتعاطفين مع الإرهابيين، تألم معظم الشرق أوسطيين لقتل الأبرياء في هذا العمل أو غيره من الأعمال الحربية. إنهم مثل الناس في كل مكان.
- لم يكن هجوم 11 أيلول جهاداً حقيقياً؛ ذلك أن مصطلح (الجهاد) كما يُستخدم في الإسلام، يُساء فهمه. فمعناه الرئيس ليس «الحرب المقدسة»، بالرغم من أن هذا ما صار معناه في اللغات الغربية. الأصح هنا هو أن الجهاد الحقيقي يجب أن يكون رداً على هجوم علني أو تهديد يقوم به غير المسلمين ضد المسلمين. يمكن ألا يستهل المسلمون الجهاد. وقد فسّر الإرهابيون القوة الغربية، ومؤخراً القوة الأميركية في الشرق الأوسط، كهجوم على شعبهم.

- يحاول الإرهابيون تعزيز العداء بين الإسلام والمسيحية. وهم يسيئون استخدام مصطلح الجهاد كما يسيئون استخدام مصطلحات مثل صليبي وكافر وغير مؤمن. وقد تم تسييس مصطلح الجهاد ويثار باستمرار وبساء استخدامه لأسباب سياسية. وفي في أثناء الحرب بين العراق وإيران، على سبيل المثال، أعلن كل طرف الجهاد ضد الطرف الآخر.
- إن القرآن والأحاديث النبوية، على غرار الأديان الأخرى، هي طويلة ومعقدة ومفتوحة على التأويلات. فالمسلمون لا يحفّزهم دينهم بأية طريقة لإيذاء أو قتل غير المسلمين. وكما هو الأمر مع كل من لديهم نصوص مقدسة، إن انتقاء الاقتباسات يمكن أن يبرهن أي شيء بما فيه الأفكار المتناقضة بنحو كلي.
- التركيز على القاعدة والإرهابيين المسلمين هدف محدود جداً. فالإرهابيون أعداء على المدى القصير، أهداف حالية تشنُّ الولايات المتحدة الحرب ضدّها الآن. ولكن حتى ولو تم القضاء عليهم، فإن العلل الجذرية للاستياء ستتواصل. ينبغي أن تتأمل الولايات المتحدة التصورات الذاتية السلبية حول نفسها لأن القوة لا يمكن أن تنجز ذلك. ليس هناك أمن فعّال بما يكفي لمنع هجوم يقوم به شخص يرغب بالانتحار. هناك حاجة إلى تفكير استراتيجي على المدى الطويل.

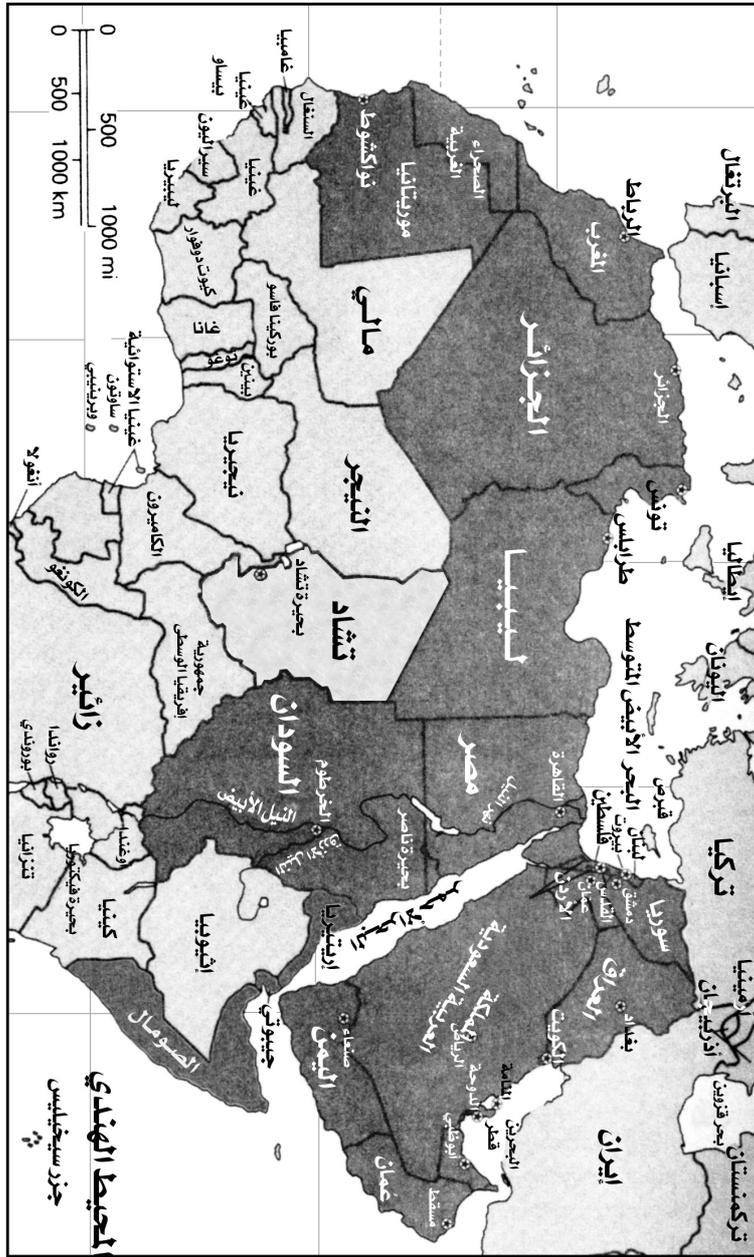
إن التصريحات الطاغية المخيفة، التي لا تقدم علاجاً، ليست حلاً. ما فائدة عبارات مثل: «كل الإنسانية في خطر» و«لن تهزموا أبداً هذه

الأمّة العظيمة» و«إنّ ما فعلته الولايات المتحدة كي تصبح هدفاً للهجمات العنيفة هو أنها صارت قوية وغنية وناجحة». إذا صرّح الأميركيون بعمى أن الإرهابيين يكرهونهم من أجل خيرهم ونجاحهم وبراءتهم، إلى أين يقود هذا؟ لا يساعد هذا في تقديم رد ملائم. إذا واصلت الولايات المتحدة والغرب تجاهل الاتهامات، وخاصة تلك التي لا يفهمانها، فإنهما يفعلان ذلك على مسؤوليتهما الخاصة. ما الذي يؤدي إلى مقولات على غرار: «أميركا فاسدة أخلاقياً ومنافقة»؟ لماذا تُتهم أميركا «بدعم إرهاب الدولة»؟ لماذا يحدث ابتهاج حين يقول أحد ما: «لا يرى الأميركيون الدم أبداً»؟ هذه هي أنواع التصريحات التي يجب أن يُفكر بها بعمق إذا كان هناك أي أمل بسلام عادل ودائم.



قُتل آلاف الأبرياء. يمكن أن يتبعهم كثيرون. ما العمل؟





مقدمة

يهدف كتاب فهم العرب: دليل الأزمنة الحديثة، إلى أن يُقرأ بسهولة وسرعة، من قبل أشخاص غير مختصين بالدراسات الشرق الأوسطية. ويهدف هذا الكتاب إلى مساعدة الخارجيين، وخاصة الغربيين في أميركا وأوروبا، في فهم العرب المعاصرين. وينظرُ الكتاب في نماذج الفكر، والعلاقات الاجتماعية، وطرق حياة العرب المتمدنين في القرن الواحد والعشرين. إن غالبية عرب اليوم - الأشخاص الذين من المرجح أن نلتقي بهم في الإعلام أو شخصياً - هم من الطبقة الوسطى (أو أعلى أو أسفل قليلاً)، وليسوا البدو الغرائبيين الذين من الصحراء. فقد حان الوقت للخروج من «روح الجماعة البدوية»*.

من الجوهري أن ننظر إلى العرب واقعياً كما هم اليوم، وألا نحاول وصفهم وشرحهم بمفردات تاريخ الشرق الأوسط التي تعود قروناً إلى الخلف. ففي التاريخ القديم والقرون الوسطى كذلك لا يمكن أن يُستخدما كي يُقدما أسباباً للطبيعة الحالية للمجتمع العربي، فقد حدثت تغييرات كثيرة في المئة عام الأخيرة، وخاصة في الستين عاماً الأخيرة. أظن أننا سمعنا ما يكفي عن شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وعن الفتوحات

* روح الجماعة البدوية هو أساس نظام الفروسية الذي أحضر إلى أوروبا في زمن الصليبيين وما بعده. وهي ليست متصلة بحياة العرب المعاصرين على غرار علاقة نظام الفروسية المسيحي بحياة الغربيين المعاصرين؛ فالمجتمع العربي المعاصر غير مرتبط بالروح البدوية.

الإسلامية، وعن الحشاشين في القرن الحادي عشر، عن العصر الذهبي الذي امتد بين القرن الثاني عشر والثالث عشر، وعن الحرير، ودار الحرب، والتراجمة في العهود العثمانية، وما شابه.

يعي معظمنا مدى تمييط الجماعات القومية والثقافية لبعضها بعضاً، عن بعد أو في العلاقات بين الأشخاص. فحين يتفاعل الغربيون والعرب، وخاصة إذا لم يفهم أي منهما الآخر، فإنهم غالباً ما يخرجون بانطباعات سلبية على نحو متبادل.

وبنحو مثابه، إن الصراع الإسرائيلي/ الفلسطيني يدور حول الإسرائيليين والفلسطينيين المعاصرين، الذين ليسوا القوم أنفسهم الذين يشار إليهم في التوراة كيهود وعرب (أبناء إسماعيل). فكثير من الإسرائيليين هم من أصول أوروبية وأخرى غير سامية، أما الفلسطينيون فهم عرب ولكنهم ليسوا عرباً من شبه الجزيرة العربية*؛ فقد انحدروا من سكان محليين مثل الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين. والصراع الحالي سياسي، وهو صراع على الأرض، وله جذوره بنحو كامل في القرن العشرين.

من المهم أن نفهم أن الصراع ليس دينياً؛ فالإسلام أكثر قرباً إلى اليهودية من المسيحية، ذلك أن المسلمين يقبلون جميع الأنبياء اليهود وكثيراً من ممارساتهم الدينية. ولم يظلم المسلمون اليهود تاريخياً ولم

* إن الفرق بين العرب وعرب شبه الجزيرة العربية جوهري. فالخلط بين هذه الجماعات يقود إلى تصريحات على غرار: «استقر اليهود في المنطقة قبل مجيء العرب بألف عام (أي عرب شبه الجزيرة العربية) في 634 بعد الميلاد»¹.

ينخرطوا في المجازر الدورية ضدهم كما حدث مراراً في أوروبا، مما دفع كثيراً من اليهود إلى الهرب جنوباً. على أي حال، بعد ستين عاماً من الصراع المرير، حدث خلط بين الدين اليهودي والإيديولوجيا الصهيونية، من قبل الجانبين. مع ذلك لم أسمع أبداً عربياً أو مسلماً يقول أي شيء سلبي حول اليهود كبشر إلا في سياق إسرائيل.

غالباً ما غيّبت الصراعات التاريخية بين الدينين الأصول المشتركة للمسيحية والإسلام: ذهنية الصليبيين، صراع الحضارات. فكلٌّ من الدينين له مفهومه عن الحرب المقدسة: الحملة الصليبية والجهاد. وقامت الصراعات بإبراز الخلافات فاصلةً بين الشرق والغرب، مغيباً المعتقدات المشتركة الكبيرة المتداخلة للديانات التوحيدية: اليهودية والمسيحية والإسلام.

كلمة حول العنوان: إن كلمة عربي عامة جداً، على غرار كلمة أوربي؛ فالجماعات تشترك في أمور كثيرة، ولكن هناك فروق إقليمية مميزة. إن مصطلح عرب مفيد، بالرغم من ذلك، في سياقات كمثل الجامعة العربية، والعالم العربي، والحركة القومية العربية. فكلمة عربي لا تشير إلى الرابطة العرقية وإنما إلى جميع الذين يتحدثون العربية.

ينبغي ألا نخلط بين العرب والمسلمين. هناك 17 بلداً عربياً يشار إليهم هنا (هذه مسألة تعريف؛ هناك 22 عضواً في الجامعة العربية). المسلمون أغلبية في 55 بلداً. وهناك حوالي 300 مليون عربي، 5% منهم مسيحيون أو ينتمون إلى أديان أخرى. هناك 1،5

بليون مسلم في العالم* . فالإسلام هو أسرع أديان العالم نمواً. وصار الإسلام ثاني أكبر دين في كلٍّ من الولايات المتحدة وأوروبا، بسبب الهجرة بنحو رئيس.

يتحدث كتاب فهم العرب عن البلدان العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وهو لا يناقش السكان المسلمين بنحو رئيس وغير العرب في تركيا (حيث يتحدث الناس لغة من أصل منغولي) أو البلدان الشرق أوسطية التي يتحدث فيها الناس لغات آرية، والتي هي جزء من عائلة اللغات الهندوأوربية: إيران وأفغانستان والأكراد وباكستان.

لا يعثر الأجانب إلا على مادة قليلة متاحة لمساعدتهم على فهم المجتمع العربي الحديث. ولم يكتب الكثير حول موضوع الممارسات الثقافية والاجتماعية العربية، سواء في العربية أو اللغات الغربية. ويعود كثير من المواد المتوفرة إلى أكثر من ثلاثين عاماً وتبدو قديمة لأي شخص يعرف المجتمع العربي اليوم** فبعض الملاحظات التي

* يمكن العثور على خريطة تفصيلية كاملة للعالم الإسلامي وشعوبه في عدد كانون الثاني 2002 من مجلة ناشنال جيوغرافيك.

** إن الكتاب المشهور الذي يحمل عنوان العقل العربي الذي كتبه رافايل باتاي 1 استند إلى إقامته في القدس في الثلاثينيات والأربعينيات، ومعارفه في أثناء تلك الفترة. عاش في الولايات المتحدة بعد 1947 وكان «يزور» منطقة القدس بنحو متكرر. كان الكتاب قد أصبح قديماً حين طُبِع في 1937 ولكن نشره تواصل، وصدر أخيراً في 2002، دون تغيير. وهو يستند بنحو كبير إلى الروح البدوية، وكثير من المعلومات الأخرى التي فيه غير صحيحة. وإذا كان لا بد من قراءته فينبغي أن يقرأ بتشكيك.

دُونت منذ عشرين عاماً لم تعد صالحة. ولا يمتلك كثير من الكتاب والصحفيين الأجانب إلا اتصالاً محدوداً جداً مع العرب، وغالباً مع زملاء فقط في مهنتهم (الجيش، الإعلام، موظفو المصارف) ومع الأشخاص الذين يتحدثون الإنكليزية. وفي الأعوام الأخيرة، كان للتغيرات التي طرأت على التعليم والصحة والسكن والتكنولوجيا والإعلام تأثير ملحوظ على المواقف والعادات.

إن النقص الأكثر خطراً في الأبحاث السائدة حول المجتمع العربي هو غياب الانتباه إلى الأغلبية الكبيرة من العرب المدنيين المتعلمين على الطريقة الغربية. وقد ركّز الباحثون - خاصة علماء الأنثروبولوجيا - في معظم الأحيان على حياة القرية والجماعات البدوية وعلى دراسة النماذج الاجتماعية التقليدية التي هي أحياناً غريبة. وبالرغم من أهمية هذه الدراسات، فإنها لا تقدم سوى معلومات ضئيلة صالحة بالنسبة للغربيين الذين سيلتقون، في معظم الأحيان، بالعرب المتعلمين جيداً، والمتمرسين بالأسفار. ضعوا في أذهانكم أن أغلبية الناس (أكثر من 95%) لا يُذكرون أبداً في الأنباء، لأنهم يواصلون حياتهم ولا ينخرطون في أنشطة جديدة بالتغطية الإعلامية.

إن هذا الكتاب محاولة لردم الفجوة. ويركّز على الطبقتين العليا والوسطى، على رجال الأعمال والنساء والبيروقراطيين والمديرين والعلماء والأساتذة وضباط الجيش والمحامين ورجال المصارف والمفكرين، وعلى الطرق التي يتفاعلون بها مع الأجانب ومع بعضهم بعضاً. وفي معظم البلدان العربية يختلف المتعلمون المدنيون بنحو

معتبر عن الجماعات الاجتماعية الريفية والتمسكة بالتقاليد؛ وبالفعل، إن بعض أنماط السلوك التي تقتضيها أعراف جماعة واحدة تُعد عتيقة الطراز من قبل أخرى. وفي الوقت نفسه، ما تزال تقاليد وعادات أساسية تحدد طريقة حياة جميع العرب وتؤثر على أهدافهم وقيمهم وقوانين السلوك المقبول. وما تزال التشابهات الكثيرة بين المجموعات الاجتماعية وبين البلدان العربية المختلفة تبرز الاختلافات، بحيث إن التعميمات الصحيحة ممكنة. ويشير الكتاب إلى أي اختلافات مهمة بين الجماعات*.

يمتلك الباحثون آراء متنوعة حول المحاولة السوسولوجية لتصنيف جماعات البشر على أنها نفسها، مختلفة، متقدمة، أو متخلفة. ويرى القائلون بالتعدد الثقافي أن جميع الممارسات الثقافية صالحة على حد سواء، وهكذا فإن محاولات المقارنة يمكن أن تكون نوعاً من أنواع العنصرية. ويستعجل نقاد آخرون في نقد ثقافات معينة، ويستعجلون في الوصول إلى الاستنتاجات، خاصة حين تُقارن، في هذه الحالة، مع الغرب. نسمع عن «الركود الثقافي» و«الفشل الثقافي» وتبرير ابتداع تسميات كهذه: ومن المدهش كيف أن المراقبين، من مؤرخين وصحفيين ومستشارين حكوميين، لا يفتقرون أبداً إلى الثقة حين يتعلق الأمر

* إن كلمة عرب تُستخدم بنحو واسع بحيث إن الكثيرين يفترضون خطأ أنهم كتلة واحدة من الناس. فمن المشوش، على سبيل المثال، القراءة عن ميليشيات الجنجويد العربية في جنوب السودان. فهم يُدعون عرباً لأنهم يشتركون في الدين واللغة، ولكن ليس لديهم تشابهات أخرى، إثنية أو ثقافية، مع عرب الشرق الأوسط.

بشرح بماذا يفكر العرب. وغالباً ما تستند آراؤهم إلى مراجع غنيّة حول حوادث تعود إلى الوراثة عدة قرون، ويصلون إلى استنتاجات خاطئة على غرار: «إن الأساس الاجتماعي للحقد العربي الإسلامي يمتزج مع كل من التعصب ومشاعر الدونية إزاء الغرب... إن خطيئة الغرب الكبرى هي أنه يضع الفرد وحكم العقل في المركز». 3. إن هدفي، بالمقارنة، هو تقديم ما يعتقد به معظم العرب وترك الأمر هنا. أمل أن يساعد هذا الكتاب على تخفيف الصور النمطية بطريقتين:

(1) عبر شرحي لبعض السمات السلوكية للعرب من زاوية الخلفية الثقافية، كي أعمّق بالتالي فهم القارئ وأساعده على تجنب التأويلات السلبية.

(2) أن يخدم - كدليل - التفاعل الثقافي المتقاطع مع العرب، مما سيساعد الناس على تجنب إهانات وأخطاء مهمة لأداب السلوك، ويساعدهم على الحصول على انطباع مفضل.

من المهم أن يكون الغربيون الذين يتفاعلون مع العرب واعين للخصائص المعينة لأداب السلوك العربية وأنماط السلوك والفكر، بما أن الاختلافات يمكن أن تكون حاذقة جداً، ومن الصعب تحديدها في البداية. من الصعب الدخول في أمان افتراض أن التشابهات السطحية في المظهر واللباس ونمط الحياة بين العرب المتعلمين تعني أنهم «مثلنا تماماً». من المرجح أن يبقى المرء متيقظاً في مناسبات اجتماعية عديدة حين يجلس في خيمة أو على أرضية طينية في منزل في قرية؛ ولكن ليس من السهل تذكّر الفروق حين تجلس في غرفة جلوس في منزل حديث، محاطاً بأثاث على النمط الغربي وبعرب يتحدثون الإنكليزية.

إن أي محاولة لوصف دوافع وقيم شعب بكامله أمر يبعث على التحدي. من ناحية، تقود إلى تعميمات ليست صحيحة في جميع الحالات، ومن ناحية أخرى تتطوي بالضرورة على منظورات المراقب وتأويلاته وتقود إلى تأكيد بعض السمات على حساب أخرى. أمل أن أقدم وجهة نظر متوازنة، واحدة وصفية بعامة للعرب في المنطقة الثقافية الكاملة للعالم العربي. جاءت معظم مواد هذا الكتاب، وبينها الحكايات (لديّ المئات) من تجاربي الشخصية ومن مقابلات مع الآخرين. وقد حدثت هذه المقابلات في كل البلدان العربية: في شمال إفريقيا، المشرق، الهلال الخصيب، وشبه الجزيرة العربية.

يعود الزملاء الجامعيون الأميركيون من الإقامة في العالم العربي متحمسين، ومفرطين في مديحهم للعرب الذين عرفوهم وهم متلهفون للعودة. «إنهم ودودون جداً... كانوا ظريفيين جداً معي... قدم لي الجميع المساعدة... ويقول الناس في الشارع: أهلاً وسهلاً بالإنكليزية... أحببت الجلوس في المقهى للعب الطاولة مع السوريين والعراقيين». ولكننا لن نتوقع هذا النوع من الكلام في الصورة التي يقدمها الإعلام.

هناك الكثير من المفاجآت السارة التي تنتظر الأجانب حين يعرفون أكثر: حسن الضيافة، الطعام الرائع، اللطف مع الأطفال والكبار في السن، العائلات الكبيرة، والمحبة. ولكن هذه ليست نظرة إلى وكالات سياحة. نحتاج أيضاً إلى النظر في مناطق المشكلات، بقدر الإمكان، من أجل أن يكون هذا الكتاب مساعداً. يمكن أن تقود عوامل كثيرة إلى تأويلات خاطئة، على كلا الجانبين، وربما تقود إلى أخطاء جديّة في الحكم.

لقد خضع العرب لكثير من النقد المباشر وغير المباشر من قبل الغرب بأنهم حساسون جداً للمقولات الغربية عنهم. وقد قمت بمحاولة كي أكون عادلة وصادقة وفي الوقت نفسه متعاطفة مع طريقة الحياة العربية، وخاصة حين قارنت بين السلوك الثقافي العربي وبين السلوك الغربي. إن أحكام القيمة لا مكان لها هنا؛ وليس هناك افتراض أن مقارنة ثقافية واحدة هي أفضل من الأخرى.

ملاحظة: يمكن أن تُكتب الكلمات العربية في الإنكليزية في تهجيتها التقليدية، أو تكتب بطريقة أقرب إلى اللفظ العربي. الطريقتان صحيحتان: هذا يعتمد على هدفك. نرى فرقاً في الكتابة كما بين Moslem و Muslem، وكذلك في كلمات مثل محمد والقرآن الكريم وأسماء مثل عبد الله. سترون أن المقطع Al أو EL، الذي يعني the غالباً ما يدخل في الاسم.

أخيراً، إن كلمة شيعة تم نحتها في الإنكليزية بحيث نستطيع إضافة s وجعلها تبدو كصيغة الجمع في الإنكليزية. في العربية، المفرد هو شيعي shia وهذا هو المصطلح المستخدم في هذا الكتاب.

مقدمة: نماذج التغيير

خضع المجتمع العربي لضغوط كبيرة من العالم الخارجي، خاصة منذ الحرب العالمية الثانية. والتغيير الاجتماعي جليٌّ في كل مكان لأن تأثيرات التحديث الاقتصادي والتجريب السياسي تمسُّ جميع مجالات الحياة. أما طريقة الحياة التقليدية فإنها تختلف حتى بين البدو وسكان القرى البعيدة.

التحديث

نجم معظم التغيير الاجتماعي من خلال تبني التكنولوجيا، والمنتجات الاستهلاكية، وأنظمة الرعاية الصحية، والبنى المالية، والمفاهيم التربوية، والأفكار السياسية الغربية. وهذه التغييرات هي، بالضرورة، مثيرة للجدل ولكنها حاضرة بقوة بدرجات متنوعة في جميع البلدان العربية.

شهدت الدول العربية تدفقاً للمستشارين الأجانب، ورجال الأعمال، والمدرّسين، والمهندسين، وموظفي الرعاية الصحية والجيش، والدبلوماسيين، والسياسيين، والسياح. وقد عرف العرب كيف يعيش الأجانب من خلال الاتصال الشخصي معهم ومن خلال وسائل الإعلام. ودرس آلاف الطلاب العرب في الغرب وعادوا بعبادات ومواقف متغيرة. وقد أحدث انتشار الإنترنت تغييراً رئيساً أيضاً.

يعيش عشرات الآلاف من الأجانب، أو عاشوا، في العالم العربي، وقد أحب معظمهم التجربة. يمكث كثيرون لسنوات ولديهم دائرة واسعة من الأصدقاء العرب. ويقولون إن العلاقات الإنسانية تبدو أكثر عمقاً، والصدقات، حتى الصفقات التجارية، أكثر شخصية وأهمية منها في المجتمعات الغربية.

تقوم الحكومات العربية ببناء المدارس والمستشفيات والوحدات السكنية والمطارات والمجمعات الصناعية بسرعة، بحيث إن مدناً وبلدات برمتها تغير مظهرها في بضع سنوات. ومن السهل أن يشعر المرء بأنه ضائع في بعض المدن العربية إذا كان غائباً لسنة أو سنتين. ويُعثر على الفنادق الحديثة في أي مدينة ضخمة؛ فالشوارع والطرق مليئة بالسيارات؛ وغالباً ما تُرهق خدمات الهاتف والفاكس والإنترنت بالضرائب. وتتوفر المواد الاستهلاكية المستوردة بكثرة في معظم البلدان العربية، وهي تتنوع من ثياب الأعراس البيضاء إلى البضائع في السوبرماركات. وبينما تُعد هذه تغيرات سطحية إلا أنها ترمز أيضاً إلى تغيرات أعمق في القيم.

وقد حُلقت النسب الإجمالية لمعرفة القراءة والكتابة منذ الستينيات. وفي الأربعين سنة الماضية تضاعف عدد المتعلمين في بعض البلدان وازداد عشر مرات أو أكثر في بلدان أخرى. وتبلغ نسبة معرفة القراءة والكتابة 68% وارتفعت النسبة في بلدان شبه الجزيرة العربية من أقل من 10% إلى 86% في سنة 2003. ووصلت بين الذين يعيشون في المناطق المدنية، إلى 80% أو أكثر في كل مكان تقريباً. أما أعلى نسب معرفة القراءة والكتابة فهي في السعودية (94%)، الأردن

(91%)، البحرين (89%) لبنان (86%) قطر (85%) والكويت (83%). ومنذ 1970، ازداد تعلم المرأة ثلاثة أضعاف وتجاوز تسجيل الفتيات في المدارس الضعف.

ويعود السبب في ارتفاع نسبة معرفة القراءة والكتابة إلى نمو كبير في التعليم العام، المجاني والإلزامي في جميع البلدان العربية*. وفي السعودية تضاعف التسجيل في المدارس الابتدائية أكثر من أربع مرات منذ 1980. وفي الكويت كان هناك 3,600 طالب في المدارس في 1945 (الابتدائية والثانوية)، و270,000 في 1994، و400,000 في 2001¹. وفي المملكة العربية السعودية كانت نسبة معرفة القراءة والكتابة بين الرجال 15% وبين النساء 2% في 1970؛ وصارت النسبة المدهشة للرجال 82% وللنساء 68% في عام 2000^{2,3}.

تطور التعليم الجامعي بوتيرة أسرع، وتضاعف أحياناً أو بلغ ثلاثة أضعاف في عقد أو اثنين. وفي الجدول التالي النسب المئوية للطلاب المؤهلين المسجلين في الجامعة في بلدانهم.

النسبة المسجلة في التعليم الجامعي^{4,5}

2001	1980	
31	13	الأردن
22	7	المملكة العربية السعودية
23	5	تونس

* ما عدا السعودية.

	7	0	عمان
	2001	1985	
	58	9	ليبيا
	45	28	لبنان

ازداد تعلم النساء العربيات وأصبحن أكثر نشاطاً على الصعيد المهني. وفي سنة 1973 لم يعمل سوى 7% من النساء في القوة العاملة⁶. إن المعدل حالياً هو 21%. والنساء العربيات واعيات لحقيقة أن هذه النسبة منخفضة بالمقارنة مع مناطق كثيرة في العالم. أما معدل عمل المرأة في العالم الصناعي، بالمقارنة، فهو من 40 إلى 50%.

نسبة النساء في القوة العاملة 2004⁷

النسبة في 2004	
12	الجزائر
22	البحرين
22	مصر
9-18*	العراق
21	الأردن
25	الكويت
28	لبنان
21	ليبيا
25	المغرب
18	عمان
11	المملكة العربية السعودية

* كانت النسبة في العراق 40% في أوائل الثمانينيات.

28	السودان
21	سوريا
24	تونس
12	الإمارات العربية المتحدة
27	اليمن

غيّرت الرعاية الصحية المحسّنة نوعية الحياة وطولها. وقد غيرّ الازدياد في عدد الأطباء لكل 1000 شخص وضع الرعاية الصحية بنحو كامل.

عدد الأطباء لكل 1000 شخص^{8,9}

2003	1980	
205	0,8	الأردن
137	0,5	عمان
142	0,4	سوريا
177	1,1	الإمارات العربية المتحدة

وازداد عدد المستشفيات والعيادات بالنسبة نفسها. وازداد متوسط العمر المتوقع في البلدان العربية على نحو درامي. وهذه أمثلة عما حدث خلال خمسين سنة.

متوسط العمر المتوقع¹⁰

2005	1955	
69	43	المغرب
69	42	مصر

77	55	الكويت
73	34	المملكة العربية السعودية

إن طول الحياة المتزايد هذا ينعكس في إحصاءات السكان. فمنذ الخمسينيات كان معدل النمو السكاني يتسلسل من 2,5 إلى 3%، وهو مرتفع كما في أي مكان في العالم. وفي الأعوام الأربعة بين 1986 و1990 نما مجمل السكان العرب من 5 إلى 7% (8% في الإمارات العربية المتحدة و10% في عمان)؛ وقد استقرت الآن إلى حوالي 2 إلى 3% في العام¹¹.

وفي الأعوام الأخيرة، امتلكت غزة واليمن وعمان النسب الأعلى في النمو الطبيعي (دون أن نحسب الهجرة) في العالم، محققة 3,8 و3,4 و3,3% على التعاقب. أما ليبيا والعراق وسوريا فنموا بنسبة 2,4 إلى 2,8، وهي أيضاً نسب عالية جداً. وهذا يقارن مع نسبة عالمية هي 1,14. النسبة في الولايات المتحدة 0,92 وفي الهند 1,4 وفي فرنسا 0,39 و0,08 في اليابان¹².

وبحلول 2000، كان 30 إلى 40% من إجمالي السكان العرب في سن الرابعة عشرة أو أقل. ويقدر البنك الدولي أن عدد سكان الشرق الأوسط ككل (وبينهم غير العرب) سيزداد من 448 مليون إلى 650 مليون بحلول عام 2050¹³.

كان السكان في كل أنحاء العالم العربي ينتقلون من المزارع والقرى إلى مراكز مدنية ضخمة، وقد حصل هذا بنحو درامي في في أثناء الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى عام 1980. إن حجم التمدن تم إيضاحه في مقارنة نسب التمدن في الأعوام الأخيرة. وبعض البلدان هي من بين الأكثر تمدناً في العالم.

النسبة المئوية للتمدن^{14,15}

2001	1955	1970	
87	83	49	المملكة العربية السعودية
88	85	45	ليبيا
79	71	51	الأردن
66	62	43	تونس
87	84	57	الإمارات العربية المتحدة

وبحلول 2020، سيعيش 70% من السكان في الشرق الأوسط في المدن، وهذه إضافة من 86 مليون شخص¹⁶.

ويسبب التمدن مشكلاته الخاصة. ذلك أن الحكومات، عدا في بلدان الخليج، تواجه نقصاً في السكن، وإفراطاً في استخدام الخدمات البلدية (فعمان الأردنية تتوفر فيها المياه بضع ساعات في اليوم، والنقل العام شبه مستحيل في القاهرة، وفي كل مكان المواصلات أكبر بعشر مرات من الطرق المصممة لها)، والخدمات الاجتماعية التي تنوء بالأعباء من المدارس إلى مراكز الرعاية الصحية إلى مراكز الوظيفة. وفي البلدان الأفقر، ينتشر السكن العشوائي (في الجزائر والدار البيضاء والقاهرة)؛ في الحقيقة، يعيش 20% من سكان القاهرة في سكن غير قانوني. وأحياناً تسهم الأزمات السياسية في المشكلات - وفي نهاية 1990، بعد اجتياح الكويت، غادر من 4 إلى 5 مليون شخص منطقة الخليج¹⁷.

يوضح توقّر الإنترنت الموقف الحالي جيداً. لا يمتلك إلا 1,6% من مجمل السكان العرب مدخلاً إلى الإنترنت. وتظهر المعلومات الأحدث أنه في سنة 2004 كان عدد المستخدمين بين كل 1000 شخص هو 250 أو 300 في أجزاء من الخليج العربي، أكثر من 100 في لبنان، و60 في المملكة العربية السعودية، و50 في الأردن، و30 و20 وأقل من ذلك في ليبيا وسوريا والجزائر ومصر والمغرب. يقارن هذا مع 550 شخصاً من كل 1000 في الولايات المتحدة، و400 إلى 500 أو أكثر في العالم النامي¹⁸.

تشتمل بعض التغييرات والاتجاهات الاجتماعية الرئيسية الأخرى في العالم العربي على ما يأتي:

- يُعزز تخطيط الأسرة ويُمارس بنحو متزايد في معظم البلدان العربية، ويجيزه معظم المشرّعين المسلمين.
- صار الناس أكثر تواصلاً بسبب الصحف والتلفزيون والراديو والحواسيب والإنترنت.
- صارت التسلية خارج المنزل والأسرة أكثر شعبية.
- المزيد من الناس يسافرون، ويعملون، ويدرسون في الخارج.
- يكتشف الوالدان أن سيطرتهم تقلّ على خيار أولادهم في العمل وأسلوب الحياة.
- يعمل المزيد من الأشخاص في شركات وصناعات ضخمة وغير شخصية.

- صارت شركات العمل أكثر انخراطاً في التجارة الدولية.
- ازداد الوعي السياسي والمشاركة بنحو مهم.
- غيرت الفرص التربوية والمهنية للنساء حياة الأسرة بنحو كامل.

تقارير التنمية البشرية العربية

كان نشر تقرير التنمية البشرية العربية في سنة 2002 الأول من نوعه، وشكل حدثاً رئيساً في التقويم الذاتي العربي. وقد ألفتُه مجموعة من المفكرين العرب من 22 بلداً عربياً عضواً في الجامعة العربية وموَّله الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. كان التقرير يتميز بصراحته في الإشارة إلى افتقار المنطقة للحرية والنمو الاقتصادي والإنجازات العلمية والتكنولوجية* وكذلك غياب المساواة بين الجنسين، والنسبة العالية للأمية. تم تحديث التقرير لعام 2003، وخرج تقرير 2004 في نيسان 2005. وقد أقر التقرير الأحداث أن «هناك فشلاً خطيراً في العالم العربي، ويكمن هذا بنحو محدد في المجال السياسي»¹⁹. وقد دعا إلى حرية سياسية أكبر، وإلى المشاركة في السلطة، والقضاء على الفساد. وعبر أيضاً عن قبوله الكامل «للمثل الديمقراطية الليبرالية» وعدم ثقته بإخلاص الإدارة الأميركية الحالية في تعزيز الرفاه العربي والالتزام بالأهداف العريضة للدمقرطة، بسبب تحالفها مع حكومات عربية معينة²⁰.

* من الممتع أن نرى تحليلاً صريحاً للوضع الحالي دونما إشارة إلى أمجاد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. ومن المهم الإقرار بهذه الإسهامات ولكن حان الوقت أيضاً للحركة إلى الأمام.

ذكر التقرير أيضاً أن العالم العربي فقد 25% من خريجه الجامعيين، و15,000 طبيب هاجروا بين 1998 و 2000 بسبب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة.

تأثيرات التغيير

إن التأثيرات التمييزية لإدخال ممارسات ومفاهيم أجنبية إلى المجتمعات التقليدية معروفة جيداً، ولم يُستثن العرب من هذا. فالقيود الاجتماعية بين جماعات البشر التي تمثل مستويات مختلفة من التعليم والتأثر بالغرب يمكن أن تكون قوية، والاحباطات المتبادلة موجودة إلى درجة بالكاد يمكن تصورها من قبل الغربيين.

إن كلاً من الطريقتين التقليدية والحديثة في التفكير حاضرتان في الوقت نفسه في المجتمع العربي الحديث، وتشكلان ثنائية. فالعلم الحديث والتكنولوجي يعلمان إلى جانب القانون التقليدي والموضوعات الدينية.

إن العرب - وخاصة الأجيال الأصغر - منجذبون جداً إلى الثقافة الأميركية ومنتجاتها ومعجبون بها، بما فيه التسلية، والموسيقا، والثياب، والمثل الليبرالية كالحرية و المساواة في الفرص. أما الفجوة بين الأجيال، والتي تتسع، فهي مؤلمة بنحو مبرح، لبعض الجماعات والأسر: بعض الأشخاص الأصغر ليبراليون ومتأثرون بالغرب، بينما أصبح آخرون أكثر محافظة وتديناً. ويؤثر كل هذا على قرارات العائلة: مرة ساوى عربي متغرب بين مشاعر الأب العربي الذي يرفض ابنه قبول اختيار الأسرة للعروس وبين مشاعر أب غربي يكتشف أن ابنه يتعاطى المخدرات.

إن الموضوع الشائع لدى الكتاب والصحفيين العرب هو ضرورة تمحيص الابتكارات الغربية، وتبني تلك المظاهر المفيدة لمجتمعاتهم (على سبيل المثال، المعرفة العلمية والتقنية) ورفض تلك المؤذية (مثل الاهتمام الذي يقل بتماسك الأسرة أو الأخلاق الاجتماعية).

اهتمَّ العرب طويلاً بالغبنة التي هي غالباً جزء من التحديث. أرادوا أن يحدثوا، ولكن ليس على حساب تقاليد معيَّنة. ومن الخطأ افتراض أن العرب يتوقون إلى إنشاء مجتمعات وحكومات مماثلة للنماذج الغربية. فكثير من الأميركيين، بخاصة، يجدون من المفاجئ أن معظم الأجانب غير مهتمين بالطريقة التي يفعل بها الأميركيون الأشياء، في الحياة الشخصية أو في المجتمع. فالعرب غالباً لا يصدقون ما يسمعونه عن الممارسات الاجتماعية والمعايير الأخلاقية الأميركية والأوروبية (سواء فهمت بنحو صحيح أم لا)، وهم غير مهتمين بتغيير طريقة الحياة الغربية. لكنهم لا يريدون أن تُفرض عليهم فحسب.

المسألة بالنسبة للعرب ليس إن كانوا يريدون التحديث. فالزخم لا يمكن إيقافه الآن. المسألة هي إن كانوا يستطيعون تبني التكنولوجيا الغربية دون تبني القيم الغربية والممارسات الاجتماعية التي تتماشى معها وبالتالي الاحتفاظ بالقيم التقليدية المحتفى بها.

متحدثةً كغربية، أجد صعوبة في تصور مجتمع حديث (مجتمع مغذى ذاتياً، تنافسي، صناعي، وتكنولوجي) إلا إذا كان مفتوحاً وصناعته مخصصة وتتم فيه مكافأة المبادرة الشخصية، وتؤسس

الأسواق الحرة كجزء من الاقتصاد العالمي. فالحكومة لا تستطيع منع مواطنيها من سماع واعتبار خيارات كهذه. ولا يستطيع الدين، أي دين، أن يجيب على كثير من هذه المسائل.

وجهة النظر الإسلامية

من المهم أن ندرك أن تأويل الممارسات الإسلامية يتنوع بنحو كبير. فكثير من العادات التي تميز بلدان الشرق الأوسط تتبع من ممارسات ثقافية محلية (علاقات الأسرة، دور النساء في المجتمع، طريقة البشر في الملابس، ممارسات تربية الأطفال، وختان الإناث) وليس الدين. وبما أن الإسلام السني لا يملك مرتبة منظمة أو سلطة مركزية، فإن قرارات الباحثين الدينيين تتنوع كذلك.

يريد الناس المتعلمون التحديث والتغيير، ولكن كما قيل من قبل، يريدون أيضاً الحفاظ على كثير مما يعدونه نمط حياتهم الإسلامي. فالفكرة ليست استبدال الإسلام، وإنما تجديده، من أجل مواجهة الأوضاع الجديدة للحياة الحديثة. ولكن هذا يُقال أكثر مما يُفعل، وخاصة في وجه التشديد المتجدد على الإسلام.

ازدادت الدراسات الدينية في الجامعات، وكذلك نشر الأحاديث الدينية، ويُسمع المزيد من الخطب الدينية علناً في كل أنحاء العالم العربي وفي الشرق الأوسط برمته. وتواصل هذا لمدة طويلة: بلغ عدد البرامج الإذاعية الدينية والصحف الإسلامية والكتب ثلاثة أضعاف في الثمانينيات وحدها²¹.

حدث أيضاً ازدياد مطرد في المؤسسات الإسلامية، والقوانين، وخدمات الرفاه الاجتماعي، والمؤسسات التربوية، ومراكز الشباب، والناشرين، وحتى المصارف الإسلامية. ودخل كثير من المسلمين المتمسكين بالتراث عالم السياسة. وصار البعد إسلامي جزءاً من الحياة اليومية.

إن تحديد كيفية مواجهة التغييرات سيكون بالفعل صعباً وستستمر النقاشات الحامية حول الحلول المتنوعة إلى الأبد. ويزيد انبعاث الدين الأصولي من دعم وجهات نظر التقليديين، الذين يعارضون أية إعادة تأويل للإسلام، وتحتوي هذه المجموعة على كثير من السلطات الحكومية والمسؤولين العسكريين والمعلمين والصحفيين والمفكرين. ولكن التقليديين ليسوا أصوليين إذا استخدمنا مصطلح أصولي كي يعني «الإسلامي المتطرف». يريد التقليديون الحفاظ على الأصالة الدينية والثقافية؛ وهم بالضبط مثل التقليديين في أديان أخرى. وترى وجهة النظر الإسلامية التقليدية أنه بينما ينبغي أن يتكيف الإسلام مع الحداثة فإن الحداثة ينبغي أن تتكيف مع الإسلام أيضاً²².

إن المسلمين مصممون على التكيف مع التغير بطريقتهم الخاصة. وهم يعتقدون أن بوسعهم الإسهام في العالم المتغير، وفي نظام عالمي جديد ممكن. ولكن الغرب يتفوق في التقدم بسبب تطور التكنولوجيا، ولكن الإسلام يستطيع تقديم عامل مؤنسن: الأخلاق. والهدف هو

نظام عالمي جديد كوني متقدماً أخلاقياً ومادياً. ويعتقد كثيرون من غير الغربيين أن الممارسة الغربية للسلطة العالمية تفتقر إلى أساس أخلاقي قوي وتخدم مصالح خاصة، دون التفكير إن كانت السياسات «صحيحة» أو «خاطئة» لكل الناس.

وقد صنّف بنازير بوتو مجموعتين من المسلمين: الرجعية والتقدمية:

سأصّف الإسلام في فئتين: الإسلام الرجعي والإسلام التقدمي. بوسعنا الحصول على تأويل رجعي للإسلام، يتمسك بالوضع القائم، أو بوسعنا الحصول على تأويل تقدمي للإسلام، يحاول أن يتكيف مع العالم المتغير²³.

جرى حديثٌ مطوّلٌ حول كيف يمكن أن تختلف التربية الإسلامية عن التربية الغربية، ويُناقش هذا الموضوع باستمرار في الإعلام. وما يهم بخصوصة هو كيف يرتبط العلم والتكنولوجيا بالقيم الإسلامية التقليدية وطرق النظر إلى العالم، وكيف يمكن الحفاظ عليها. ويعتقد كثير من المعلقين المسلمين أن التربية الغربية تعتمد حصراً على العملية المادية، دون البعد الروحي. ويقولون بأن المقاربة المعرفية للعالم تتغير باستمرار، ولكن القيم لا تتغير.

يعتقد المسلمون أن المقررات الدراسية يجب أن تُعد بطريقة تجعلها تعكس وجهة النظر الإسلامية حتى حين تقدم نظريات واكتشافات حديثة وثيقة الصلة. واقترح أحد المربين، على سبيل المثال، أنه، في

العلوم الطبيعية، يمكن استبدال كلمة الطبيعة بكلمة الله بحيث يكون واضحاً أن الله هو مصدر النمو الطبيعي والتطور، لخصائص المواد الكيماوية، لقوانين الفيزياء وعلم الفلك، وما شابه. وينبغي أن تُقيم الحوادث التاريخية ليس من أجل أهميتها العسكرية أو السياسية وإنما من ناحية نجاحها في تقوية الأهداف الروحية للإنسانية؛ على سبيل المثال، إن مجتمعاً (لأدرياً) يؤسس إمبراطورية عظيمة لا يُحكم عليه بأنه «ناجح»²⁴.

يبدو لي أن المسيحيين الإنجيليين سيجدون القليل مما سيختلفون معه في المقولة الأنفة الذكر. إن العلاقة بين الإسلام والعلم غير مؤكدة وتدور حولها الكثير من الآراء. ويجزم البعض أن «العلم الإسلامي» لا يوجد، لأن الإسلام لا يشجّع على البحث الإبداعي الحر، بينما هناك آخرون واثقون أنه يمكن التوفيق بين الإسلام والعلم²⁵. ويرى بعض المسلمين أن العلم الغربي فقير لأنه يسأل «ماذا» و «كيف» دون أن يسأل «لماذا»، التي تعكس بعداً دينياً/ فلسفياً. على سبيل المثال، إن السيد حسين ناصر، الأميركي الإيراني الاختصاصي المعروف بالفلسفة الإسلامية يقر بأن العلم الإسلامي يجب أن يختلف عن العلم الحديث من خلال وضع حدود أخلاقية وإعادة صناعة علم متشابك مع الأنطولوجيا الإسلامية، والفلسفة، مما سينتج رؤية كلية للمعرفة. ردّ عليه برويز هودبهوي Pervez Hodbhoy، وهو عالم فيزياء باكستاني، أنه يجب التخلي عن فكرة علم إسلامي، بما أنها وهم،

وينبغي أن تسرّع المجتمعات الإسلامية تعلّم العلم الحديث من أجل أن تكون منافسة. كُتِب الكثير عن هذا الموضوع في أواخر السبعينيات والثمانينيات، وروجع بشكل جيد في بعض مواقع الانترنت²⁶.

ينشد المفكرون المسلمون في كل مكان بدائل إسلامية من أجل مجتمعاتهم. وينتمي الشبان في كثير من البلدان إلى مجموعات غير رسمية يُناقش فيها بحدّة دور الإسلام وإسهاماته في المجتمع الحديث. على سبيل المثال، في لقاء مؤتمر الشؤون الدينية الحالية في اسطنبول في سنة 2002، أصدرت مجموعة من الباحثين الدينيين البيان التالي:

أثرت التغيرات الاجتماعية التي سرعتها التطورات في المجالات العلمية والتكنولوجية عميقاً على الفهم التقليدي للدين وبدورها تستلزم مناقشات جديدة لكثير من المسائل... وبينها المقاربات التقليدية والحديثة في فهم وتأويل النصوص الدينية وانعكاساتها على المجتمع، والمناقشات الدينية بخصوص مشكلات النساء في العالم الحديث²⁷.

مواجهة المستقبل

إن الضغط الخارجي من أجل التغيير واضح بشكل صارخ في التغييرات في هندسة المدن العربية وتخطيطها. فقد حلّت ناطحات السحاب المكيفة مكان المنازل التقليدية ذات الجدران السميكة التي صممت كي تكيف الجو بنفسها من خلال برج للريح. وقد تم هدم

الكثير من المناطق المزدهمة في «المدينة القديمة» بأزقتها الملتوية وأسواقها المزدهمة ومنازلها؛ وتلك التي تُركت في تغاير حاد مع الأجزاء الجديدة من المدن، بنيت بشوارع واسعة ذات وحدات سكنية مستقلة. ولسوء الحظ، لا يلبي بعض السكن الحديث احتياجات الأسر والجماعات: إذ لا يوجد مكان تجمع يومي للنساء أو مناطق منفصلة للجلوس والتسليّة للرجال والنساء. وفي معظم المدن العربية، من الصعب في هذه الأيام لأعضاء أسرة موسعة أن يجدوا سكناً في مكان واحد أو منطقة واحدة.

يتألم كثير من الشبان بخاصة حيال هويتهم (أسرة؟ دولة؟ منطقة عربية؟ مجموعة دينية أو علمانية؟) وما يشكل خيارات أساليب حياة ملائمة، مشكلة غير معروفة ببساطة بين الغربيين. فالموازنة بين الطريقة الحديثة والطريقة الأصلية في الحياة تثير اهتمام العرب في جميع مستويات المجتمع.

يمكن أن يكتشف الغربيون شخصية ثنائية لدى كثير من العرب المتعلمين، الذين يمتلكون القدرة على الجمع بين طريقتين مختلفتين من التفكير واستيعاب كليهما. إن قلة منا في الغرب عليها أن تصارع ثنائية من هذا النوع.

من الواضح أن جزءاً كبيراً من التشوش والاضطراب سيظل حاضراً. فالتضارب إزاء التغيير الاجتماعي الليبرالي أو رفضه، خاصة إذا كان يناقض القيم الاجتماعية التقليدية، يمكن فهمه بنحو أفضل

من خلال النظر في الأسئلة التي يثيرانها في ذهن عربي: كيف تقارن القيمة النسبية لقمر اصطناعي للاتصالات مع حكمة شيخ القرية؟ ما قيمة ابن خبير في الكمبيوتر يفتقر إلى احترام والديه؟ كيف تتعامل مع ابنة عالية الثقافة تعلن أنها لا تنوي الزواج أبداً؟

هذا هو السياق الذي يواجه فيه الغربيون العرب اليوم. هذه هي خلفية خيارات وتطلعات العرب.



الفصل الأول

المعتقدات والقيم

حين نضع نصب أعيننا مهمة الوصول إلى فهم أفضل لمجموعات من البشر وثقافتهم، من المفيد أن نبدأ بمعرفة قيمهم ومعتقداتهم الأكثر أساسية. فهذه المعتقدات والقيم هي التي تحدد وجهة نظرهم في الحياة وتحكم سلوكهم الاجتماعي. وعلينا القيام بتعميمات واسعة من أجل مقارنة مجموعات البشر: وموضوع المقارنة هنا، هو العرب والغربيون. ضع في ذهنك أن هذا التعميم يمكن ألا ينطبق أبداً على جميع الأفراد في جماعة؛ فالفروق بين عرب 17 دولة موصوفة هنا كثيرة، بالرغم أن كلهم يحملون الهوية العربية.

يميل الغربيون إلى الاعتقاد - على سبيل المثال - أن الفرد هو النقطة المحورية للوجود الاجتماعي، وأن الجميع متساوون أمام القانون، وأن للناس الحق بخصوصية معينة، وأن البيئة يمكن أن يتحكم بها البشر من خلال الوسائل التكنولوجية. ولهذه المعتقدات تأثير قوي في تفكير الغربيين حول العالم الذي حولهم وكيف يتصرفون إزاء بعضهم بعضاً.

يؤمن العرب بنحو متميز أن كثيراً من الأشياء في الحياة، إن لم يكن معظمها، يتحكم بها القدر بنحو مطلق وليس البشر؛ وأن الجميع يحبون الأطفال؛ وأن الحكمة تزداد مع التقدم في السن، وأن الشخصيات الضمنية للرجال والنساء مختلفة بنحو واسع. وتلعب هذه المعتقدات دوراً قوياً في تحديد طبيعة الثقافة العربية.

يمكن أن يتساءل المرء إن كان هناك، في الحقيقة، شيء ما يدعى الثقافة العربية، مفترضين تنوع وانتشار المنطقة العربية. فإذا ما نظر المرء إلى الخريطة، يدرك المساحة الضخمة التي تشملها عبارة «العالم العربي». فالبلدان العربية تشمل أرضاً كبيرة، معظمها صحراء أو برية تقريباً؛ وإذا ما أزيلت الأراضي غير القابلة للسكن، فإن العالم العربي يصبح صغيراً جداً بالنسبة لعدد سكانه البالغ 300 مليون نسمة. ويتوزع كثير من الأراضي المسكونة على السواحل وضياف الأنهار. فالسودان أكبر من أوروبا الغربية، ومع ذلك يبلغ عدد سكانها 35 مليون نسمة (بالمقارنة مع 700 مليون في أوروبا الغربية)؛ أما المملكة العربية السعودية فهي أكبر من ولايتي تكساس وآلاسكا سووية، ومع ذلك ليس فيها إلا 25 مليون نسمة. بينما مصر، التي يبلغ عدد سكانها 76 مليون نسمة، تبلغ مساحة الصحراء فيها 95%* وقد قال أحد الكتاب: «إن خريطة صحيحة للعالم العربي ستظهره كأرخبيل مؤلف من جزر خصبة مبعثرة في فراغ من الرمال والبحر. فالصحراء تفصله وتوحده»².

* مصر كبيرة على غرار كثير من البلدان العربية؛ وتعكس الإحصائيات حول الكثافة السكانية ذلك. بالنسبة للمساحة الكلية، الكثافة السكانية في مصر هي 77 في كل متر مربع واحد. أما بالنسبة للأماكن القابلة للسكن فحسب فالنسبة هي 1670 في المتر المربع الواحد¹.

تتضح الفروق بين العرب في مناطق مختلفة على الفور: فهم يختلفون في الطعام، واللباس وكذلك في السكن والفنون الزخرفية والأساليب العمرانية. والتنوع السياسي واضح أيضاً؛ وتشمل أنظمة الحكم الملكيات والحكومات العسكرية والجمهوريات الاشتراكية.

وبالرغم من هذه الفروق، فإن العرب أكثر تجانساً من الغربيين في نظرتهم إلى الحياة. ويشترك كل العرب في معتقدات وقيم أساسية تعبر الحدود القومية والطبقية. لكن المواقف الاجتماعية بقيت ثابتة نسبياً لأن المجتمع العربي محافظ ويتطلب الانسجام من أعضائه. وتتأثر معتقدات العرب بالإسلام، حتى وإن كانوا غير مسلمين (كثير من الممارسات العائلية والاجتماعية هي ثقافية، وسابقة للإسلام)؛ إن ممارسات تربية الأطفال هي تقريباً متماثلة؛ وبنية الأسرة هي جوهرياً نفسها. وليس العرب متقلبين كالbشر في الغرب، ولديهم احترام رفيع للتراث. إن بعض السمات التي تشترك فيها الجماعات العربية هي: دور الأسرة، البنية الطبقية، السلوك الديني والسياسي، أنماط الحياة، معايير الأخلاق الاجتماعية، حضور التغير، وتأثير النمو الاقتصادي على حياة الناس³.

مبدئياً، يمكن أن يشعر الأجانب أنه من الصعب فهم العرب، أو أحياناً أن أنماط سلوكهم هي ما كان متوقعاً. وفي الحقيقة، إن سلوكهم قابل للفهم جداً، وحتى قابل للتنبؤ. وهو ينسجم، في الجزء الأكبر، مع نماذج معينة تجعل العرب متماسكين في ردود فعلهم حيال الناس الآخرين.

من المهم للأجنبي أن يعي هذه النماذج الثقافية، وأن يميزها عن السمات الفردية. فحين يعي المرء النماذج، يستطيع أن يحقق فهماً أفضل لما يتوقعه وبالتالي يتعامل معه بسهولة. إن القوائم التالية من القيم والمواقف الدينية والتصورات الذاتية العربية محورية للنماذج الجوهرية للثقافة العربية وستُفحص بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

القيم العربية الأساسية

- من المهم التصرف في جميع الأوقات بطريقة تخلق انطباعاً جيداً لدى الآخرين.
- إن كرامة الشخص وشرفه وسمعته لها أهمية كبيرة، ويجب ألا يدخر جهداً في حمايتهم. ويُنظر إلى الشرف (أو العار) غالباً بنحو جماعي، ويرتبطان بالأسرة كلها أو الجماعة.
- يسبق الولاء للأسرة للخيارات الفردية المفضلة.
- إن الطبقة الاجتماعية والخلفية العائلية هما العاملان الرئيسان المحددان للمنزلة الفردية، يأتي بعدهما الشخصية الفردية والإنجاز.
- ينبغي أن تُصان الأخلاق الاجتماعية من خلال القانون إن أمكن.

المواقف الدينية العربية الأساسية

- يؤمن الجميع بالله، ويقرون بقوته، ولهم ارتباط ديني.

- لا يستطيع البشر التحكم بالحوادث كلها؛ فبعض الأمور تعتمد على إرادة الله، وهذا هو القضاء والقدر.
- التدين هو من أكثر السمات المثيرة للإعجاب في الشخصية.
- ينبغي ألا يكون هناك فصل بين الدين والدولة؛ يجب أن يدرس الدين في المدارس وتشجعه الحكومات (هذه هي وجهة النظر الإسلامية، لا يشترك فيها المسيحيون العرب بالضرورة).
- إن المعتقدات والممارسات الدينية الراسخة مقدسة إلى أبعد حد. فالتأويلات الليبرالية أو المحاكاة غير المقيّدة للثقافة الغربية يمكن أن تقود إلى فوضى اجتماعية، ومعايير أخلاقية متدنية، وإضعاف للروابط العائلية التقليدية، ولهذا يجب أن تُرفض*.

إدراكات ذاتية عربية أساسية

- العرب كرماء، إنسانيون، لبقون، ومخلصون. وينظر العرب إلى هذه السمات على أنها خاصة بهم وتميّزهم عن بعض الجماعات الأخرى.

* غالباً ما يُذكر سماح الغرب لتمرد الشبان، الكحول، المخدرات، العري، اللواط، والمواعيد الغرامية خارج الزواج، ونسبة المواليد غير الشرعيين (حالياً واحد بين كل ثلاثة في الولايات المتحدة)⁴ نصف مليون طفل هم في الرعاية. وتشير المسوحات إلى أن التصور السائد في البلدان العربية والإسلامية هو أن الدين والأسرة غير مهمين في أميركا. يفترضون أن ممارسات كهذه، المسموحة كجزء من الحرية الفردية، يتغاضى عنها الغربيون. أما العرب فيعدون الأخلاق الاجتماعية أكثر قيمة من الخيار الفردي.

- يمتلك العرب تراثاً ثقافياً غنياً، توضحه إسهاماتهم في الدين والفلسفة والأدب والطب وهندسة العمارة والفن والحساب والعلوم الطبيعية (بعضها قام بها غير العرب الذين عاشوا في الإمبراطورية الإسلامية). إن معظم هذه الإنجازات المميّزة غير معروفة على نحو كبير وغير مقدرة في الغرب.
- بالرغم من أن هناك فروقاً كثيرة بين البلدان العربية، فإن العرب جماعة ثقافية محددة بوضوح وينظرون إلى أنفسهم كأبناء للأمة العربية.
- تنظر الشعوب العربية إلى نفسها كضحية لاستغلال الغرب. و تمثل تجربة الفلسطينيين، بالنسبة لها، المثال الأكثر إيلاماً ووضوحاً. يُساء فهم العرب ويُوصفون بنحو خاطئ من قبل جميع الغربيين. ويعادي كثير من الناس في الغرب العرب والمسلمين. ولا يميّز كثير من الغربيين بين العرب وبين المسلمين.

الفصل الثاني

أصدقاء وغرباء

إن العلاقات مشخنة جداً في الثقافة العربية. فالصداقات تبدأ وتتطور بسرعة. ولكن المفهوم العربي للصداقة، بحقوقه وواجباته، مختلف تماماً عن مفهوم الصداقة في الغرب.

مفهوم الصداقة

ينظر الغربيون، وخاصة الأميركيون، إلى الصديق كشخص يستمتعون برفقته. ويمكن أن يطلب المرء معروفاً من الصديق أو المساعدة عند الضرورة، ولكن تطوير صداقة بنحو رئيس من أجل ما يمكن كسبه من موقع ذلك الشخص يُعدّ أمراً سيئاً. إن الصديق، بالنسبة للعرب أيضاً هو شخص يستمتع المرء برفقته. على أي حال، ما هو مهم في العلاقة بنحو مساو هو واجب الصديق في منح المساعدة والقيام بالمعروف قدر استطاعته.

يمكن أن تقود الفروق في التوقعات إلى سوء فهم، وإلى شعور لدى الطرفين بأنهما خُذلا. يشعر الغربي أنه أُوقع به للقيام بالمعروف، ويستنتج العربي أنه ليس هناك غربي يمكن أن يكون صديقاً حقيقياً. من أجل تجنب مشاعر كهذه، ينبغي أن نضع في أذهاننا ما الذي يعنيه الجانبان حين يدعو أحدهما الآخر صديقاً.

أعمال معروف متبادلة

تتطلب الأخلاق الحميدة، بالنسبة للعربي، أن لا يرفض المرء أبداً طلباً من صديق علناً. لا يعني هذا أن عمل المعروف يجب أن يُنجز فعلاً، وإنما بالأحرى أن الرد يجب ألا يكون كلا مباشرة. إذا طلب منك صديق معروفًا، افعله إن استطعت لأن هذا يبقي الصداقة مزدهرة. إذا كان غير معقول، وغير قانوني، أو صعباً جداً، فإن الشكل الصحيح هو الإصغاء بعناية واقتراح أنه بينما أنت تشكك بالنتيجة، فإنك على الأقل ستحاول تقديم المساعدة. فيما بعد، تعبّر عن أسفك وتعرض بدلاً من ذلك أن تفعل شيئاً آخر في المستقبل. بهذه الطريقة لم ترفض المعروف علناً، وتبقى مقابلاتك وجهاً لوجه ظريفة.

تحدثت مرة إلى طالب جامعي مصري أخبرني أنه كان محبطاً جداً من أستاذه الأميركي. فقد قبل الأستاذ بامتحان أعمال معروف قدمها له عندما كان مستقراً في مصر، بما في ذلك المساعدة في العثور على خادمة وشراء أثاث. وحين طلب منه المصري أن يستخدم نفوذه كي يساعده في الحصول على منحة ما بعد التخرج في الولايات المتحدة أخبره الأستاذ أنه لا فائدة من المحاولة لأن علاماته ليست عالية بما يكفي كي تؤهله لذلك. وقد اعتبر المصري هذا إهانة شخصية وشعر بالمرارة لأن الأستاذ لم يكثر به بما يكفي كي يساعده في العمل من أجل مستقبل أفضل. سيكون الرد الملائم أكثر من الأستاذ هو القيام بإيماءات مساعدة؛ مثلاً، مساعدة الطالب في الحصول على معلومات حول المنح، ومساعدته في تقديم الطلبات، وتشجيعه حتى ولو لم يكن متفائلاً بالنتيجة.

إن الأفعال أكثر أهمية بكثير من الكلمات وتحظى بقيمة أكبر في الثقافة الغربية. أما في الثقافة العربية، فإن الوعد الشفهي له قيمته الخاصة كرد. إذا لم يتبعه فعل، فإن الشخص الآخر لا يمكن أن يُحمّل المسؤولية الكاملة من أجل الفشل.

إذا فشلت في تنفيذ طلب ستلاحظ أنه مهما كان صديقك العربي آملاً أنك ستنجح، فإنه على الأرجح سيقبل أسفك برحابة صدر دون أن يسأل بدقة لماذا لم يُنجز المعروف (مما يمكن أن يحررك وربما يجبرك على الاعتراف بالفشل). ستكون راجباً بإظهار الصبر والفهم نفسيهما في التحقق عن أحد طلباتك. وتعني الأجوبة الملتبسة على الأرجح أنه ليس هناك أمل. هذه أكثر النماذج الثقافية التي يواجهها الغربيون إحباطاً في العالم العربي. ينبغي أن تتعلم التكيف على هذه الفكرة بدلاً من أن تحاربها.

حين يقول العرب نعم لطلبك، فهم ليسوا بالضرورة متأكدين أن الفعل سيُنجز أو يمكن أن يُنجز. تتطلب آداب السلوك أن يكون لطلبك رد إيجابي. أما النتيجة فهي مسألة منفصلة، والرد الإيجابي على طلب هو إعلان القصد وتعبير عن النية الحسنة لا أكثر. نعم يجب ألا تفهم حرفياً دوماً. ستسمع عبارات مثل: إن شاء الله، تُستخدم في صلة مع الوعود. هذا مطلوب ثقافياً، وأحياناً يؤدي إلى منح الموقف درجة أخرى من اللاتيقين.

إن التعبير عن حسن النية بدلاً من نقد أفكار الشخص أو رفض الطلب بحدة أكثر لباقة. العرب يستجيبون لمفهوم في اللباقة مختلف ومحدد ثقافياً؛ وهذا لا يعني أنهم «يكذبون» أو أنهم غير اتكاليين. هذه نقطة حاذقة، وتعتمد على الموقف*.

أحياناً يطلب عربي من شخص آخر شيئاً ثم يضيف عبارة: «افعل هذا من أجلي». تبدو هذه الجملة غريبة للأجنبي، خاصة إذا كان الشخصان المعنيان لا يعرفان بعضهما جيداً، لأن هذا ينطوي على أن الشخص الذي يطلب الطلب يعترف أنه سيعتبر نفسه مديناً كي يعيد الطلب في المستقبل. إن عبارة «من أجلي» فعالة جداً في الثقافة العربية إذا أضيفت إلى طلب.

يتوقع العرب الولاء من أي شخص يُعد صديقاً. بالتالي ليس هناك مبرر له كي يستاء الصديق حين يطلب منه معروف، بما أنه سيفهم من البداية أن منح المعروف وتلقيه جزء ضمني من العلاقة. لن يشكل العرب صداقة أو يديمونها إلا إذا أحبوك واحترموك؛ وليست صداقتهم محسوبة أو خادمة للذات كما يمكن أن تبدو. ذلك أن ممارسة تربية صديق من أجل استخدامه فحسب غير مقبولة بين العرب كما هو الأمر بين الغربيين.

* هذا من تسجيل حديث لكلمة ألقتهها امرأة قطرية: «ليس هناك إطراء لبق أو مداورة» - أحببت هذا في أوروبا. يقولون الحقيقة حين يتحدثون. إذا أحب أحد ما شيئاً يقول لك نعم. إذا لم يحبه، يمكن أن يقول لا. يمكن أن أغتاط، ولكنها الحقيقة¹.

مقدمات

يحدد العرب بسرعة الوضع الاجتماعي لشخص آخر وارتباطاته حين يلتقون به. وهم يقدمون في العادة المزيد من المعلومات عن أنفسهم أكثر مما يفعل الغربيون. يمكن أن ينغمسوا في قليل (أو كثير) من المديح الذاتي ومديح أقاربهم وأسرههم، ويمكن أن يقدموا معلومات تفصيلية عن صلاتهم الاجتماعية. حين يلتقي الغربيون بشخص ما للمرة الأولى، يحاولون حصر المعلومات الشخصية في العموميات عن تعليمهم ومهنتهم واهتماماتهم.

إن المعلومات عن العائلة والصلات الاجتماعية مهمة بالنسبة للعرب، وقد تكون أهم من المعلومات عن أنفسهم. وما يريدونه منك أيضاً هو المعلومات العائلية. يمكن أن يجدوا ردك غير ملائم بحيث يتساءلون إن كنت تخفي شيئاً ما، بينما يكون الانطباع المتشكك لديك هو أن كثيراً مما يقولونه مليء بالتفاصيل ولا علاقة له بالموضوع. ويقدم كلا الطرفين المعلومات التي يعتقدان أن الآخر يريد معرفتها.

إن حديث أصدقائك العرب عن شبكة النفوذ ليس من باب التباهي، وليس غير ذي صلة بالموضوع. يمكن أن يتبين أن هذه المعلومات مفيدة جداً إن حدثت وكنت في حاجة إلى صلات شخصية من مستوى عال، ويجب أن تقدّر عرض المساعدة القوية ممن هم داخل الجماعة. أصغ بعناية لما لديهم كي يقولونه.

نماذج الزيارة

يشعر العرب أن الأصدقاء الجيدين ينبغي أن يشاهدوا بعضهم بعضاً، على الأقل بعد كل بضعة أيام، ويوجهون دعوات كثيرة لبعضهم بعضاً. أما الغربيون الذين لديهم أصدقاء عرب فيشعرون أحياناً أنهم مغمورون بالاتصال المتكرر ويتساءلون إن كانوا سيحصلون على أي خلوة. ليس هناك مفهوم للخلوة بين العرب. وفي الترجمة، إن أقرب كلمة عربية إلى العزلة تعني «الخلوة»!

شكا مقيم بريطاني في بيروت مرة أنه لم يكن لديه هو وزوجته أي وقت تقريباً كي يخلوا ببعضهما. فالأصدقاء العرب والجيران وصلوا الزيارة دون علم مسبق وغالباً ما كانوا يبقون حتى وقت متأخر. قال: «لدي صديق واحد اتصل وقال: لم أشاهدك في أي مكان. أين كنت في الأيام الثلاثة الماضية؟».

حتى الآن، إن الشكل الأكثر شعبية للتسلية في العالم العربي هو المحادثة؛ فالعرب يستمتعون بالأحاديث الطويلة في في أثناء الوجبات أو تناول الكثير من فناجين القهوة والشاي. عليك أن تتوقع القيام بتبادل الدعوات، بالرغم من أنه ليس عليك أن تجاري بدقة عدد الدعوات التي تتلقاها. إذا توسّلت من أجل الخلوة أو أصبحت متوانياً جداً في التواصل الاجتماعي، سيتساءل الناس إن كانوا قد أسأؤوا إليك، أو إن كنت لا تحبهم، أو إن كنت مريضاً. بوسعك القول أنك كنت مشغولاً جداً، ولكن اللجوء إلى هذا في غالب الأحيان دون شرح كاف يمكن أن يعتبر إساءة. «ربما» يظن أصدقاؤك «إنك مشغول جداً بالنسبة لهم».

شهدتُ مرةً مثلاً كلاسيكياً حول حبٍ عربية (وخاصةً مصرية) للرفقة في القاهرة. بعد حوالي ثلاث ساعات في حفلة حيث كنت محاطة بالموسيقى الصاخبة والأصوات المرتفعة، خرجت إلى الشرفة للحظة كي أستنشق الهواء النقي. لاحظت إحدى النساء ذلك وتبعنتني على الفور، وسألتنني: «هل من خطب؟ هل أنت غاضبة من أحد؟»

وقد قال أميركي من أصل عربي:

بوسعك الحصول على جو شخصي أكثر في الولايات المتحدة. أظن أن هذه أفضل طريقة للتعبير عن الأمر. هناك، تحصل على الخلوة حيث تريدها. أما في المجتمع العربي فإنهم في الحقيقة لا يفهمون فكرة أنك تريد أن تكون وحيداً. هذا يعني أنك مجنون، وأنت غاضب من شيء ما، أو أنك متضايق ويجب أن يكون أحد ما معك»².

يريد الناس أن يحيط بهم الآخرون حين يكونون مرضى في المستشفى أو في حالة نذب، وهي أوقات يفضل الغربي أن يكون فيها وحيداً. إن جميع غرف المستشفيات فيها تسهيلات للأقرباء، ولا يستطيع المريض إبقاءهم في الخارج، حتى لو أراد ذلك. ويشعر العرب بأنهم وحيدون بنحو رهيب في مكان جديد حيث لا يعرفون أحداً؛ ذلك أنهم يفقدون أمناً مريحاً. هذا وصف لامرأة عربية وصلت لتوها إلى إنكلترا، كتبته ابنتها:

كرهتُ الطقس البارد والمطر وشكّنتُ من أنها بالكاد تستطيع جعل المنزل دافئاً. كانت وحيدة وناقت إلى الرفقة. في العالم العربي، لا تكون وحيداً للحظة واحدة. ذلك أن أصدقاءك وجيرانك متوافرون دوماً للاتصال كل يوم، وفي أي حال، هناك الأسرة حولك في كل الأوقات³.

إذا لم تكن راغباً في زيادة وتيرة أو كثافة صلاتك الشخصية، يمكن أن تجرح مشاعر أصدقائك وتؤذي العلاقة. فالتعبيرات الطقسية الجوفاء التي تُستخدم في السلام الغربي وفي التوديع مثل: «يجب أن نلتقي في وقت ما»، يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي ويكون لديك مهلة أسبوع تتابع فيها دعوة قبل أن يُشكك بإخلاصك.

يقرّر بعض الغربيين، بما أنهم يعلمون عن العلاقات المعقدة والمستهلكة للوقت التي تتطور بين الأصدقاء، الحفاظ على المعارف عن بعد. إذا لم تقبل أي أعمال معروف، فإنه لن يُطلب منك في النهاية أي عمل معروف، وستحصل على مزيد من الوقت لنفسك، ولكنك ستكتشف حالاً أنه ليس لديك أصدقاء عرب. إن الأصدقاء العرب كرماء بوقتهم وجهودهم لتقديم المساعدة لك، ويرغبون أن يضايقوا أنفسهم من أجلك، ويهتمون برفاهك. سيذهبون إلى مسافات طويلة كي يكونوا مخلصين ويمكن الاعتماد عليهم. إذا أمضيت بعض الوقت في بلد عربي، ستكون خسارة شخصية كبيرة لك إذا لم تطور أية صداقات عربية.

صداقات العمل

تكتسب الصلات الشخصية قيمة أكبر وتؤسس بسرعة في علاقات العمل. فالعرب لا يتلاءمون بسهولة في أدوار غير شخصية، مثل دور «زميل العمل» (دون تواصل اجتماعي خاص مقدم أو متوقع) أو دوري «المشرف/ الموظف» (حيث يمكن أن تكون هناك علاقات ودية في أثناء ساعات العمل بل حيث لا تُناقش اهتمامات العمل). بالنسبة للعرب، جميع المعارف أصدقاء محتملون».

إن علاقة شخصية جيدة هي العامل الوحيد الأكثر أهمية في القيام بالعمل بنجاح مع العرب. فمحادثة خفيفة مختصرة قبل البدء بنقاش العمل يمكن أن تكون فعالة جداً في وضع النبرة الصحيحة. ومن عادة العرب القيام بحديث جانبي لبضع دقائق في بداية اجتماع ليسألوا عن صحة بعضهم بعضاً وعن الأنشطة الأخيرة. وإذا قمت بزيارة عمل إلى عربي من الأفضل أن تجعل مضيفك يقود المحادثة في هذا الصدد، فإذا كان مستعجلاً يمكن أن يطرح موضوع العمل على الفور؛ أما إذا لم يكن مستعجلاً يمكنك أن تستشف من خفوت مجاملات الحديث متى يحين الوقت لطرح هدف زيارتك. وإذا زارك عربي، لا تندفع بسرعة إلى مناقشة العمل كي لا تبدو فظاً.

أخبرني مدير مكتب مبيعات لشركة معدات بريطانية في الكويت عن عدم قدرته في البداية على اختيار باعة فعالين. عرف أن أفضل البائعين ليسوا بالضرورة الأكثر معرفة، أو لهفة، أو فعالية. إن أفضل البائعين هم المسترخون المولعون بالعلاقات الشخصية والذين يصبرون بما يكفي لإنشاء علاقات شخصية ودية مع زبائنهم.

ستجد أنه من المفيد الحصول على معرفة واسعة حول دوائر العمل، وإذا عرفت كيف تجمع بين العمل والمتعة، سترى حالاً كيف تساعد المتعة على تقدم العمل. ففي النهاية تقود العلاقات الشخصية إلى فعالية أكبر أكثر من إتباع القواعد والقوانين. وقد برهن هذا مرة بعد أخرى، حين يقطع اتصال هاتفي سريع مع الشخص الملائم إجراءات مطوّلة وعوائق لا يمكن اجتيازها على ما يبدو.

علاقات المكتب

حين يعمل الغربيون مع الأشخاص أنفسهم كل يوم في مكتب، يصبحون أحياناً عاديين جداً في السلام. أما العرب فيحرصون على تحية كل من يرونه بـ«صباح الخير» أو «طاب يومك» إن كان هذا اللقاء الأول في اليوم، وسيأتون إليك كي يقولوا: «الحمد لله على السلامة» حين تعود بعد غياب. لا يلقي بعض الغربيين السلام، وخاصة إن كانوا مذهولين أو مسرعين، ويلاحظ زملاء العمل العرب ذلك دوماً. وهم يفهمون هذا عادة ولا يشعرون بالإهانة، ولكنهم يعتبرون ذلك افتقاراً للسلوك الحميد.

مرت ممرضة أميركية في مدينة الطائف السعودية بتجربة مماثلة في إحدى المناسبات حين اتصلت بالمشرف السعودي كي تخبره عن الترتيبات من أجل تدريبات الطوارئ. كانت تحصي الخطوات التي اتخذت حين قال السعودي: «هذا رائع، لكن لحظة من فضلك: كيف حالك اليوم؟»

إذا أحضرت الطعام أو الوجبات الخفيفة إلى المكتب، سيكون من الجيد أن تحضر ما يكفي كي تدعو شخصاً آخر. فالعرب يثمنون عالياً حسن الضيافة وستفاجئهم إذا أكلت أو شربت وحدك، دون على الأقل أن تحاول القيام بدعوة الجميع. إن الدعوة طقس، وإذا كان واضحاً أن هذا غداءك أو أن كمية الطعام لا تكفي سواك فإن الدعوة تُرفض بلباقة؛ وهذا يعتمد على الموقف.

تذكر أن تسأل عن زملاء العمل والعمال المشتركين إن كانوا مريضين، واسأل عن همومهم الشخصية بين وقت وآخر. فالعرب يذكرون ما يحدث في حياتهم، وعادة يذكرون أموراً جيدة مثل رحلات ملحة، أعراس، وتخرج. لست بحاجة لتخصيص وقت طويل لهذا؛ فما يهم هو الإيماءة.

من المتوقع في المكاتب العربية أن يطري المشرفون والمديرون العرب موظفيهم بين وقت وآخر، كي يطمئنوهم أن عملهم ملحوظ ومقدر. إن المديح المباشر، مثل «أنت موظف ممتاز ورصيد حقيقي لهذا المكتب»، يمكن أن يكون مربكاً قليلاً للغربي، ولكن العرب يقدمونه بنحو متكرر. يمكن أن تسمع: «أعتقد أنك شخص رائع، ويسعدني جداً أنك صديقي» أو «أنت ذكي وعارف؛ أنا حقاً معجب بك». إن أقوالاً كهذه صادقة وشائعة جداً.

قمتُ مرة بزيارة إلى مكتب هندسة أميركي في الرياض وأجريتُ محادثة مع مترجم أردني. سألته إن كان يحب عمله. أجاب بالعربية كي لا يفهم الأميركيون: «عملت هنا لسنوات. أحب العمل، ولكنني أتمنى أن يخبروني متى يكون عملي جيداً، وليس فقط حين يكتشفون

خطأ». يفترض بعض الغربيين أن الموظفين يعرفون أنهم مقدرون ما داموا مستمرين في العمل، بينما يتوقع الموظفون العرب (والأصدقاء، من أجل هذه المسألة) المديح ويرغبون به حين يشعرون أنه من حقهم. حتى حين يقدم الغربي المديح، يمكن ألا يكون كافياً في الكمية أو النوعية لنظير عربي.

النقد

يشعر الموظفون العرب عادة أن نقد عملهم، إذا ما عبّر عنه بوضوح، هو إهانة شخصية. ويُنصح المشرف الغربي جيداً بأن ينتبه حين ينتقد. يجب أن يكون النقد غير مباشر ويتضمن مديحاً لأية نقاط جيدة في البداية، وينبغي أن ترافقه تطمينات تتم عن احترام عال للفرد. فمن أجل أن تحافظ على كرامة الشخص تجنّب النقد أمام الآخرين، إلا إذا استُخدم وسيط (انظر في ما يلي من أجل مزيد من النقاش للوسطاء). إن مفهوم النقد البناء لا يمكن حقاً أن يترجم إلى العربية وغالباً ما يُعتبر النقد المباشر شخصياً ومدمراً.

تتضح الحاجة إلى الحذر في النقد جيداً في حادثة حصلت في مكتب في عمان. كان هناك مشرف أميركي ناقش مسودة تقرير لوقت طويل مع موظف أردني. طلب منه أن يعيد كتابة أكثر من نصفه، مضيفاً: «لا بد أنك أسأت فهم ما أريده بشكل كامل». شعر الأردني بأن مشاعره جُرحت وقال لأحد الموظفين: «أتساءل لماذا لا يجيني». إن المقاربة الأفضل بكثير ستكون: «أنت تقوم بعمل ممتاز هنا، وهذا

تقرير جيد. نحتاج إلى مراجعة بعض الأمور، على أي حال؛ لننظر في هذا مرة أخرى ونعمل عليه سوياً، كي نجعله أفضل».

أتذكر أنني سمعت مواجهة حادة في مكتب في تونس، حين وبّخ مشرف أميركي موظفاً تونسياً لأنه كان يصل متأخراً دوماً. حدث هذا أمام الموظفين الآخرين، كان بعضهم تابعين له. غضب التونسي ورد: «أنا من أسرة جيدة وأعرف نفسي ومركزي في المجتمع». من الواضح أنه شعر أنه تم تهديد شرفه ولم يكن مهتماً بمعالجة المسألة المطروحة.

وسطاء

إن الطلب من شخص كي يعمل كوسيط بين شخصين آخرين شائع جداً في المجتمع العربي. فالنفوذ الشخصي مفيد في جعل القرارات تُتخذ والأمور تُنجز، وغالباً ما يطلب الناس من شخص يتمتع بالنفوذ كي يمثله و(هذا يدعى في العربية الواسطة).

إذا كنت مديراً، يمكن أن تجد أن بعض الموظفين يفضلون التعامل معك من خلال شخص آخر، خاصة إن كان ذلك الشخص يعرفك جيداً. يمكن أن يخدم الوسيط كمثل لشخص ما بطلب أو مفاوض بين فريقين متنازعين.

إن التوسط أو التمثيل من خلال طرف ثالث ينقذ أيضاً ماء الوجه في حال رفض الطلب، ويمنح صاحب الطلب الثقة بأن الحد الأعلى من النفوذ قد مورس. يمكن أن ترغب بفعل هذا بنفسك إذا كانت مواجهة غير ظريفة مع شخص ضرورية. ولكن كونك أجنبياً، يمكن أن

ترتكب خطأ بسهولة في اختيار وسيط، ولهذا من الأفضل أن تستشار موظفين عرب آخرين (من رتبة أعلى من الشخص الذي تنازعت معه). تمتلك الشركات الأجنبية موظفين محليين في طاقمها يحافظون على الارتباط مع مكاتب الحكومة ويساعدون في الحصول على التراخيص. وكلما كانت معرفة الموظف بمسؤولي الحكومة أفضل، كلما تم العمل بنحو أسرع وكانت الخدمة أفضل. إن موظفي «علاقات الحكومة العربية» أساسيون، وليس هناك أجنبي يمكن أن يكون فعالاً مع مسؤولين في مواقع عالية.

ستلاحظ أن الاستخدام الواسع للوسطاء في النزاعات السياسية العربية، كأولئك الذين يقومون بدبلوماسية مكوكية، هي غالباً جوهرية في إنشاء الصلة الشخصية التي تجعل الإجماع ممكناً. ويعتمد نجاحهم على نوعية العلاقة الشخصية التي ينشئونها مع الأطراف المعنية. إذا اعترف الطرفان بالوسطاء بأنهم شرفاء وجديرون بالثقة، فإنهم ينجحون في حل المشكلة. لهذا نرى أن بعض المفاوضين والدبلوماسيين أكثر فعالية من الآخرين؛ فالشخصيات والتصورات الذاتية هي التي تحدد نجاحهم الشخصي وليس القضايا المطروحة.

يتجلى المثال الأبرز على النجاح الدبلوماسي الناجم عن الشخصية في إنجازات هنري كيسنجر حين عمل كمفاوض بين قادة سوريا ومصر وإسرائيل بعد حرب 1973. أنشأ علاقات شخصية مع الأشخاص المعنيين؛ إن تصريح السادات بأن «الدكتور هنري هو صديقي» يوضح الأمر كثيراً. وقد أسهمت هذه الصداقات بنحو كبير

في قدرة كيسنجر على مناقشة مسائل معقدة وجعل الحوار مستمراً، وهذا شيء لم ينجح أحد فيه من قبل.

على المستوى السياسي، سترى دوماً مواقف يحاول فيها قائد عربي فرد أن يتوسط في نزاعات بين حكومات عربية أخرى.

السلوكيات الخاصة والعامة

ينقسم الناس بوضوح إلى أصدقاء وغرباء في طريقة التفكير العربية. فالسلوكيات المطلوبة في أثناء التعامل مع هاتين المجموعتين مختلفة جداً. ذلك أنه من الجوهري أن تكون لبقاً وصادقاً وكرماً ومساعداً أحياناً مع الأصدقاء والمعارف الشخصيين. أما في أثناء التعامل مع الغرباء، فتطبق «السلوكيات العامة» ولا تتطلب النوع نفسه من الحذر.

من الممارسات المقبولة الاحتشاد في الصفوف، والدفع، وقيادة السيارة بعدوانية، وجعل السياح يدفعون سعراً أعلى. وإذا كنت غريباً عن الشخص أو الأشخاص الذين تتعامل معهم، فإنهم سيردون عليك كما يردون على غريب. فالاستياء من هذا السلوك العام لن يساعدك على أن تعمل بنحو أفضل في المجتمعات العربية، والحكم على الأشخاص بأنهم لا يتمتعون بسلوك جيد بسبب ذلك يعرقل تطور العلاقات المطلوبة.

يقود الناس سياراتهم بسرعة في كل أنحاء العالم العربي، ويعبرون الأزقة دون أن ينظروا، وينعطفون من الزقاق الخطأ، ويستخدمون

الزَّمور بفقدان للصبر. مع ذلك، إذا نظرت إلى السائق في عينيه أو طلبت الإذن منه، فإنه سيتحرك برحابة صدر من أجلك كي تندفع إلى الأمام أو سيمنحك حق المرور.

بينما كنت أتسوق في حانوت للسياح في دمشق، راقبت عدداً من السياح يشترون أشياء بأسعار مرتفعة جداً. حين ذهبوا، تحدثت مع الحانوتي لبضع دقائق ثم اشتريت بعض الأشياء. بعد أن غادرت، جرى طفل ورائي، أرسله صاحب الحانوت كي يعيد بعض القطع النقدية.

أينما وقفت في صف في مطار مزدحم، أحاول القيام بأحاديث خفيفة مع الناس الذين حولي. لم يحاول أي شخص تحدثت معه أن يدفعني كي يأخذ محلي؛ في الحقيقة، كانوا يفسحون المجال لي.

إن الاتصال الشخصي مهم. إذا شعرت أنك تُدفع فيما أنت تنتظر في الصف، فإن الإعلان اللطيف «إنني هنا أولاً» أو «من فضلك تقيّد بالدور» سيؤدي عادة إلى اعتذار، وسيقف الشخص على الأقل خلفك. ابق هادئاً، تجنّب المشاهد، وتذكّر أن السلوك ليس موجهاً ضدك شخصياً.

الفصل الثالث

العاطفة والمنطق

إن كيفية تعامل البشر مع العاطفة أو القيمة التي يضيفونها على السلوك الموضوعي إزاء الذاتي مشروطة ثقافياً. وبينما يُشدد بنحو معتبر على الموضوعية في الثقافة الغربية، فإن العكس صحيح في الثقافة العربية. ولكن مهما كان ما تصادفه، فهناك دوماً أسباب؛ لا يوجد سلوك عشوائي.

الموضوعية والذاتية

يُعلم الغربيون أن الموضوعية، أي فحص الحقائق بطريقة منطقية دون إدخال التحيز العاطفي، هي المقاربة الناضجة والبناءة للشؤون البشرية في الثقافة الغربية. وإحدى نتائج هذا الاعتقاد هو أن الذاتية في الثقافة الغربية - الرغبة بالسماح للمشاعر الشخصية والعواطف بالتأثير على وجهة نظر المرء بالأحداث - تمثل الافتقار للنضج. لكنّ العرب يفكّرون بنحو مختلف. فهم يضيفون قيمة كبيرة على إظهار العواطف، مما يربك الأجانب ويتعبهم. ليس من غير الشائع أن تسمع غربيين يسمون هذا السلوك غير ناضج، فارضين قيمهم الخاصة على ما لاحظوه.

وصف مدير مكتب بريطاني في السعودية مرة لي مشكلاته مع

موظف فلسطيني قائلاً: «إنه حساس جداً، وعاطفي جداً حيال كل شيء. إن ما يحتاج إليه أولاً هو النضج». وبينما يعتبر الغربيون العرب عاطفيين جداً، فإن العرب يمكن أن يجدوا الغربيين باردين ومبهمين.

يحتفظ العرب بوعي بحق النظر إلى العالم بطريقة ذاتية، خاصة إذا ذكّرهم تقويم أكثر موضوعية لموقف بحقيقة مؤلمة جداً. لن تكسب شيئاً، مثلاً، إذا أشرت إلى إنجازات إسرائيل الرائعة في استصلاح الأراضي، أو من مقارنة نوعية المواد الاستهلاكية العربية مع البضائع المستوردة. إن تعليقات كهذه لن تقود بعامة إلى نقاش جوهري حول كيف يمكن أن يستفيد العرب من خلال محاكاة الآخرين؛ من المرجح أكثر، أن يصبح المستمعون العرب غاضبين ودفاعيين، ويصرّوا أن الموقف ليس كما تصفه ويطرحوا مسائل كمثل الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية أو التدهور الأخلاقي للمجتمعات التكنولوجية. سيكون عليهم فعل ذلك، لأنك أسأت إلى كبريائهم.

القضاء والقدر

إن مفهوم القضاء والقدر، أو الإيمان بأن البشر عاجزون عن التحكم بالأحداث، يشكّل جزءاً من الثقافة العربية التقليدية. وقد أفرط الغربيون في التشديد على هذا المفهوم، على أي حال، وهو أكثر انتشاراً بين العرب التقليديين وغير المتعلمين. مع ذلك، يجب أن يفكر به، بما أن المرء يصادفه غالباً في شكل أو آخر.

يرى العرب أن مفهوم القضاء والقدر يستند إلى الاعتقاد بأن لله

سيطرة مباشرة مطلقة على كل ما يجري. فإذا حدث خطأ، يمكن أن يعتقد الناس أنفسهم من اللوم أو يستطيعون تبرير عدم القيام بأي عمل للتحسين أو التغيير من خلال إرجاع السبب إلى مشيئة الله. وبالفعل، إن الكثير من الثقة بالذات حيال السيطرة على الأحداث يعد إشارة غرور مشوبة بالتجديف. فميراث الجبرية في الفكر العربي هو أكثر وضوحاً في العبارة الطقسية «إن شاء الله»، المذكورة في الفصل الثاني.

لقد رفض الفكر الغربي الجبرية بنحو جوهري. وبالرغم من أن كثيراً من الغربيين يؤمنون بأن الله يتدخل في شؤون البشر، فإن المنطق اليوناني، وإنساني عصر الأنوار، وتجريبية العلة والمعلول جعلت الغربيين يميلون إلى النظر إلى البشر على أنهم يمتلكون القدرة على التحكم ببيئتهم ومصيرهم.

ما هو الواقع؟

إن الواقع هو ما تراه. وإذا كنت تؤمن أن هناك شيئاً يوجد، فإنه واقعي بالنسبة لك. إذا انتقيت الحقائق أو أعدت ترتيبها، وإذا كررت هذه لنفسك غالباً بما يكفي، فإنها تصبح واقعاً في النهاية.

لا ينشأ الفرق بين الغربيين والعرب من حقيقة أن هذا الانتقاء يحدث، وإنما من أسلوب كل طرف في الانتقاء. فمن المرجح أن العرب يسمحون أكثر للتصورات الذاتية بأن تحدد ما هو حقيقي وتدير أفعالهم. وهذا مصدر مشترك للإحباط لدى الغربيين، الذين غالباً ما

يفشلون في فهم لماذا يتصرف الناس في الشرق الأوسط كما يتصرفون. لا يعني هذا القول أن العرب لا يستطيعون أن يكونوا موضوعيين: إنهم يستطيعون ذلك. غير أن هناك فرقاً في السلوك الخارجي في غالب الأحيان.

إذا شعر العرب أن شيئاً يهدد كرامتهم الشخصية يمكن أن يضطروا إلى إنكاره حتى في وجه الحقائق التي تثبت العكس. ويستطيع الغربي أن يشير إلى العيوب في حججهم، ولكن ليست هذه هي النقطة. إذا كانوا لا يريدون قبول الحقائق، فإنهم سيرفضونها ويواصلون بحسب وجهة نظرهم الخاصة في الموقف. ونادراً ما يعترف العرب بالأخطاء علناً إذا كان هذا سيسبب لهم العار. فالشرف بالنسبة للعرب أهم من الحقائق.

سيفهم أي عربي ما يحدث ولن يقترح أبداً أن الطرف الآخر يكذب. ولن يصر على برهنة الحقائق ويذل هكذا الشخص الآخر («الكذب» تهمة غريبة شائعة).

أدركت امرأة أميركية في تونس حين كانت تحزم أغراضها للرحيل أنها فقدت بعض ثيابها وحقيبة. واجهت الخادمة، التي أصرت أنها لا تعرف أين الأغراض. حين عثرت المرأة الأميركية على بعض ثيابها تحت المخدة، اتصلت بضابط أمن الشركة التونسي. ذهب إلى منزل الخادمة وعثرا على مزيد من الأشياء المفقودة. كانت الخادمة متصلة بحيث لم تستطع الاعتراف بوجود الأغراض في بيتها. قال ضابط

الأمن: إنه يجب عدم تبليغ الشرطة عن الأمر؛ لأن ذل الخادمة أمام جيرانها عقوبة كافية.

روى دبلوماسي أميركي حادثة شهدها في القدس. دخل إسرائيلي إلى مقهى صغير يملكه عربي وطلب بعض البطيخ، مشيراً إليه ومستخدماً الكلمة العبرية. شعر العربي بالإهانة. توقف، هز كتفيه، وبدلاً من أن يخدم زبونه قال: «لا يوجد بطيخ!»

وفي مؤتمر عقد لمناقشة الثقافتين العربية والأميركية، روت الدكتورة رولا نادر هذه الحادثة:

إن الخطأ الذي يرتكبه أبناء ثقافة واحدة غالباً في التعامل مع ثقافة أخرى هي نقل وظائفهم إلى وظائف ثقافة أخرى. فقد ذهب عالم في السياسة إلى الشرق الأوسط كي يقوم ببعض الأبحاث في صيف ما وكي يحلل الصحف المصرية. حين جاء قال لي: «إن جميع الصحف مليئة بالعواطف. ليس هناك معلومات فيها». فقلت: «ما الذي يجعلك تعتقد أنه سيكون هناك معلومات؟»¹

إن الطريقة الأخرى في التأثير بإدراك الواقع هو اختيار الكلمات والأسماء الوصفية. فالعرب حريصون جداً على تسمية الأمكنة والبشر والحوادث والإشارة إليها، والشعارات والتسميات مشهورة وتوضح كيفية النظر إلى الأمور. ويدرك العرب أن للأسماء تأثيراً قوياً على الإدراك.

ثمة فجوة سيكولوجية كبيرة بين التسميات المتعارضة مثل «إسرائيل/ فلسطين»، «الضفة الغربية/ يهودا والسامرة»، و«المقاتلون من أجل الحرية (الشهداء إذا قُتلوا)/ الإرهابيون». وقد دعيت الحرب العربية الإسرائيلية في سنة 1967 في اللغة العربية بـ«النكسة»: بتعبير آخر، لم تكن «هزيمة». أما حرب 1973 فقد دعيت بـ«حرب رمضان» أو «حرب السادس من أكتوبر»، وليس حرب يوم الغفران.

كن واعياً للأسماء والتسميات فهي تهتم العرب كثيراً. وإذا انتبهت بعناية إلى ما تسمعه في المحادثات مع العرب وإلى ما يُكتب في صحفهم، ستلاحظ كيف ينتقون بدقة الكلمات والعبارات الوصفية. يمكن أن يصحح لك معارفك العرب («إنه الخليج العربي، وليس الخليج الفارسي»، على سبيل المثال)، وستتعلم حالاً أي مصطلحات هي مقبولة وأي مصطلحات غير مقبولة.

البعد الإنساني

ينظر العرب إلى الحياة بطريقة مشخنة. وهم يهتمون بالناس والمشاعر ويشددون على العوامل الإنسانية حين يتخذون قرارات أو يحللون الأحداث. يشعرون أن الغربيين أكثر ميلاً إلى النظر إلى الأحداث بطريقة تجريدية أو نظرية وأن معظم الغربيين يفتقرون إلى الحساسية إزاء الناس.

في العالم العربي، يرغب المدير أو المسؤول دوماً بإعادة النظر في قرار أو قانون أو مشكلة بحسب الموقف الشخصي. فأى قانون يمكن تعديله أو تجنبه من قبل شخص مقنع بما يكفي، خاصة إذا كان

الطلب مبرراً على أسس حاجة شخصية غير عادية. هذا لا يحدث في معظم المجتمعات الغربية، التي تشدد على أن يكون جميع المواطنين متساوين أمام القانون. أما في الثقافة العربية، فإن الناس أكثر أهمية من القواعد.

عبّر عن ذلك تي. ي. لورنس بنحو محكم: «يؤمن العرب بالأشخاص، وليس بالمؤسسات»². وهم يمتلكون تراثاً طويلاً من المناشدة الشخصية للسلطات كي تستثيهم من القوانين. ويتجلى هذا بنحو شائع حين يحاولون الحصول على تراخيص خاصة، وإعفاءات من الأجور، والقبول في مدرسة حين تكون الشروط غير متوافرة، أو التوظيف حين تكون المؤهلات غير كافية. فهم لا يقبلون معايير محددة مسبقاً إذا كانت هذه المعايير غير ملائمة شخصياً.

يثمنّ العرب كثيراً المقابلات الشخصية ومنح الناس الفرص لشرح حالتهم. ولا يريحهم ملء الاستمارات أو التعامل مع مؤسسة بنحو غير شخصي. يريدون أن يعرفوا اسم الشخص الأعلى الذي يتخذ القرار الأخير وهم واثقون دوماً أن رفض طلب يمكن أن يلغى إذا تم الاتصال الشخصي على مستوى عال. وبنحو متكرر، هذا ما يحدث بالضبط.

الإقناع

يضي العرب والغرييون قيمة مختلفة على أنماط معينة من المقولات، التي يمكن أن تؤدي إلى فعالية متناقضة على الجانبين حين يتفاوضان مع بعضهما بعضاً. يستجيب العرب باستعداد أكبر للحجج

المشخصة أكثر مما يستجيبون لمحاولات فرض استنتاجات «منطقية». وحين تحاول طرح قضية مقنعة في نقاشاتك مع العرب ستجد أنه من المفيد أن تدعم حججك بتعليقات شخصية. تستطيع الإشارة إلى صداقتكما أو تشدد على تأثير الموافقة أو عدم الموافقة على الفعل في الآخرين.

في الشرق الأوسط، تم تطوير التفاوض والإقناع إلى فن رائع. فالمشاركون في المفاوضات يستمتعون بمناقشات طويلة ومفعمة بالحياة وليسوا في العادة مستعجلين لإنهائها. يشعر المتحدثون بالحرية في أن يضيفوا إلى نقاط حججهم من خلال إظهار ذكائهم اللفظي، مستخدمين السحر الشخصي، وممارسين ضغطاً شخصياً، ومنخرطين في مناقشات شخصية من أجل التفكير بوجهة نظرهم.

يلعب إظهار العاطفة دوره أيضاً؛ وبالفعل، إن أحد المظاهر التي يُساء فهمها بنحو مشترك في التواصل العربي تشمل "إظهارهم" للغضب؛ فالعرب ليسوا عادة غاضبين كما يظهرون. إن رفع الصوت، وتكرار النقاط، وحتى ضرب الطاولة للتشديد يمكن أن يكون كل ذلك دليلاً على الغضب، ولكنهم يشيرون في ذهن المتحدث إلى الإخلاص. فالعربي الذي يسمع محادثة كهذه (خاصة إذا كانت بالعربية) يمكن أن يستتج بنحو خاطئ أن جدلاً يحدث. فالعاطفة تتضمن اهتماماً عميقاً ومخلصاً بجوهر النقاش.

غالباً ما يفتقر الأجانب إلى البعد العاطفي في صفقاتهم العابرة للثقافات مع العرب. فقد اكتشف رجل أعمال إنكليزي مرة أنه هو وزوجته لم يُحجز لهما في الطائرة لأن موظف البطاقات العربي شعر بالإهانة من الطريقة التي خوطب بها. ولم تكن حقيقة أن المقاعد متوافرة حجة مضادة فعالة. ولكن حين لاحظ موظف الحجز العربي أن المرأة بدأت تبكي، استسلم وقدم لهما المقاعد.

يُدخلُ العرب عادة عناصر إنسانية في مجادلاتهم. ويشددون في حديثهم حول القضية الفلسطينية، على سبيل المثال، على معاناة الأفراد بدلاً من النقاط القانونية أو ذكر الحوادث التاريخية. بدأ هذا يتغير، على أي حال، بوعي متنام حول كيفية التناغم مع طريقة تفكير الغربيين وجدلهم.



الفصل الرابع

البعد الشخصي

إن مفهوم ما يشكل سلوكاً شخصياً أو مسألة شخصية محدد ثقافياً، وثمة اختلافات ملحوظة بين العرب والغربيين. وهذا موضوع نادراً ما نوقش علانية، بما أن كيفية تعريف المرء لما هو شخصي أو خاص تبدو هكذا طبيعية لكل جماعة. في المجمل، يشعر الغربيون أن العرب يصبحون شخصيين جداً، في الحال.

المسائل الشخصية

يجب العرب أن يناقشوا النقود ويمكن أن يسألوا ما الذي دفعته مقابل أشياء أو كم راتبك (وهذا شائع أكثر بين الأشخاص غير الغربيين). إذا كنت لا ترغب بتقديم المعلومات، فكّر بالرد، دون أن تجيب. يمكنك أن تتحدث حول موضوع النقود بعامة: كم من الصعب أن تبقى في المقدمة، الأسعار المرتفعة، التضخم. بعد بضع دقائق، سيدرك المستمع أنك لا تتوي تقديم جواب حقيقي. هذه هي الطريقة التي يرد بها العرب إذا سُئلوا سؤالاً لا يريدون الإجابة عنه.

إذا كنت متزوجاً أو غير متزوج ودون أطفال، أو ليس لديك أبناء، يمكن أن يسأل العرب علناً عن السبب. فهم يرون أنه من غير المعتاد للبالغ أن يكون غير متزوج، بما أن الأسرة تُرتب الزواج لمعظم

الأشخاص وهو على أي حال أمرٌ متوقَّع من الجميع. فالناس يريدون الأطفال، وخاصة الأبناء، كي يعززوا هيبتهم ويضمنوا لهم الرعاية في سن الشيخوخة.

إن غير المتزوجين يمكن أن يجدوا أنفسهم خاضعين لجهود صناعة زواج حسنة النية من قبل الأصدقاء العرب. إذا رغبت بأن تتجنب أن «يُدبَّر لك الزواج»، يمكن أن تضطر إلى اللجوء إلى اختراع قصة حب خيالية وبعيدة! يمكنك القول: «أنا مرتبط ونحن نعد الخطط. وآمل أن الأمر لن يكون طويلاً الآن». إن أقوالاً على غرار: «لست متزوجاً لأنني لم أعر على المرأة المناسبة بعد» أو «لا أريد الزواج» لا يفهمها كثير من العرب.

حين تشرح لماذا ليس لديك أطفال، أو أطفال أكثر، لا تقل: «لا نريد المزيد من الأطفال» (من المستحيل تصديق ذلك) أو «لا نستطيع إنجاب أكثر من ذلك» (هذا أيضاً مثير للشك). إن الجواب المقبول أكثر هو: «نحب إنجاب المزيد من الأطفال، وإذا شاء الله، سنحصل على المزيد».

إن الأسئلة التي يعتبرها العرب شخصية جداً هي تلك المتعلقة بالنساء في العائلة (إذا طرحها رجل). من الأفضل أن نسأل عن «الأسرة»، وليس عن زوجة شخص أو أخته أو ابنته البالغة.

موضوعات حساسة

هناك موضوعان يفضلهما العرب في المحادثة الاجتماعية - الدين والسياسة - وكلاهما يمكن أن يكونا حساسين.

يستمتع المسلمون بمناقشة الدين مع الغربيين غير المسلمين بسبب فضولهم حيال المعتقدات الدينية الغربية ولأنهم يشعرون أنهم محقزون لمشاطرة المعلومات حول الإسلام مع الأصدقاء من باب المعروف. وهم آمنون في إيمانهم بكمال الإسلام، بما أنه يعتبر الدين الثالث والصقل النهائي للدينين الموحى بهما سابقاً، اليهودية والمسيحية. ويحب العرب أن يرشدوا الآخرين إلى الإسلام، مما يقود في النهاية إلى سؤال: لماذا لا تفكرون في اعتناقه؟ يمكن ألا يشعر الغربي بالراحة ويتساءل كيف يرفض بطريقة مقبولة. إن الجواب الأبسط، والأفضل، والأكثر قبولاً هو أن تعلن أنك تقدّر المعلومات وتحترم الإسلام جداً كدين ولكنك لا تستطيع التفكير بالارتداد إليه لأن هذا سيجرح مشاعر أسرتك. إن الخيار الآخر هو أن تؤكد للناس أنك مسيحي جاد وملتزم (إن كنت كذلك). ثمة قناعة واسعة الانتشار بأن معظم الغربيين غير متدينين؛ فإذا كنت متديناً، سيتأثر الناس كثيراً.

يجب العرب الحديث عن السياسة مع الغربيين ويطرحون فوراً مسائل مثيرة للجدل مثل القضية الفلسطينية والإرث الاستعماري والإمبريالية. مع ذلك ليسوا مستعدين لأقوال صريحة تختلف عن مواقفهم حول هذه المسائل أو حتى التعليقات غير المتعمدة التي تبدو سلبية حيال وجهة نظرهم أو داعمة للجانب المعادي من الجدل. إن الاستجابة الأكثر أماناً، إذا كنت لا تستطيع الموافقة بنحو كامل، هو أن تقتصر على الملاحظات التافهة وتنتظر أن يتغير الموضوع، معبراً عن اهتمامك بضحايا الحرب وأملك بسلام دائم. إن النقاش الصريح، بين طرفين لا يكون عادة بناءً إذا كان الموضوع عاطفياً، ويمكن أن تكتشف أن العرب لا يتذكرون إلا الأقوال التي تفوّهت بها في دعم الطرف الآخر.

ستكون قادراً على معرفة ذلك حين تطرح موضوعاً حساساً من الطريقة التي يتفادى بها صديقك العربي الجواب المباشر على أسئلتك. إذا تلقيت أجوبة مخادعة، لا تضغط أكثر؛ هناك سبب لماذا لا يريد الشخص أن يلاحق الموضوع.

من المفيد إدخال موضوعات أخرى في المحادثة إن استطعت، من أجل تغيير الموضوع. فيما يلي موضوعات مقترحة يجب معظم الناس مناقشتها:

- العصر الذهبي للعرب وإسهاماتهم في العصور الوسطى.
- السمات المطلوبة ثقافياً لـ «شخص مثالي».
- تجربة القيام بالحج.
- أسرة المرء الموسعة.
- اللغة العربية، أديبها، وشعرها.

المسافة الاجتماعية

تختلف الثقافتان العربية والغربية في درجة الراحة التي تشعران بها من اللمس المتبادل في العلاقات بين الأشخاص وفي المسافة المادية التي يحتفظون بها في أثناء الحديث. إن هذه الأعراف هي غير واعية بشكل كبير، وهكذا يمكن أن يشعر كل من العرب والغربيين بعدم الراحة دون أن يعرفوا لماذا بالضبط.

يميل العرب بعامة إلى أن يقفوا ويجلسوا قريبين وإلى لمس الآخرين (من الجنس نفسه) أكثر مما يفعل الغربيون. من الشائع أن ترى رجلين أو امرأتين يمسكان أيدي بعضهما في الشارع، وهذه مجرد إشارة على الصداقة. يجب أن تكون مستعداً لاحتمال أن يمسك العربي يدك، خاصة حين تعبر الشارع. بعد المصافحة في أثناء السلام، يمكن أن يواصل العربي الإمساك بيدك في أثناء الحديث، إذا كان من المتوقع أن المحادثة قصيرة. سيصافحك مرة ثانية حين يودعك. إن التقبيل على الخدين شكل شائع من أشكال التحية (مع أعضاء الجنس نفسه)، كما في العناق. من الشائع أيضاً لمس شخص بنحو متكرر في أثناء محادثة، غالباً من أجل التشديد على نقطة. والأطفال، خاصة إذا كانوا شقراً، يجب أن يكونوا مستعدين للمس رأسهم من قبل البالغين ذوي نية حسنة.

لا تمتلك الثقافة العربية المفهوم نفسه حول المكان العام والخاص مثل الثقافات الغربية. فالغربيون، بمعنى ما، يحتفظون بمسافة صغيرة من المكان الخاص حولهم. أما العرب، من ناحية أخرى، فلا يكونون غير مرتاحين حين يكونون قريبين إلى الغربيين أو يلمسونهم.

إن الغربيين معتادون على الوقوف في مصعد بطريقة بحيث إن الفراغ يحفظ إلى الحد الأعلى بين الناس. أما في العالم العربي فمن الشائع أن يصعد الشخص إلى المصعد ويقف قريباً منك بدلاً من أن يتحرك إلى الجانب المقابل. وحين يركب العربي الباص أو يجلس في مقعد، غالباً ما يجلس إلى جانب شخص ما بدلاً من الذهاب إلى

مكان فارغ أو يترك فراغاً بينه وبين الآخرين. ومن الأمثلة النموذجية على ذلك، ضايق هذا الميل أميركياً كان يقف في زاوية شارع في بيروت ينتظر صديقاً. كان يمتلك إطلالة جيدة على الشوارع المتقاطعة إلى أن جاء رجل لبناني إلى الزاوية، وكان على ما يبدو ينتظر شخصاً آخر، ووقف مباشرة أمامه.

حين يتحدث العرب والغربيون يمكن أن يغير كلاهما الموقف باستمرار، في نوع من الرقصة اللاواعية، بينما يقترب العربي والآخر يتراجع، وكلٌّ منهما يحاول الاحتفاظ بمسافة مريحة. بالنسبة للعرب المكان المريح للمحادثة الاجتماعية العادية هو تقريباً نفسه الذي يحتفظ به الغربيون لمحادثة حميمة.

كان عالم الأنثروبولوجيا إدوارد ت. هول أول من كتب عن مفهوم المكان الشخصي في كتابه الكلاسيكي البعد الخفي، الذي لم يضاهاه كتاب آخر حتى الآن:

بالنسبة للعربي، ليس هناك شيء يدعى التطفل علناً. العطن يعني العطن. أما في العالم الغربي، فالشخص مترادف مع فرد داخل جلد. وفي أوروبا الشمالية بعامة، الجلد وحتى الملابس يمكن أن تكون غير منتهكة الحرمة. تريد إذناً للمس أي منهما إن كنت غريباً... بالنسبة للعربي، إن موقع الشخص بالعلاقة مع الجسد مختلف تماماً. يوجد الشخص في مكان ما في الجسم... إن حشر الأنا داخل صدفة الجسم لا يسمح بكثافات

سكانية عالية فحسب وإنما يشرح أيضاً لماذا الاتصالات العربية مكثفة جداً بالمقارنة مع نماذج الاتصال الأوربية الشمالية. فالضجيج المرتفع أكثر، والنظرة الثاقبة للعينين، ولمس الأيدي، والاستحمام المتبادل في النفس الرطب في أثناء الحديث يمثلون تغذية حسية مكثفة إلى درجة يجدها كثير من الأوروبيين مفرطة بنحو لا يُحتمل¹.

لستم بحاجة إلى تبني نماذج اللمس العربية، بالطبع؛ كونوا واعين إنها مختلفة عن نماذجكم واقبلوها كطبيعية وعادية. تنويه: في السعودية وبلدان شبه الجزيرة العربية، ليس لمس الأشخاص الآخرين منتشرًا ويمكن أن يعتبر عدائياً.

الإيماءات

يقوم العرب باستخدام ليبرالي للإيماءات حين يتحدثون، خاصة إذا كانوا متحمسين حيال ما يقولونه. فالإيماءات اليدوية والوجهية جزء مهم من التواصل العربي. وإذا كنت قادراً على معرفتها، فستحصل على المعنى الكامل لما يُقال لك.

وقد سجّلنا هنا بعض الإيماءات الأكثر شيوعاً التي تُستخدم في البلدان العربية. هناك تنوعات بين البلدان، ولكن معظم الإيماءات تُستخدم على نطاق واسع. فالرجال يستخدمون الإيماءات أكثر مما تفعل النساء. يجب ألا تحاول استخدام هذه الإيماءات (غالباً ما يستخدم الأجانب الإيماءات في المكان أو الموقف الخطأ)، ولكن يجب أن تعرفها.

- تحريك الرأس قليلاً إلى الخلف ورفع الحاجبين = كلا. إرجاع الرأس إلى الخلف ورفع الذقن = كلا. إرجاع الذقن قليلاً وإصدار صوت باللسان = كلا.
- بعد المصافحة، ووضع اليد اليمنى على القلب أو الصدر = السلام على شخص باحترام أو إخلاص.
- رفع اليد اليمنى، راحة الكف إلى الأسفل، وتحريكها كأنك تغرف شيئاً ما منك = اذهب من هنا.
- رفع اليد اليمنى، راحة الكف إلى الأعلى، وفتحها وإغلاقها = تعال إلى هنا.
- رفع اليد اليمنى، راحة الكف إلى الأعلى، ثم إغلاق نصفي لليد وإمسакها = هاتها.
- رفع اليد اليمنى إلى الأعلى، راحة الكف إلى الأسفل، وتحريكها إلى الأعلى والأسفل ببطء = اهدأ.
- رفع اليد اليمنى، راحة الكف إلى الأعلى، ولس الإبهام ورؤوس الأصابع = اهدأ؛ اصبر؛ ببطء.
- رفع السبابة اليمنى وتحريكها من اليسار إلى اليمين بسرعة عدة مرات («ماسحة الزجاج») = كلا؛ أبدأ.
- رفع اليد اليمنى، راحة الكف إلى الأسفل، ثم لي اليد بسرعة لإظهار راحة الكف إلى الأعلى = ماذا؟ لماذا؟

الأسماء

في كثير من المجتمعات الغربية، إن إحدى الإشارات إلى حميمية العلاقة الشخصية هي استخدام الأسماء الأولى. أما في العالم العربي فيُستخدم الاسم الأول على الفور، حتى ولو سبقته «أنسة» أو «سيدة». فالعرب لا يشيرون إلى الشخص باسمه الثالث، أو «الأخير». وتتألف الأسماء العربية، لكل من الرجال والنساء، من اسم أول (اسم الشخص)، اسم الأب واسم الجد من ناحية الأب، يتبعه اسم العائلة (في بلدان تُستخدم فيها أسماء العائلة). بتعبير آخر، إن اسم العربي هو خيط من الأسماء التي تسجل الأسلاف من ناحية الأب. يمكن أن يكون المثال الغربي جون (الاسم المعطى) روبرت (والده) ويليم (جده) جونز.

ولأن الأسماء تعكس النسب من ناحية الأب، تمتلك النساء أسماء ذكورية بعد اسمهن الأول. ويضمّن بعض الأشخاص (ابن) أو (بن) أو (بنت) بين أسماء الأسلاف. هذه الممارسة شائعة في شبه الجزيرة العربية؛ على سبيل المثال، عبد العزيز بن سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية وخليفة بن زايد، حاكم الإمارات العربية المتحدة. أما في شمال إفريقيا فتستخدم كلمة (بن) أو (ولد) لتعني ابن فلان، (بو) (والد) أيضاً عنصر شائع في أسماء العائلة. والأمثلة هي شخصيات سياسية مثل عبد العزيز بو تفلقة، رئيس الجزائر؛ معاوية ولد سيدي أحمد طابع، رئيس موريتانيا؛ وزين العابدين بن علي، رئيس تونس.

ولأن اسم الشخص الأول هو الذي يعبر عنه، يستخدمه العرب من لحظة تعرفهم عليه. يمكن أن يتوقع رجل غربي بأن يُنادى «السيد بيل» أو «السيد جون». إذا كان متزوجاً تخاطب زوجته بـ «السيدة ماري»، أو من الممكن «السيدة بيل». وتستخدم الأسماء الأولى أيضاً مع ألقاب مثل «دكتور» و«بروفسور».

يمكن أن يحتفظ الشخص بعدة أسماء لأهداف قانونية ولكنه غالباً ما يحذفها في الاستخدام اليومي. إن شخصاً يدعى أحمد عبد الله علي محمد، على سبيل المثال، سيُعرف بنحو شائع باسم أحمد عبدالله؛ وإذا كان له اسم عائلة أو قبيلة، لنقل الحارثي، فسيُعرف باسم أحمد عبد الله الحارثي أو من المحتمل أحمد الحارثي. وبنحو مشابه، إن امرأة اسمها الكامل زينب عبد الله علي محمد الحارثي يمكن أن تعرف باسم زينب عبد الله أو زينب الحارثي. ولا يكون الناس منسجمين دوماً حين يذكرون أسماءهم في مناسبات مختلفة.

في بلدان شبه الجزيرة العربية تسجل أدلة الهاتف الأشخاص تحت اسم عائلاتهم. وعلى أي حال، في بعض البلدان العربية يسجل دليل الهاتف الأشخاص بأسمائهم الأولى، لأن الاسم الأول هو الاسم الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه بأنه حاضر دوماً (ولا تعمل أدلة الهاتف جيداً؛ ونادراً ما يُرجع إليها). وتجد بعض مؤسسات العمل من الأسهل إبقاء جدول الرواتب بالاسم الأول.

يحدد اسم الأسرة أو الاسم القبلي أسرة ضخمة واسعة أو مجموعة ما يزال أفرادها يعدون أنفسهم مقيدين بروابط القرابة والشرف. يمكن أن يكون اسم العائلة جغرافياً (حجازي، من «الحجاز»؛ حلبي من حلب)؛ أو يشير إلى مهنة (حداد؛ نجار)؛ أو وصفاً (الأحمر، الطويل)؛ أو يشير إلى القبيلة (الحارثي؛ قريشي)؛ أو يبدو كاسم شخصي لسلف مشترك (عبد العزيز، إبراهيم).

لا تغيّر المرأة العربية المسلمة اسمها بعد الزواج، بما أنها لا تأخذ سلسلة نسب زوجها. والعرب فخورون جداً بأسرة أمهم ويريدونها أن تحتفظ بالاسم وتشير إليه. وتدعى الزوجة «سيدة» مع اسم زوجها الأول أو الأخير بنحو غير رسمي فحسب.

حين ينجب الناس أطفالاً، فإن الطريقة غير الرسمية ولكن الممتعة جداً واللبقة لمخاطبة الوالدين هي باسم الابن الأكبر: أبو أو أم؛ على سبيل المثال أم أحمد. تعد كلمات الخطاب هذه محترمة، وأم مفيدة خاصة في أثناء التحدث إلى امرأة لأنه يقدم طريقة أقل شخصانية في مخاطبتها.

لا يسمى العرب أبناءهم باسم الأب، ولكن تسمية الابن باسم جده شائعة. ستقابلون الكثير من الأشخاص الذين أسماؤهم الأولى والثالثة هي نفسها.

تُستخدم الألقاب في العربية أكثر مما تُستخدم في الإنكليزية. إن أي شخص يحمل شهادة دكتور في الطب أو دكتوراه يخاطب بـ «دكتور» للرجل و«دكتورة» للمرأة. ومن المهم العثور على أية ألقاب يمكن أن يحملها الشيخ؛ فحذف اللقب يمكن أن يكون مهيناً. «شيخ» لقب

محترم لرجل ثري كبير ومؤثر. وزراء الحكومة يخاطبون بـ «معالي»، ويمنح المسؤولون الكبار اللقب المشرف «سعادة» قبل ألقابهم أو أسمائهم. وتمتلك معظم الأسماء العربية معاني ويمكن أن تشكل إشارات حول حقائق معينة تتعلق بالشخص. وتشير كثير من الأسماء إلى الدين أو مسقط الرأس. ولأن تبادل المعلومات الشخصية مهم جداً، فإن بعض الناس يعرفون أنفسهم بخلائط طويلة متنوعة من الأسماء، خاصة إن كانت أسماؤهم الأولى والأخيرة غامضة (تستخدمها أكثر من مجموعة).

من المفيد للأجانب أن يكونوا قادرين على تحديد هوية الناس، على الأقل جزئياً، لدى سماع أسمائهم. إليكم ببعض التوجيهات:

- إذا كان الاسم غريباً (جورج، أنطون، ماري) فإنه يشير إلى أن الشخص مسيحي.
- إذا كان الاسم اسم شخصية معروفة في التاريخ الإسلامي (محمد، بلال، صلاح الدين، فاطمة، عايشة) فإنه يشير إلى مسلم.
- إن معظم الأسماء التي ترد فيها كلمة عبد هي إسلامية. ويعني الاسم العبد للرحمن؛ عبد الكريم (خادم الكريم). هناك بضعة أسماء مسيحية على هذا النمط مثل عبد الملك، عبد المسيح). ولكن بوسعك الافتراض حوالي 90% من الوقت أن الذي يحمل اسماً كهذا هو مسلم. ومعظم أسماء الله الحسنى التي يبلغ عددها تسعة والتسعين (الجبار، العليم، الرؤوف، الحكيم، إلخ). تُستخدم حالياً كأسماء.

- الأسماء التي تحتوي على كلمة دين هي مسلمة (شرف الدين، بدر الدين، صلاح الدين).
- كثير من الأسماء هي صفات فحسب (عزيز، سعيد، أمين، حسن). وهي لا تشير إلى الدين.
- الأسماء المأخوذة من القرآن والكتاب المقدس (إبراهيم، سليمان، داود، يوسف) لا تميز إن كان الشخص مسيحياً أو مسلماً أو يهودياً. عيسى اسم شائع بين المسلمين.



الفصل الخامس

الرجال والنساء

تعتمد طبيعة التفاعل بين الرجال والنساء في المجتمع العربي على الموقف. فالتفاعل المتواصل متوقع في العمل أو مواقف مهنية (بالرغم من أنه يبقى متحفّظاً في المجتمعات الغربية، وهو ممنوع في المملكة العربية السعودية) ولكن التفاعل الاجتماعي مسيطر عليه بحرص شديد. وتختلف درجة السيطرة بين البلدان العربية، بحسب نزعة المحافظة النسبية، غير أن التفاعل بين الرجال والنساء ليس حراً وعادياً في أي مكان مثلما هو في المجتمعات الغربية.

التفاعل الاجتماعي

إن الحفاظ على شرف الأسرة هو أعلى القيم في المجتمع العربي. ويفشل الكثير من الغربيين في فهم ذلك، والسبب في ذلك هو أنه يُعتقد أن سوء السلوك لدى المرأة يؤدي شرف الأسرة أكثر من سوء سلوك الرجال، وتم تطوير نماذج للسلوك محددة بوضوح لحماية النساء (من وجهة النظر التقليدية) ومساعدتهن على تجنب مواقف يمكن أن تؤدي إلى تكوين انطباعات أو ثرثرة لا أساس لها. ولا تتفاعل النساء بحرية إلا مع نساء أخريات وأقرباء ذكور.

إن الرجال والنساء العرب حريصون على المظاهر حين يلتقون. يتجنبون مواقف يكونون فيها وحيدين، حتى لوقت قصير. فمن غير اللائق أن تكونا في غرفة سوية والباب مغلق، أو أن تخرجا في موعد، أو تسافرا سوية، حتى لو في نزهة نهائية قصيرة. فحراسة صورة المرأة ليست خياراً شخصياً أو عائلياً؛ إنما هي مفروضة من الثقافة، كما كانت الوصيفات مطلوبات في المجتمع الغربي. وليست المسألة شخصية المرأة، أو ما حدث ولم يحدث، وإنما كيف تبدو.

هناك أنشطة مشتركة تتم بوجود أشخاص آخرين. وفي المناسبات الاجتماعية المختلطة تتم مرافقة النساء من أزواجهن أو أقرباء ذكور. وفي المملكة العربية السعودية تقوم «الشرطة الدينية» غالباً باستجواب شخصين في مطعم أو في سيارة سوية وتطلب إثباتاً أنهما متزوجان.

يجب أن يعي الأجنب القيود المتعلقة بالاتصال بين الرجال والنساء العرب ثم يفكروا بظهورهم أمام الآخرين. يحصل العرب بسرعة على انطباع سلبي إذا تصرفت بكثير من الألفة (المفترضة) مع شخص من الجنس الآخر. سيفسرون سلوكك من وجهة نظرهم ويمكن أن يستنتجوا أنك تتمتع بمعايير أخلاقية متدنية. وإذا شمل حادث مريك رجلاً غربياً وامرأة عربية يمكن أن يشعروا أن الغربي أهان شرف المرأة، وبالتالي هدد شرف العائلة.

يمكن أن يشعر الرجل الغربي بالحرية في مصافحة امرأة عربية في لقاء اجتماعي (بالرغم من أنه هذه ليست ممارسة شائعة في

المملكة العربية السعودية)؛ ولكن مناقشتها التالية يجب أن تتضمن أشخاصاً آخرين. إن امرأة غربية متزوجة يمكن أن تزور الرجال العرب وتتبادل الزيارة معهم، على أساس أن زوجها يرافقها. إذا كانت المرأة غير متزوجة أو لم يكن زوجها حاضراً، ينبغي أن تكون متحفظة أكثر.

في كثير من البلدان العربية، ينفصل الرجال والنساء إلى مجموعات محادثة بعد وقت قصير من وصولهم إلى لقاء اجتماعي؛ ويعتمد هذا على عادات المنطقة المعنية. ففي المملكة العربية السعودية غالباً ما تُقضى النساء من التجمعات الاجتماعية، أو يمكن أن يكن أكثر تقييداً في سلوكهن حين يُسمح لهن بالمشاركة. من المهم الإشارة إلى أن الانفصال الاجتماعي لا يمارس لمجرد أن العادة تقتضي ذلك؛ فغالباً ما يفضل الرجال والنساء لأنهم يشعرون براحة أكبر. فالغربيون يمكن أن يتوقعوا قضاء الكثير من وقتهم الاجتماعي في مجموعات كلها ذكور أو كلها إناث.

يجب أن يفكر الرجال والنساء الغربيون أيضاً بمظهرهم أمام الآخرين حين يتفاعلون فيما بينهم. إن سلوكاً مثل التحيات الحماسية الزائدة والمحادثة النشيطة والقائمة على التنكيت والدعوات العادية إلى الغداء يساء تفسيرها بسهولة من قبل العرب وتعزز من آرائهم المسبقة حول الغربي المنحل أخلاقياً.

إظهار الحميمية

إن الإظهار العلني للحميمية بين الرجال والنساء ممنوع من قبل القانون الاجتماعي العربي، بما فيه إمساك اليدين أو شبك الذراعين أو أية إيماء عاطفية كالقبلة أو اللمس المطوّل. إن أفعالاً كهذه، حتى بين الرجل وزوجته، مربكة جداً للمشاهد العربي. فقد طُلب مرة من زوج وزوجته أن يغادرا المسرح في القاهرة لأنهما كانا يمسكان أيدي بعضهما.

يُعتبر هذا النمط من السلوك إهانة خطيرة في المملكة العربية السعودية، والحوادث وسوء التأويل متكررة. حين شوهدت امرأة أمريكية تصعد إلى السيارة مع رجل أميركي، وتجلس إلى جانبه وتقبّله على خده طلب نقيب من الحرس القومي السعودي صادف وشاهدهما أن يثبتا أنهما متزوجان. كانا متزوجين، ولكن ليس من بعضهما. رُحلت المرأة، والرجل الذي ضاعف مشكلته بسبب الجدل، أرسل إلى السجن. وما يزال معظم الناس لا يوافقون حتى على تصرف مثل إمساك الأيدي (وخاصة بين الشبان في البلدان الأقل تقليدية).

وضع المرأة

تتنوّع درجة اندماج المرأة في القوّة العاملة وانتشارها الحر العلني بين البلدان العربية. ففي المغرب وتونس ومصر وسوريا والأردن والعراق كانت النساء المتعلمات نشيطات في جميع مستويات المجتمع.

فقد كانت النساء رئيسات للدولة في أربع بلدان إسلامية غير عربية: باكستان وبنغلادش وإندونيسيا وتركيا.

وفي دول الخليج العربي ثمة عدد أقل من النساء يملكن وظيفة خارج المنزل (قلة بحاجة إلى الدخل)، ولكن هناك دفع كبير من هذه الحكومات لتشجيع تعليم المرأة والمشاركة في مكان العمل. تشكّل المملكة العربية السعودية حالة خاصة، فالنساء يحصلن فيها تعليماً جيداً، ولكن قلة حاضرة في مكان العمل. فالذين يعملون، هم بنحو رئيس في المهن، في كل البيئات غير الأنثوية؛ الاستثناء هو للمهن الطبية. وتدعم كل الحكومات العربية الآن الجهود لزيادة فرص تعليم المرأة.

«إن قضايا النساء تنتقل إلى الواجهة في العالم العربي. ويمكن ألا تكون العملية سريعة كما يرغب بعضهم، ولكنها تحدث»، كما قال الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى، في المنتدى الدولي السنوي الثالث حول المرأة العربية¹. وفي ملاحظة مشابهة، قالت ودودة بدران الأمينة العامة لمؤسسة النساء العربيات: «لم يقل أحد إن التغيير سيحدث بين عشية وضحاها. على الأقل لدينا التزام الحكومات بأنها تريد أن تعمل في هذا الاتجاه»².

كانت بعض البلدان العربية بارزة لعقود في تحسين وضع النساء. ففي 1956 سنّ الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة قوانين تحسّن من الوضع القانوني للنساء؛ وكان يفتخر بأنه يُعرف باسم «محرر النساء».

وقد عدّلت العراق قانون الأحوال الشخصية بخصوص الزواج والوصاية على الطفل، والميراث في 1959. وقد اعتبرت عدة بلدان تعدد الزوجات مخالفاً للقانون، وكثير منها تحت الضغط للقيام بذلك. إن المغرب ومصر (زوجة الرئيس ترأس المجلس القومي المصري للنساء)، الأردن (الملكة رانيا تعمل في قضية حقوق النساء)، اليمن، دول الخليج (زوجة الحاكم في قطر تدعم حقوق المرأة وتعليمها) - كلها أصدرت مؤخراً قوانين تؤكد حقوق النساء.

حق الاقتراع لدى النساء

تمتلك النساء في معظم الدول العربية الحق بالاقتراع. والتقدم في هذا المجال واضح، وأية فروق بين البلدان العربية هي اجتماعية ولا علاقة لها بالتأكيد بالإسلام. إليكم ملخصاً للموقف الحالي. في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، ما تزال النساء مجردات من حق التصويت، ولكن الضغوط متنامية. حدثت - على سبيل المثال - مظاهرة احتجاج ضخمة في الكويت في آذار 2005، كان من نتائجها حصول النساء على حق التصويت (كان البرلمان هو الذي عارض هذا وليس الحكومة).

التاريخ الذي منحت فيه النساء حق الاقتراع⁴

1948	العراق
1949\1953	سوريا
1952	لبنان
1956	مصر
1957\1959	تونس
1962	الجزائر
1963	المغرب
1964	ليبيا
1964	الأردن
1947	السودان
1993	اليمن
1994	عمان
1998\2003	قطر
2001\2002	البحرين
2005	الكويت

النساء في مواقع حكومية

صارت النساء العربيات ممثلات بنحو متزايد في مستويات مختلفة من الحكومة. ففي انتخابات العراق في 2005 طُلب من الأحزاب السياسية تقديم ما يكفي من المرشحات الإناث بحيث يشكلن على الأقل ربع المجلس الوطني. كان ثلث المرشحين الفائزين في القائمة الشيعية نساء⁵.

النساء العربيات في مناصب حكومية في 2004⁶

الجزائر	5 وزيرات، 52 نائبة
البحرين	وزيرة، 6 نائبات
مصر	وزيرتان، 23 نائبة
العراق ⁷	6 وزيرات، 86 نائبة
الأردن	3 وزيرات، 13 نائبة
الكويت	0
لبنان	وزيرتان، 3 نائبات
ليبيا	0
المغرب	وزيرتان، 38 نائبة
عمان	وزير، 10 نواب
قطر	وزيرة
السعودية	0
سوريا	وزيرتان، 30 نائبة
تونس	وزيرة، 21 نائبة
الإمارات العربية المتحدة	0
اليمن	وزيرة، 4 نائبات

قامت عدة دول عربية بتوزيع للجنسين في برلماناتها. فالجزائر تحتفظ بحد أدنى من 20% من مقاعدها البرلمانية للنساء: تحتفظ حكومة العراق الانتقالية بـ 25%؛ المغرب 10%؛ وتونس 20%.

وفي كانون الثاني 2004 عُقد مؤتمر في القاهرة رعته المؤسسة الدولية للديموقراطية والمساعدة في الانتخابات، ناقش فيها ممثلون عن أربع عشرة دولة حصص الجنسين في الحكومات العربية⁸.

سلطة المرأة في الأسرة

يملك الرجال والنساء في المجتمعات العربية مجالات محددة جيداً من النشاط وصناعة القرار. لا تفترض أن تأثير النساء العربيات يقتصر على الحياة الخاصة لأنهن لسن مرثيات بشكل كبير علناً.

تمتلك النساء كمية جيدة من السلطة داخل الأسرة. ولهن عادة الصوت الحاسم في مصاريف المنزل وتنشئة وتعليم الأطفال، وأحياناً ترتيب الزيجات. الرجال مسؤولون عن الرفاهية المادية للأسرة؛ وحتى لو كان للمرأة مالها الخاص، ليست بحاجة للمساهمة في مصاريف الأسرة. فكثير من النساء يملكن مالهن الخاص، وكثير منهن لديهن ملكية. وتوضح الشريعة الإسلامية أن لهن الملكية الحصرية لنقودهن والوراثة بعد الزواج.

وكلما تقدمت المرأة في السن استحوطت المزيد من المكانة والمال. يحترم الرجال أمهاتهم كثيراً طوال حياتهم، ويبدلون ما بوسعهم لتحقيق رغباتها، وحتى نزواتها. جميع النساء الكبيرات في الأسرة يعاملن باحترام، ولكن أم الأبناء لها المكانة الأفضل.

تلبس النساء العربيات عادة ملابس طويلة إلى الركبة، بأكمام تغطي نصف أذرعهن على الأقل. أما عادة ارتداء ملابس أكثر محافظة، يصل طولها إلى الأرض، وطويلة الأكمام فتزداد، لا تنقص (كما حدث مرة) حتى في مدن حديثة كالقاهرة وعمّان.

غطاء الرأس أو الحجاب

إن ارتداء الحجاب مثير للجدل بالطبع. فكلّ من يزور العالم العربي بنحو منتظم يلاحظ أن عدد النساء اللواتي يرتدين الحجاب ازداد على نحو كبير في العشرين سنة الماضية. بدأ مع الانبعاث الإسلامي في الثمانينيات والتسعينيات، وانتشر بتدرج واطراد في المجتمع.

يرى معظم الغربيين الحجاب كرمز لاضطهاد المرأة، ولكن لا يوافق معظم المسلمين على ذلك. يمكن أن يكون علامة تشير إلى أن التي ترتديه محافظة، دون ربط دلالة سياسية بالأمر. وهي (نظرياً) تقوم بخيار حر.

يعتقد بعض المراقبين أن الارتداء الطوعي للحجاب هو تجل (في شخص أو في المجتمع ككل) لإحساس متنام بهوية عربية إسلامية شاملة. يقول بعضهم يمكن أن يكون له أيضاً دلالة سياسية. وتقول النساء في الغالب أنه بإخفاء جنسهن يصبحن أكثر حرية في حركتهن في المجتمع. فالحجاب يردع الانتباه غير المرحب به من الرجال لأنهم يرون الحجاب ويحترمونه. وترتدي بعض النسوة أحجبة أنيقة وغالية الثمن ومزينة كثيراً.

ينبغي ألا يشار إلى غطاء الشعر كحجاب، بما أن هذا يقتضي تغطية الوجه. فمعظم النساء في البلدان المحافظة على غرار نساء شبه الجزيرة العربية، وأجزاء من شمال إفريقيا، يحجبن وجوههن، كلياً أو جزئياً. وفي الطرف الآخر من الطيف، تمنع تونس الحجاب⁹.

إن القرآن الكريم أكثر حماية لحقوق النساء ومكانتهن من الممارسات الاجتماعية الأخيرة. وفيه ثلاث سور فحسب تشير إلى وقار المرأة، لا تذكر أيُّ منها الشعر¹¹. إليكم الأكثر اقتباساً (تشير الثالثة إلى زوجات الرسول اللواتي كن يتحدثن عادة مع الناس من وراء ستارة):

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾
[الأحزاب: 59].

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: 31].

وبينما تنظر بعض النساء العربيات إلى الحجاب على أنه شهادة دينية وثقافية أو سياسية، فإن نساء أخريات يخالفهن بقوة أو لا يتفقن معهن. ففي مصنع مغربي للنسيج تملكه فرنسا أكثر من 95% من 2500 امرأة عاملة يرتدين الحجاب؛ ومنذ عشرة أعوام لم يفعل سوى 20% ذلك¹².

تعدد الزوجات

يشدد الغرب بإفراط على مسألة تعدد الزوجات في البلدان العربية، بحيث يظن الغربيون أنه ممارسة شائعة ويتم التفاوض عنه على نحو واسع. وفي الحقيقة، إن تعدد الزوجات مقيدٌ بحدّة ولا يسمح به إلا وفق شروط معيّنة في معظم البلدان العربية. حوالي 1 أو 2% من الرجال المتزوجين لديهم أكثر من زوجة. وبما أن حقوق المرأة مقيدة في شبه الجزيرة العربية فإن تعدد الزوجات شائع فيها*.

وفي هذه الأيام لا أحد تقريباً يستطيع أن يؤمن كلفة تأسيس أكثر من أسرة واحدة، وهكذا فإن تعدد الزوجات صار حكراً على الأغنياء جداً أو القرويين والفلاحين، الذين يحتاجون إلى المساعدة في العمل ولا يكلفون كثيراً.

أبيح تعدد الزوجات في القرن السابع، بعد سلسلة من المعارك التي قُتل فيها الكثير من الرجال وتركوا خلفهم الكثير من الأراامل والأيتام. إن الآية التالية من القرآن الكريم تشير إلى ما حدث بعد تلك المعارك:

* من الصعب الحصول على إحصاءات حالية. فجميع المصادر تقدر نسبة تعدد الزوجات في الستينيات على أنها 2% في لبنان، 4% في سوريا، 8% في الأردن ومصر. كانت النسبة 2% في الجزائر في 1955، 2% في بغداد في السبعينيات، و3% في القاهرة في 2004. تعدد الزوجات أكثر انتشاراً في غرب إفريقيا - ففي 1994، آخر عام تتوفر الإحصاءات حوله، كانت النسبة 45-55% في منطقة الساحل (الطرف الجنوبي من الصحراء) الإفريقية، ومن 25 إلى 35% في غرب ووسط وشرق إفريقيا¹³. مع ذلك ما يزال تعدد الزوجات مرتبطاً في ذهن الغربيين بالعرب الشرق أوسطيين.

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: 3].

إن معظم المعلقين الحديثين يفسرون هذه الآية على أنها تعني أن تعدد الزوجات يقتصر على ظروف معينة والزواج الأحادي يجب أن يُشجّع، لأنه من الصعب معاملة جميع الزوجات بنحو متساو في كل منحنى. وتعني «ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» العبيد أو الأسرى، الشائعين في القرن السابع. ويتابع القرآن الكريم:

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 129].

إن هذا، في شكله الأفضل، حمّال أوجه، ومن السهل رؤية كيف يمكن أن تؤول الآيات من أوجه عدة.

إنه لمن سوء الحظ أن نرى كثيراً من الإشارات في المجالات والصحف الغربية إلى تعدد الزوجات، تجعلها تبدو شائعة*. إن تعدد

* مثال على ذلك مقالة برنارد لويس «مستهدفون بتاريخ من الحقد»: إن الولايات المتحدة هي الآن القائد الذي لا يشكك به للعالم الحر، والتي تعرف أيضاً باسم الكفار، والتي نشرت في واشنطن بوست في 10 أيلول 2002¹⁴. يتحدث لويس في هذه المقالة عن المسلمين الذين كرهوا الولايات المتحدة والغرب لقرون. وتقول المقالة إن الكراهية كانت تنمو و «أحد أسباب احتقارهم =

الزوجات مثير للجدل جداً، ويدرك مسلمو التيار الرئيس أن زمنه وهدفه وليا. وكان تعدد الزوجات يتناقض بنحو ملحوظ لسنوات، ولكن مع الصعود الأخير لنزعة المحافظة الدينية نراه يزداد مرة أخرى. وليس من المفاجئ أن أسامة بن لادن قيل إنه تزوج من 11 إلى 16 امرأة، بالرغم من أنه تزوج فقط بأربع نساء في كل مرة.

الأدوار التقليدية للجنسين

يرى الغربيون ويسمعون ويقرؤون عن النساء المسلمات وينظرون إلى الأمر كإخضاع للنساء في المجتمع الإسلامي ككل. هذا نقد صالح، ويعتقد كثير من الأشخاص في الشرق الأوسط والغرب أن هناك حاجة ماسّة للإصلاح. مع ذلك، حتى إن لم نتفق نحن الغربيين مع الوضع القائم (وكثير منا يختلفون) فإننا يجب على الأقل أن نحاول فهم وجهة النظر التقليدية وألا نسرع في إطلاق الحكم وشجب البواعث والممارسات الثقافية.

= لنا» هو ما يعدونه «اللاأخلاقية المفرطة وانحطاط طريقة الحياة الأميركية (الإشارة هنا إلى هم غير واضحة)» ثم يذكر تعدد الزوجات كعامل لشرح احتقار المسيحية، والغرب بعامة. يتبع ذلك اقتباس من «مقالة حديثة في صحيفة عربية تدافع عن تعدد الزوجات». الاقتباس واضح ومفصل، ومسيء للأذن الغربية، ولكن المصدر ترك غامضاً ويقدم المؤلف الانطباع بأن تعدد الزوجات جزء من طريقة الحياة العربية الحديثة، حيث 98% تزوجوا مرة واحدة فقط. أقول هذا لأن ذكر ذلك دون أية مصداقية يعزز الرأي المسبق حول العرب والمسلمين ويمكن أن يقوّي الصورة السلبية.

على عكس الافتراضات الغربية عن المجتمع العربي، فإن الرجال العرب والنساء التقليديين لا ينظرون إلى العادات والقيود الاجتماعية على أنها قمعية وإنما كإقرار ملائم بطبيعة المرأة. لا يرون هذا قاسياً، ولا يحتقرون المرأة. وهم يرون أن القيود تقدم الحماية للمرأة كي لا تعاني من الجهد، والمنافسة والإغراءات والأمور المهينة الممكنة الموجودة خارج المجتمع. إن معظم النساء العربيات، حتى الآن، يشعرن بالرضا بأن النظام الاجتماعي الحالي يقدم لهن الأمن والحماية والاحترام.

حكم أدوار الجنسين في الشرق الأوسط تقليدياً نظام قرابة بطركي وُجد سابقاً في المناطق التي انتشر فيها الإسلام¹⁵. ومن المهم للأجنبي أن يضع وجهات النظر هذه في ذهنه حين يحلل ويناقش وضع المرأة العربية. قالت امرأة انتُخبت مؤخراً في المجلس الوطني العراقي: «أقول لك الحقيقة إنني لست من الداعيات النسويات. لا أريد أن أرتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبتها النسوة الغربيات. أحب أن تكون الأسرة المبدأ الرئيس للنساء هنا¹⁶».

النساء الغربيات

ترى النساء الغربيات أنهن لا يتلاءمن جيداً في المجتمع العربي؛ وأنهن لم يحصلن على جميع حقوق الرجال ولكنهن لا يُعتبرن مقيّدت بقيود المرأة العربية كلها.

من المتوقع أن تتصرف النساء الغربيات بنحو لائق، ولكن من غير المطلوب منهن أن يكنّ محافظات في لباسهنّ كالمرأة العربية أو في الجو العام. لا يحتجن إلى الحجاب في المملكة العربية السعودية،

مثلاً، ولكن يجب أن يرتدين لباساً تقليدياً في كل البلدان العربية. يجب أن يذهبن إلى التسوق، ويحضرن أنشطة عامة، أو يسافرن لوحدهنّ. يحكم على احترام امرأة غربية من طريقتها في التزيّن واللباس.

يقبل العرب النساء الغربيات المهنيات من أجل إنجازاتهن. وترى النساء المتعلمات جيداً أن آراءهن مقبولة بنحو جدي، ويدعين إلى جميع اللقاءات المهنية الذكرية. وقد حققت النساء نجاحات كبيرة كدبلوماسيات في المنطقة. حين تمتلك المرأة سبباً متعلّقاً بالعمل كي تزور أحداً ما أو أن تحضر أية مناسبة، يرحّب بها عادة، ويرتاح الرجال لحضورها.



الفصل السادس

الشكليات الاجتماعية وآداب السلوك

إن الشكليات الاجتماعية وقواعد آداب السلوك مهمة جداً في المجتمع العربي. وتشكل آداب السلوك الحسنة العامل الأكثر أهمية في تقويم شخصية أحد ما.

حسن الضيافة

العرب كرماء في استضافتهم للأصدقاء والغرباء على حد سواء، ويعجبون ويثمنون الأمر نفسه في الآخرين. وإنها لإهانة خطيرة وصف أحدهم بالبخل.

يلعب العرب دور المضيف أو المضيضة في مكاتبهم ومنازلهم وحوانيتهم كلما استدعى الموقف ذلك. أحياناً يقول الناس: «أهلاً بك في بلادي» (بالإنكليزية) حين يرون أجنبياً في شارع أو حانوت، ويقومون بدور المضيف. ويرغب العرب دوماً بمساعدة الأجنبي لأنهم يلعبون ثانياً دور المضيف. إذا طلبت إلى أحد أن يدللك إلى مكان يمكن أن يصرّ على مرافقتك إلى وجهتك.

إن الضيف في منزل شخص ما أو في مكان العمل لا يبقى طويلاً أبداً دون أن يُقدّم له شيء كي يشربه، ومن المفترض أن يقبل الضيف الشراب، أو على الأقل كمية قليلة كتعبير عن الصداقة أو التقدير. فحين يُقدّم لك شراب، اقبل وأمسك الكوب أو الكأس بيدك اليمنى.

لا يهم كم تناولت من القهوة أو الشاي في مكان آخر، عليك ألا ترفض أبداً هذه الضيافة (بعض المكاتب والحوانيت فيها موظفون لتقديم الشراب إلى الضيوف). ستلاحظ أنه بينما من المرجح أن يسأل الغربي الضيوف: «هل تودون تناول القهوة أو الشاي؟» مستخدماً نبرة توحى أن الضيف يمكن أن يريد أو لا يريد أي شراب، فإن الشرق الأوسطي يسأل: «ماذا تريد أن تشرب: الشاي أم القهوة؟» مقدماً خياراً للضيف. إذا جاء شخص إلى منزل أو مكان عمل في أثناء تقديم الطعام، فإن الذين يأكلون يدعونهم إلى مشاركتهم الطعام. أحياناً يرفض الضيف غير المتوقع، ولكن يجب أن تقوم بهذه اللفتة.

تُستخدم عبارة أهلاً وسهلاً أو مرحباً حين يصل الضيف، وتُكرّر عدة مرات في أثناء الزيارة. وغالباً ما يُقدّم للضيف مقعد الشرف (الشائع كإيماءة لأجنبي) ويتم التحقق من راحة الضيف في أثناء الزيارة. أحياناً تشعر أنك غير مرتاح لأنك تحصل على كثير من الانتباه.

وبغض النظر عن الظروف الضاغطة، فإن العربي لن يفكر أبداً برفض دخول الضيف، حتى ولو كان غير متوقع أو كانت الزيارة في غير وقتها. إن الظرف الوحيد القابل للعدر هو أن تكون المرأة لوحدها في المنزل حين يأتي رجل، وحينها سيرفض الزائر الدخول حتى لو كان مضيفه المحتمل على وشك المجيء.

العرب فخورون بكرمهم ولديهم الكثير من القصص التي توضح ذلك. والقصة المفضلة هي قصة بدوي ذبح شاته الأخيرة كي يطعم ضيفه. ويُتَمَّن مفهوم الكرم بنحو كبير بحيث أن معنى الكرم يشمل «مميزاً، شريف العقل والقلب، شريفاً ومحترماً» (هناك 25 معنى في القاموس).

بدورهم، يتوقع العرب أن يتم استقبالهم بكرم حين يحلّون ضيوفاً، وستتأثر صورتك ومكانتك الشخصية بتقويم الناس لكرمك.

إن العناصر الأكثر أهمية في حسن الضيافة هي الترحيب بالضيف (بما فيه استخدام كلمة أهلاً وسهلاً)، تقديم مقعد للضيف (في كثير من المنازل العربية هناك غرفة خاصة بالضيوف، تُدعى الصالون)، وتقديم شيء كي يشربه الضيف. وكمضيف ابق مع ضيفك قدر الإمكان، واعتذر من أجل غياب قصير من الغرفة فقط عند الضرورة. هذا وصف لحسن الضيافة العربية كتبه امرأة عربية:

«يكمن حسن الضيافة في قلب الهوية العربية. فطريقة معاملة المرء لضيفه هي قياس مباشر لنوعية الشخص. فحسن الضيافة هو من بين الفضائل الأكثر إثارة للإعجاب. وبالفعل، إن العائلات تحكم على الآخرين وعلى بعضها بعضاً بحسب درجة كرمها مع ضيوفها. وسواء أكان ضيوف المرء أقرباء أم أصدقاء أم جيراناً أم غرباء فإنه يُرحَّب بهم في المنزل وإلى طاولة العشاء بنفس القدر من اللطف والكرم»¹.

لا يرى الضيف بقية المنزل ولا يقابل إلا أعضاء الأسرة الحاضرين. لا تُتمنّ العزلة داخل الأسرة، ولكن العزلة عن الخارج ضرورية. ومعظم المنازل هي وراء جدران مرتفعة.

يشمل حسن الضيافة الجو العام. ففي تونس والقاهرة وبيروت وعمان طلبت توجيهات وقد تمت مرافقتي إلى وجهتي بالرغم من أن المسافة طويلة وغير ملائمة لدليلي. وحين تشكر شخصاً على هذا المعروف، تسمع هذا الجواب: «لا شكر على واجب». إذ لا يوجد مهمة تشكل عبئاً على مضيف كريم.

الوقت والمواعيد

ليس الوقت بين العرب ثابتاً ومقسماً إلى وحدات صارمة كما هو الأمر بين الغربيين. فهو يتدفق من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل، ويتدفق العرب معه. لا تحتاج المناسبات والمواعيد الاجتماعية إلى بدايات ونهايات ثابتة. فالعرب هم هكذا أكثر استرخاءً حيال توقيت المناسبات مما هم حيال مظاهر أخرى من حياتهم. مع ذلك، بدأت هذه المواقف بالتغير بما أن الناس يستجيبون لمتطلبات التطور والتحديث الاقتصادي والتكنولوجي.

يحرص بعض العرب على الوصول في الوقت الملائم (ويفقدون صبرهم من أولئك الذين لا يصلون)، ويتأخر بعضهم عادة، وخاصة في المناسبات الاجتماعية. مفترضين هذه المواقف، أن الشخص الذي يصل متأخراً ويجعلك تنتظر يمكن ألا يلاحظ أنه تمت الإساءة إليك وأنتك تنتظر اعتذاراً.

يفشل الحانوتي العربي، أو التاجر دوماً في إنهاء شيء ما في الوقت المحدد. وينطبق هذا أيضاً على الخدمات العامة (كمثل وصل خط هاتف)، الخدمات الشخصية، مواعيد مغادرة الباصات والقطارات (حيث الانتظار في صف طويل متوقع)، والإجراءات البيروقراطية. كن مرناً؛ الجميع يتوقعون التأخر. ستظهر فاقداً للصبر دون سبب ومتطلباً إذا أصررت على إنهاء الأمور في وقت محدد.

إذا دعوت أشخاصاً إلى تناول العشاء لا تتوقع وصول جميع ضيوفك في الوقت المحدد. يجب أن يُقدم العشاء متأخراً، ويجب أن تكون الخطط الاجتماعية مرنة دوماً بما يكفي للتكيف مع المتأخرين.

تمثل الكلمة العربية «معليش» طريقة كاملة في النظر إلى الحياة وخيياتها. وهي تعني «لا تهتم» أو «لا يهم» أو «اعذرني ليس الأمر بهذه الأهمية». ستسمع هذه الكلمة مراراً حين يتأخر شخص ما، لدى خيبة أو تجربة سيئة. وبدلاً من الاستسلام للغضب غير المفيد، يرد العرب على العداوة التي سببها أمر غير شخصي بانسحاب أو ، إلى درجة ما، بقبول مصيرهم.

مناقشة العمل

لا يثق العرب بالأشخاص الذين لا يبدوون مخلصين أو الذين يفشلون في إظهار اهتمام شخصي بهم أو ببلادهم. وهم لا يحبون أيضاً الاستعجال أو الضغط للوصول إلى اتفاق عمل. إذا أحبوك، سيوافقون على الوصول إلى ترتيب أو تسوية؛ إذا لم يحبوك، سيتوقفون على الأرجح عن الإصغاء. فالعرب يقدرّون مصدر المقولة أو الاقتراح بقدر ما يقدرّون المحتوى.

يمكن أن تكون ردود الفعل الأولية من قبل نظرائك العرب على أفكارك ومقترحاتك مضللة تماماً إذا نُظر إليها من قيمتها الظاهرة. من غير المرجح أن ينتقد العرب علانية ولكن من المرجح أكثر أن يلمحوا إلى أن الاقتراح غير مقبول، من خلال الكسل مثلاً. يمكن أن يعدوك بأنهم سيقبلكم على اتصال لكنهم لا يفعلون ذلك، أو ربما يقترحون أمراً مخالفاً جذرياً قد يشكل موقفاً يمكن توقع الوصول إلى تسوية منه. لا تنظر إلى الإطراء والمدح بجديّة كبيرة. من المرجح أن يكون هذا تمسكاً بأداب السلوك الحسنة أكثر مما هو نجاح محتمل في صفقة عمل. وتقتضي بعض القرارات استشارة مع أصحاب المناصب الأعلى (إذا كنت لا تتعامل مع شخص من القمة). فرد الفعل الملتبس على اقتراح لا يعني أنه رُفض، ولا يضمن قبولاً مطلقاً. إن الزمن سيكشف النتيجة، ويعتمد النجاح غالباً على الصبر وبناء علاقات شخصية جيدة.

وبالرغم من الإحباط الذي يمكن أن تشعر به نتيجة للتأخير، فمن المحتمل أن تضر فرصك في النجاح. ويمكن أن يعد نظيرك هذا إهانة، وخاصة إذا كان أو مديراً تنفيذياً عالي المرتبة.

في لقاء جمع نائب مدير شركة هندسية أميركية مع مسؤول سعودي كبير في وزارة التخطيط في الرياض، حاول ممثل الشركة المحلي لعدة أسابيع الحصول على موافقة على أحد اقتراحات الشركة. قرر نائب الرئيس في اللقاء أن تمنحه الوزارة جواباً محدداً في أثناء الأسبوع الذي سيكون فيه موجوداً في المدينة. بدأ السعودي متفاجئاً ومغتاظاً، وأجاب أنه لا يستطيع ضمان العمل في هذه المدة المحددة. لم يوافق على الاقتراح أبداً.

إذا جاء القرار ببطء، يمكن أن يعني أن الاقتراح بحاجة إلى إعادة تقويم. لا تتوقع إنهاء عملك كله حالياً، خاصة إذا كان الأمر يقتضي عدة قرارات. الصبر والزيارات المتكررة مطلوبة. العرب يمتلكون الكثير من الوقت، ولا يرون حاجة ماسة لتلبية الأجانب المستعجلين الذين يحاولون الضغط عليهم.

المشاركة في الوجبات

يستمتع العرب بدعوة الضيوف إلى تناول الطعام؛ ومن المرجح أن تكون ضيف طعام عدة مرات. وتقدم المشاركة في الطعام للمضيف أو المضييفة العربية فرصة كبيرة لإظهار احترامهما وكرمهما لك.

ليس من عادة العرب إرسال دعوات مكتوبة يطلبون فيها تأكيد قبول الدعوة. الدعوات لفظية عادة وغالباً تلقائية.

إذا كانت هذه دعوتك الأولى، اسأل الآخرين عن التوقيت الذي تُقدم فيه الوجبات والوقت الذي يجب أن تصل فيه. يصل الغربيون غالباً باكراً جداً ويفترضون أن الوجبة ستقدم في وقت أبكر من المعتاد. وفي معظم الدول العربية (ولكن ليس في كلها) يُقدم الغداء بين الثانية والثالثة ظهراً، ويُقدم العشاء مع الضيوف في العاشرة مساءً أو في الحادية عشرة. يجب أن يصل الضيوف قبل ساعتين من الوجبة، بما أن معظم الحديث يجري قبل الوجبة، وليس بعدها. إذا كان العشاء رسمياً يمكن توقع وصولك في الوقت المحدد، ويمكن توقع انتهاء الوجبة في ساعة أو ساعتين.

يقدم العرب كمية كبيرة من الطعام حين يستضيفون شخصاً، وهم حقاً مشهورون بسخائهم وفخورون به. ولا يحاولون حساب كمية الطعام المطلوبة؛ بل على العكس، الهدف هو تقديم طعام وافر، يظهر الكرم والتقدير للضيوف. (أما الطعام المتبقي فلا يرمى في القمامة وإنما تستهلكه الأسرة أو الخدم لعدة أيام).

إن معظم الأجانب الذين جربوا الوجبات العربية لهم قصصهم المفضلة عن حسن الضيافة. وقد أخبرني أحدهم عن وليمة أقامها مرة تاجر ثري في قطر مشهور بسخائه. بعد عدة أطباق قدم لكلّ ضيف خروفاً محشياً كاملاً!

يمكن توقع أن تُقدّم لك حصة ثانية وثالثة من الطعام، ويجب أن تقبل مرة على الأقل. فتشجيع الضيوف على تناول الطعام جزء من واجب المضيف العربي وهو مطلوب من أجل آداب السلوك الحسنة. وهذا التشجيع على تناول المزيد من الطعام يدعى العزيمة باللغة العربية، وكلما كان المضيف تقليدياً قام بذلك بإلحاح. وغالباً ما يبدأ الضيوف برفض طقسي ويسمحون لأنفسهم بأن يغلبهم إصرار المضيف. ستسمعون مثلاً:

«كلا، شكراً».

«آه، ولكن يجب عليك».

«حقاً، لا أستطيع».

«ألا تحب الطعام؟»

«آه، أحبه».

«إذا، كل المزيد».

لا يُقدم الماء غالباً إلا بعد انتهاء الوجبة؛ ويعد بعضهم أنه من غير الصحي أن تأكل وتشرب في الوقت نفسه. وعلى أي حال، نادراً ما يكون الطعام العربي حاراً، بالرغم من أنه يمكن أن يُتبّل بالبهارات كثيراً.

من المتوقع أن يعبر الضيف عن إعجابه وامتنانه من أجل الطعام. وتقتضي اللباقة منك أن تفرط في تناول الطعام. ونادراً ما يأكل كثير من الناس في اليوم الذي يدعون فيه إلى العشاء لأنهم يعرفون كمية الطعام التي ستُقدم في المساء.

حين تأكل بما يكفي، يمكن أن ترفض المزيد قائلاً «الحمد لله». حين تنتهي الوجبة وتكون على وشك مغادرة المائدة، من المعتاد القول «دايمة» أو «سفرة دائمة»، للمضيف. الرد الأكثر شيوعاً هو: «تعيش» و«بالهنا والشفاء».

بعد الوجبة تُقدم القهوة أو الشاي محلاة بالسكر مسبقاً. تستمر المحادثة لفترة أطول، ربما لساعة، ثم يستعد الضيوف للرحيل. وفي بعض البلدان، يشير إحضار صينية مياه مثلجة إلى انتهاء الوجبة وإلى أن الضيوف أحرار بالمغادرة. وفي بلدان شبه الجزيرة العربية، يمكن أن يقدم البخور أو الكولونيا قبل أن يغادر الضيوف. وحين يعلن الضيوف عن نيتهم بالمغادرة، يقول المضيف والمضيفة عادة: «ابقوا لوهلة، ما يزال الوقت باكراً!». وهذا العرض طقسى؛ ويمكنك أن تبقى

عدة دقائق أخرى، ولكن يجب ألا يؤخذ التعبير حرفياً، ولا يعني أنك ستهينهم إذا رحلت. تستطيع، بعامّة، أن تتبع مثال الضيوف الآخرين، عدا أن كثيراً من العرب يفضلون البقاء حتى وقت متأخر جداً، وهكذا يمكن أن تكون أول من يغادر. وفي معظم البلدان العربية ليس عليك أن تبقى حتى بعد منتصف الليل.

حين تُدعى إلى وجبة، من الملائم، بالرغم من أنه ليس من المطلوب، أن تُحضر هدية صغيرة؛ والأزهار والحلوى هي الأكثر شيوعاً.

إذا دعوت العرب إلى منزلك، فكّر بتبني بعض عاداتهم في أثناء الوجبة؛ سيحسّن هذا انطباعهم عنك. ففي بلدان شبه الجزيرة العربية، نادراً ما تخرج النساء إلى مناسبة اجتماعية. وحين تدعو رجلاً وزوجته إلى منزلك، يمكن ألا تأتي الزوجة. وهذا يعتمد بنحو كبير على إن كان الرجل وزوجته معتادين على التواصل الاجتماعي مع الأجانب وعلى من سيكون هناك. ومن الحذر، حين يدعو شخص رجلاً وزوجته أن يقول: «زوجتي تدعو زوجتك»، وتقديم معلومات عن من سيحضر. يساعد هذا الزوج على أن يقرّر إن كان يرغب بأن تقابل زوجته الضيوف الآخرين، ويطمئنه أن نساء أخريات سيكنّ حاضرات. لا تُفاجأ إذا لم يأت بعض الضيوف، أو حين يصل شخص مع صديق أو اثنين.

قدّم الكثير من الطعام دوماً، بطبقين أو ثلاثة من اللحوم؛ وإلا ستخلق انطباعاً بأنك بخيل. سمعت مرة مصرياً يصف عشاء في منزل أميركي حيث قدّم للضيوف شرائح من اللحم المشوي بالقطعة. قال: «لقد عدّوا الشرائح وقطع البطاطا أيضاً. قدم لكل منا قطعة بطاطا محمّصة».

إذا كنت تقدم عشاء مفتوحاً (بوفيه) بدلاً من العشاء الذي يقتضي الجلوس والأطباق، فإن برنامجك في تناول الطعام سيكون أكثر مرونة، وسيتمتعز الانطباع البصري عن كمية الطعام المقدمة. فكّر بقائمة طعامك، وبالأطعمة المحليّة وغير المحليّة. قدّم الطعام في شكل بسيط وواضح، بحيث لا يتساءل الضيوف ما الذي يأكلونه في منزل أجنبي. ولا يحبُّ العرب عادة اللحوم المحلّاة أو السلطة الحلوة مع الوجبة الرئيسيّة.

يُحرّم على المسلمين تناول لحم الخنزير. ويقدم بعض الأجانب لحم الخنزير (كأحد خيارات البوفيه) ويسمونّه: لا يُنصح بهذا، بما أنه يمكن أن يضايق الضيوف المسلمين. فلا تستخدمه في طبخك إلا إذا ذكرته. إذا طبخت بالنبيذ أو كحول آخر، حدّد الأطباق المتاحة لضيوفك المسلمين، ولا يهم إن كان الكحول قد تبخّر في أثناء الطبخ. إذا رغبت بتقديم النبيذ أو المشروبات الكحولية، قدّم أيضاً المشروبات غير الكحولية.

تأكد من أن تقدم لضيوفك حصة ثانية وثالثة من الطعام. وبالرغم من أنه ليس عليك أن تصرّ بقوة، يجب أن تقوم بهذه الحركة. قدّم القهوة والشاي في نهاية الوجبة.

التدخين

إن الأغلبية الساحقة من البالغين العرب يدخنون، بالرغم من أن النساء نادراً ما يدخن علناً. يُعدّ التدخين جزءاً رئيساً من «بلوغ الفرد». وينظر الرجال العرب، بخاصة، إلى التدخين كحق، لا امتياز. لا تُفاجأ إذا رأيت أشخاصاً لا يحترمون لافتات «منع التدخين» في الطائرات وغرف الانتظار والمصاعد.

من النادر أن يعي العرب أن التدخين يمكن أن يكون مؤذياً لبعض الغربيين. تستطيع أن تطلب من شخص الامتناع عن التدخين بشرح أنه يضايقك، ولكنه يمكن أن يشعل سيجارة مرة أخرى بعد بضع دقائق. إذا أصررت على الأمر بقوة، ستبدو غير عقلاني. إذا كان ممكناً، اجلس في مكان متاح يسمح بالتدخين فيه؛ سيساعدكم هذا على الاسترخاء.

قواعد آداب السلوك

- سجلت فيما يلي قواعد آداب السلوك الأساسية في الثقافة العربية.
- من المهم الجلوس بنحو ملائم. إن الترهل أو مدّ القدمين على ذراع الكرسي، أو الجلوس بلا انتباه في أثناء التحدث مع شخص يعبرون عن قلة احترام له. لا ترفع قدميك أبداً على المكتب أو الطاولة في أثناء التحدث مع شخص.
- حين تتحدث مع شخص وأنت واقف، يُعد الاستناد إلى الجدار أو وضع اليدين في الجيب تقليلاً للاحترام.
- إن الجلوس بطريقة يجعل فيها المرء بوز حذائه في وجه شخص آخر يُعدّ إهانة.
- في كثير من البلدان والمنازل، يخلع الضيف حذاءه على الباب. تستطيع أن تعرف إن كان هذا مطلوباً من خلال مراقبة الآخرين أو إذا كانت هناك كومة من الأحذية عند الباب. هذا شائع بخاصة في شبه الجزيرة العربية، ولهذا السبب يلبس الخفّ. نزع حذائك علامة احترام؛ وهذا مطلوب أيضاً في المسجد.

- إن عدم المصافحة في أثناء اللقاء أو التوديع يعد وقاحة. حين يُعرَّف غربيٌّ على امرأة عربية، يكون الخيار للمرأة إن أرادت مصافحته أم لا؛ يجب أن يُسمح لها بأن تقوم بالحركة الأولى. (يمكن أن يرفض المسلمون المتديّنون مصافحة امرأة؛ وهذه ليست إهانة).
- اللباس العادي في المناسبات الاجتماعية يمكن أن يعد قلة احترام للمضيف. تتطلّب المناسبات اللباس الرسمي، بذلة وربطة عنق للرجال، ثوباً وكعباً عالياً ومجوهرات للنساء. هناك، بالطبع، بعض المناسبات التي يكون اللباس العادي ملائماً فيها. راقب كيف يلبس الآخرون.
- إن من يشعل سيجارة أمام مجموعة يجب أن يستعد لتقديم السجائر للآخرين.
- يقف الرجال حين تدخل امرأة إلى الغرفة؛ يقف الجميع حين يصل ضيوف جدد إلى لقاء اجتماعي أو حين يدخل أو يخرج شخص عالي المرتبة أو كبير السن.
- يسمح الرجال للنساء بأن يدخلوا قبلهم من الباب، ويقدم الرجال مقاعد لهم للنساء إذا لم يكن هناك مقاعد متاحة.
- من المعتاد إجلال كبار السن في مقدمة أي صف أو الوقوف لهم. يجب أن يُسلّم أولاً على الكبار.
- في أثناء توديع الضيوف يرافقهم المضيف الكريم إلى البوابة الخارجية، أو إلى سيارتهم، أو على الأقل إلى المصعد في البناء العالي.

- إذا أعجب ضيف بشيء صغير وقابل للحمل يمكن أن يصرّ العربي على تقديمه له كهدية. يجب أن يكون الضيوف حريصين حيال التعبير عن الأشياء الصغيرة الثمينة.
- تُقدم الهدايا في بلدان كثيرة وتقبل بكلا اليدين ولا تفتح بحضور المانح.
- في بعض المواقف الاجتماعية، وخاصة في الأمكنة العامة، أو حين يحضر العرب التقليديون جداً، يمكن أن يُعتبر من غير الملائم للنساء أن يدخنّ أو يتناولن الكحول.
- حين تأكل مع عربي، وخاصة حين تتناول الطعام من أطباق مشتركة، يجب ألا تستخدم الضيوف اليد اليسرى (تعتبر غير نظيفة). ويشدد بإفراط على هذا؛ ولا ينطبق الأمر إن كان لك صحنك وتأكل بسكين وشوكة.
- يصر العرب دوماً على الدفع في المطعم، خاصة إذا لم يكن هناك عدد كبير من الناس في الحفلة أو إن كانت المناسبة متعلقة بالعمل. إن الاستسلام برحابة صدر بعد العرض الطقسي للدفع ثم رد الدعوة فيما بعد يعد رداً ملائماً.
- يمتلك العرب أفكاراً محددة عما يشكل السلوك والمظهر الذكري والأنثوي الملائم. لا يوافقون على الشعر الطويل لدى الرجال أو اللباس والسلوك الرجالي لدى النساء.

- يتم تجنّب الخلافات والنزاعات العائلية أمام الآخرين أو في مدى سمعهم.
- يجب ألا يُصوّر الناس دون إذن منهم.
- لا يُعتبر النظر إلى الآخرين سلوكاً وقحاً أو غزواً للخصوصية من قبل العرب (وخاصة إذا كان الموضوع أجنبية أسرة). الابتعاد هو الدفاع الأفضل.
- في أثناء تناول الطعام في الخارج مع مجموعة كبيرة حيث يدفع كل شخص عن نفسه، من الأفضل ترك شخص واحد يدفع ثم محاسبته لاحقاً. يجد العرب الحساب في الجو العام وتقسيم الفاتورة محرّجاً.
- لا يحب معظم العرب لمس الحيوانات الأليفة أو الاقتراب منها، وخاصة الكلاب التي يجب أن تبقى بعيداً عن نظر الضيوف العرب.
- من المستحيل، بالطبع، تعلّم جميع قواعد ثقافة ما. إن آمن طريقة العمل هي المحاكاة. فلا تكن أبداً أول من يقوم بأي أمر! وفي بعض المواقف، كما في حضور طبقة عليا، لا تضع رجلاً فوق أخرى؛ وفي بعض المواقف، في حضور الطبقة العليا أو رجل من مرتبة عالية، من غير المناسب أن تدخّن.

الفصل السابع البنية الاجتماعية

إن المجتمع العربي مبنيٌ وفق طبقات اجتماعية، ويرث الأفراد الطبقة الاجتماعية لعائلاتهم. حاولت الحكومة الليبية وحكومة اليمن الجنوبي أن تجرباً مجتمعاً بلا طبقات، ولكن هذا لم يؤثر على المواقف الرئيسية.

الطبقات الاجتماعية

هناك ثلاث طبقات اجتماعية في معظم البلدان العربية: الطبقة العليا، وتشتمل على الطبقة ذات الامتياز (في بعض البلدان)، الأسر الضخمة ذات النفوذ، وبعض الأثرياء، بحسب خلفياتهم العائلية. وتتألف الطبقة الوسطى من موظفي الحكومة، المسؤولين العسكريين، المعلمين، والتجار المزدهرين ومالكي الأراضي. أما الفلاحون وفقراء الريف والمدينة فيشكلون الطبقة الدنيا. ولا يدخل البدو المتقلون في أي من هذه الطبقات؛ فهم تقريباً مستقلون عن المجتمع ويثيرون الإعجاب بسبب حفاظهم على التقاليد العربية.

تتنوع الدرجة النسبية للامتيازات بين الطبقات والفروق في مواقفها وطريقتها في الحياة من بلد إلى آخر. فبعض البلدان ثرية وقليلة السكان، بطبقة ضخمة تتمتع بالامتيازات؛ وهناك أخرى فقيرة وكثيفة السكان، بنسبة عالية من الفلاحين والعمال اليدويين.

هناك توتر قليل جداً بين الطبقات الاجتماعية. فالعرب يقبلون الطبقة الاجتماعية التي يولدون فيها، وهناك جهد قليل نسبياً من قبل الأفراد للصعود من طبقة إلى أخرى. على أي حال، سيكون من الصعب على الشخص أن يغيّر الطبقة الاجتماعية، بما أن أصل الأسرة يحددها تقريباً بنحو كامل. يستطيع المرء أن يحسّن مكانته من خلال مركزه المهني ومن خلال السلطة، والتحصيل العلمي، والثروة المكتسبة، ولكن أصول الشخص سيتم تذكّرها. فأسرة من الطبقة الدنيا لا يمكن أن تتوقّع في الحقيقة القبول الاجتماعي في الطبقة العليا لجيلين أو ثلاثة. وبنحو مشابه، إن أسرة من الطبقة العليا بدّدت ثروتها أو فقدت نفوذها لن تحال إلى الطبقة الدنيا لبعض الوقت.

يحظى المقيمون الأجانب في البلدان العربية آلياً بمعظم مكانة وامتيازات الطبقة العليا. وهذا يعود إلى موقعهم المهني، ومستوى تعليمهم، ودخلهم.

صورة الطبقة العليا وسلوكها

إن أنواعاً معيّنة من السلوك متوقعة من أبناء الطبقة العليا الذين يرغبون بالحفاظ على مكانتهم وصورتهم العامة الجيدة. فبعض الأنشطة غير مقبولة علناً، وإذا ما شوهدت، فإنّها تسبّب الصدمة والدهشة.

إذا عرفت الأعراف الأساسية لسلوك الطبقة العليا، ستكون حراً في أن تقرّر المدى الذي ترغب بالتكيف معه. وبينما تجازف في إعطاء انطباع سلبي من خلال كسر قاعدة، فإن فعل ذلك لن يكون مسيئاً بالضرورة. يمكن أن يُنظر إليك ببساطة كغريب أو بأنك تمتلك حكماً ضعيفاً.

لا ينخرط أي شخص من الطبقة العليا في عمل يدوي أمام الآخرين. ويفاجأ العرب حين يرون الغربيين يغسلون سياراتهم أو يكتسون الرصيف. وبينما يمكن أن يقوم بعض العرب من أبناء الطبقة العليا ببعض الأعمال الوضيعة الروتينية داخل المنزل، فإنهم لا يفعلونها علناً أو أمام الآخرين.

إن الياقة البيضاء أو مكتب العمل في مكتب مرغويان كثيراً من قبل العرب بسبب المكانة التي يوحيان بها. ثمة فرق كبير بين العمل اليدوي والعمل كموظف. فالعرب الذين يملكون وظائف سيستأوون إن طُلب منهم القيام بعمل يعتبرونه أدنى من مكانتهم. إذا لم تُلبَّ طلباتك في مكتب يمكن أن تكتشف أنك كنت تطلب من شخص أن يقوم بشيء يحطُّ من قدره أو يسيء إلى كرامته. وسيتردد الموظف في إخبارك دون أن يرغب بالإساءة إليك.

أخبرتني مرة مترجمة مصرية في مستشفى إدارته أميركية أنها شعرت بالإهانة حين طلب منها طبيب غربي أن تحضر له كأس ماء. شعرت أنه أسىء إلى كرامتها وأنها عوملت كخادمة تتلقى الأوامر.

إن العمل اليدوي مقبول إذا صنّف كهواية - على سبيل المثال، الخياطة والرسم أو الحرف اليدوية. إن تنجيد الأثاث يمكن أن يمر كهواية (بالرغم من أنه على الأرجح يمكن أن يثير الاستغراب)، ولكن تصليح السيارات لا يعد هكذا. إذا قررت أن تدهن بيتك من الخارج أو تغير الأرضية لوحدك توقع أن تكون موضوعاً لحديث.

إن العرب من أبناء الطبقة العليا حريصون على ملابسهم ومظهرهم أينما كانوا في الجو العام، لأن طريقة ارتداء الشخص للملابس تشير إلى ثروته ومكانته الاجتماعية. غالباً ما يرتدي الأطفال العرب ألبسة مرتفعة الثمن، وترتدي النساء الكثير من المجوهرات، وخاصة الذهب. والرجال متحيزون لساعات الثمينة، الأزرار المعدنية والأقلام والولاعات. إن الظهور بأفضل مظهر وارتداء الملابس الجيدة أمر جوهري لاحترام العربي لذاته، ويندهش العرب حين يرون الغربيين الميسورين يرتدون ملابس عادية أو قديمة (جينز ممحو، قميص بال). لماذا يلبس الشخص لباساً سيئاً ما دام قادراً على ارتداء ملابس أفضل؟

لا يتواصل العرب من أبناء الطبقة العليا مع أشخاص من طبقات اجتماعية أخرى عادة، على الأقل ليس منزلياً. يمكن أن تجمعهم علاقات ودية مع البقال الذي على الزاوية وبائع الصحف في الكشك، ولكنهم لن يقترحوا، على غرار معظم الغربيين، تناول العشاء أو اللقاء مساء سوية. (الاستثناء المقبول هو مناسبة كبيرة مثل العرس).

حين تخطط لمناسبات اجتماعية، لا تخلط بين أشخاص من طبقات اجتماعية مختلفة. تستطيع أن تدعو أي شخص من أية طبقة، وسيتم تقدير هذه اللفتة كثيراً، ولكن أن تدعو مدير شركة وخبازك المحلي في الوقت نفسه فإن هذا سيربك الطرفين.

التعامل مع الخدم

إن الغربيين الذين يعيشون في البلدان العربية لديهم عادة خادم أو أكثر. يمكن أن تشعر بالحرية في بناء علاقة شخصية مع خدمك؛ وهم يقدرّون اللطف والتقدير اللذين صاروا يتوقّعانها من الغربيين: «من فضلك» و«شكراً» تؤدّيان المهمة. يمكنك، في الحقيقة، أن تعمل إلى جانب خادم، ولكنك ستلاحظ أن العلاقة تتغيّر إذا كان هناك ضيوف عرب. عندها سيرغب الخادم بأن يقوم بالعمل كلّه لوحده كي لا يلطّخ صورتك الاجتماعية. إذا سُفح كأس ماء، على سبيل المثال، يجب أن تتادي الخادم كي ينظف، بدلاً من أن تُرى وأنت تفعل ذلك بنفسك. أما دعوة خادمك كي ينضم إليك وإلى ضيوفك لتناول الشاي أو الوجبة فستكون غير ملائمة ومحرّجة جداً للجميع.

يتوقع منك الخدم تظهر بعض المسؤولية نحوهم؛ يمكن أن يُطلب منك مثلاً أن تدفع نفقات طبية وأن تساعدهم مالياً إذا حدث طارئ في الأسرة. قدّم على الأقل شيئاً كهديّة تعبّر عن الاهتمام، ثم اسأل ما هو المعقول للموقف. إذا شعرت أن الكلفة عالية جداً بحيث لا تستطيع أن تغطيها بنحو كامل، يمكن أن تعرض إقراض النقود وتقطعها من راتب الشخص في وقت من الأوقات. كن كريماً بالطعام الفائض وبالملابس وأغراض المنزل التي لا تحتاجها، وتذكّر أن النقود الإضافية مطلوبة في العطل. وكل هذا يترافق مع المطلب الديني والثقافي بأن تكون كريماً في عمل الخير.

تعرفّ على البقّالين والبوابين وناقلي السلع من الأولاد . ويتم ذلك بنحو أفضل بتبادل بضع كلمات عربية وإبداء احترامك ومحبتك لهم .

إذا صرت ودوداً مع الناس الذين يمتلكون نسبياً القليل من المال ، قلّ من زيارتك الاجتماعية . يمكن أن يضطروا إلى صرف أكثر مما يقدرون عليه كي يستقبلوك بشكل ملائم ، والموضوع محرج جداً بحيث لا يمكن مناقشته أو الإقرار به . من الممتع زيارة القرويين أو منزل سائق سيارة أجرة أو بقّال ، ولكن إذا خطّطت أن تجعل هذا عادة ، أحضر معك هدايا أو اعثر على طرق أخرى لتعويض مضيفيك .



الفصل الثامن

دور الأسرة

إن المجتمع العربي مبنيٌّ حول نظام الأسرة الموسَّعة. يشعر الأفراد باندماج قوي مع جميع أقربائهم: العمّات والأعمام وأبناء العم. وتتنوّع الدرجة التي تشمل بها وحدة الأسرة جميع علاقات الدم بين الأسر، ولكن معظم العرب لهم أكثر من مئة قريب، «قريب بنحو جيد».

الولاء للأسرة والالتزامات

إن الولاء للأسرة والالتزام بها يسبقان الولاء للأصدقاء أو متطلّبات العمل. فمن المتوقَّع أن يساعد الأقرباء بعضهم بعضاً، بما فيه تقديم المساعدة المالية عند الضرورة. وتقدم روابط الأسرة الأمان وتطمئن المرء أنه لن يكون أبداً دون مصادر، عاطفية أو مادية. وسيجازف الشخص المندفع أو المتهور فقط بأن تقرّعه أو تتبرأ منه أسرته. فالدعم العائلي جوهري في عالم غير مضمون؛ لأن الأسرة هي ملاذ المرء النهائي.

من المتوقَّع أن يدعم أبناء الأسرة بعضهم بعضاً في المنازعات مع الغرباء. وبغض النظر عن العداوة الشخصية بين الأقرباء فإنهم يجب أن يدافعوا عن شرف بعضهم بعضاً، ويواجهوا النقد ويظهروا تماسك الجماعة، حتى ولو ظاهرياً. أما النزاعات داخل الأسرة فإنها نادراً ما تصل إلى صراع علني مفتوح.

إن العضوية في أسرة معروفة ونافذة تضمن القبول الاجتماعي وهي غالباً حاسمة للأعضاء في الحصول على تعليم جيد، وتأمين وظيفة جيدة، أو النجاح في العمل. فالعرب فخورون جداً بروابط ونسب أسرهم.

إن سمعة أي عضو في الأسرة تنعكس على جميع أعضائها. فسلوك شخص غير محتشم أو الحكم الضعيف يمكن أن يؤذي كبرياء أقاربه، ونفوذهم الاجتماعي، وفرص الزواج. لهذا السبب إن شرف الأسرة هو المصدر الأكبر للضغط على الفرد كي ينسجم مع نماذج السلوك المقبولة، ويُذكر المرء دوماً بمسؤوليته في الذود عن ذلك الشرف.

الأسرة هي أساس المجتمع الشرق أوسطي، ولهذا فإن أمن الأسرة جوهرية. فالسلام والأمن اللذان تقدمهما أسرة مستقرة يُتمنان كثيراً ويُنظر إليهما على أنهما جوهريان للنمو الروحي لأعضائها. فالنظام الاجتماعي المتناسك الذي توجده الأسر الموسعة يخلق جماعات قوية ويشكل النظام الاجتماعي.

إذا تأخر موظف أو غاب بسبب التزامات عائلية ينبغي أن يفهم رب العمل الأمر. ومن غير المعقول توقع أن يمنح موظف عربي الأولوية لمتطلبات العمل إذا تصارعت مع الواجبات العائلية.

إن وصف المجتمع السوري في كتاب بعنوان سوريا: دراسة بلد، يصح على المجتمعات العربية بعامة:

يضيف السوريون قيمة كبيرة على التضامن العائلي، وبالتالي، طاعة الأبناء لرغبات الوالدين. فأن تكون عضو أسرة جيداً يشمل الطاعة الآلية للأقرباء أيضاً. فالسوريون الموظفون في مناصب بيروقراطية،

كمسؤولي الحكومة، يجدون بالتالي صعوبة في أن يكونوا موضوعيين وغير متحيزين بسبب صراع مع القيمة التي يؤمنون بها بعمق وهي تضامن الأسرة.

ليس هناك شعور مشابه متأصل نحو العمل، الموظف، الشريك في العمل أو الصديق. ثمة قناعة واسعة الانتشار بأن الأشخاص الوحيدين الذين لهم قيمة هم أقرباء المرء. فمدير المكتب يميل إلى انتقاء الأقرباء كزملاء في العمل أو تابعين بسبب إحساس بالمسؤولية حيالهم وبسبب شعور الثقة بهم. والمؤسسات التجارية هي بنحو كبير عمليات عائلية موظفوها هم سلاله وأقرباء المالك. ويمكن أن يستند التعاون بين شركات العمل إلى حضور أو غياب الروابط بين رؤساء الشركات. فحين يصبح شابان صديقين حميمين، فإنهما غالباً ما يعززان العلاقة بقبول أحدهم للآخر «أخاً»، وهكذا يضع كل منهما الآخر في موقع مسؤولية خاصة تجاه بعضهما بعضاً. ليس هناك أساس حقيقي لعلاقة حميمية عدا روابط القرابة¹.

العلاقات بين أعضاء الأسرة

يعرف الرجل العربي بأنه رئيس أسرته المباشرة، ودوره ونفوذه علنيان. ولزوجته أيضاً مجال محدد بوضوح من النفوذ، ولكنه يوجد بنحو كبير وراء الكواليس. وبالرغم من أن المرأة العربية حريصة على إظهار الاهتمام بزوجها علناً، فإنها يمكن ألا تظهر له الخضوع نفسه سراً.

وفي مسائل تختلف فيها الآراء بين أعضاء الأسرة، فإن الكثير من الاستشارة والتفاوض يتمان قبل اتخاذ القرارات. وإذا لم يتم التوصل إلى تسوية، على أي حال، فإن رأي الأب، أو الكبار في الأسرة هو الذي يسود.

وتزداد المكانة في الأسرة حين يكبر المرء، وتمتلك الكثير من الأسر أمهات رئيسات أو آباء بطاركة يكون لآرائهم وزنٌ معتبر في المسائل الأسروية. ويُعلّم الأطفال إظهار احترام عميق للبالغين، وهذا نموذج سائد في المجتمع العربي في كل الأعمار. فمن الشائع، على سبيل المثال، أن يمتنع البالغون عن التدخين أمام والديهم أو أقرباء أكبر سنّاً.

تقع المسؤولية عن أعضاء آخرين من الأسرة على عاتق رجال أكبر في الأسرة الموسّعة وعلى الأبناء الأكبر في الأسرة المباشرة. فالأطفال هم «الضمان الاجتماعي» لآبائهم، والأبناء الكبار، بخاصة، مسؤولون عن دعم الوالدين. وفي غياب الأب، الأخوة مسؤولون عن شقيقاتهن غير المتزوجات.

إن أعضاء الأسرة يتكلمون على بعضهم عاطفياً، وتستمر هذه الروابط في أثناء حياة المرء. ويشعر بعض الناس بأنهم أكثر قرباً لأخواتهم وشقيقاتهم ويثقون بهم أكثر من ثقتهم بزوجاتهم. وقد قال توجيه كُتب للعمال الاجتماعيين في العالم العربي الإسلامي:

إن انخراط الأسرة في المساعدة الفردية يمكن أن يكون معتبراً، ويمكن أن يجعل مهمة العامل الاجتماعي أكثر تعقيداً. وفي الجماعات العربية المسلمة، يُربى كثيرون على اعتبار الأسرة

كمصدر متواصل للرزق. ويمكن أن يحظى أعضاء الأسرة الموسعة بقيمة كبيرة أيضاً. يمكن توقع انخراطهم ويمكن أن تتم استشارتهم في أوقات الأزمة. وحين يواجه عضو أسرة مشكلة، فإن تخلصه منها يمكن أن يهم كثيراً من الأعضاء... وبالرغم من أن العرب المسلمين يمكن أن يفضلوا السرية ويحرسوها بشدة، فإن خصوصيتهم الشخصية داخل الأسرة غير موجودة. أما القرارات بخصوص الرعاية الصحية فتتخذها مجموعة الأسرة وهي ليست مسؤولية الفرد².

في الإمارات العربية المتحدة، عُقد مؤتمر حول موضوع «دور الأسرة ورفاه العجائز»، قالت فيه زوجة الحاكم:

نعتقد أن أبناءنا وبناتنا مسؤولون تجاه الله والأمة، عن آبائهم حين يشيخون. ونعتقد أن القيام بهذه المسؤولية هي أحد مراسي مجتمعنا الأساسية. وقد لاحظنا، أسفين، بعض أفراد الأسرة الذين لا يهتمون بالكبار. وهذا ما يناقض قيمنا وتقاليدنا. نأمل أن يساعد هذا المؤتمر في مكافحة هذه الاتجاهات ويقترح قانوناً ضرورياً لمعاقبة المسؤولين عن انتهاك قيمنا وتقاليدنا³.

إن أدوار الأم والأب في المجتمع العربي التقليدي هي مختلفة تماماً حين تتعلق بأطفالهما في الأسرة العربية التقليدية. يُنظر إلى الأم كمصدر للدعم وللطف الثابت. فهي صبورة ومسامحة وميالة إلى

الانغماس وتدليل أولادها وخاصة الذكور. فيما الأب، الذي يُنظر إليه كمصدر للحب، يمكن أن يظهر عاطفة أقل؛ فهو أيضاً مصدر السلطة والعقاب. ويشعر بعض الآباء العرب أن مكانتهم في الأسرة تُحفظ بنحو أفضل من خلال زرع الخشية ودرجة من الخوف في أعضاء الأسرة؛ ولكن هذا نادر.

يحافظ الآباء في معظم الأسر العربية على صلة وثيقة جداً بوالديهم وأخوتهم وشقيقاتهم. لهذا السبب، يكبر الأطفال العرب وهم يجربون تفاعلاً متواصلًا مع أقرباء أكبر سنًا، وبينهم الجدان، اللذان غالباً ما يعيشان في المنزل نفسه. وهذا يسهم في انتقال القيم الاجتماعية من جيل إلى آخر، بما أن تأثير الأقرباء الأكبر سنًا حاضر دوماً. يتمردُّ بضعة مراهقين وشبان عرب، نسبياً، ضد قيم الأسرة ورغباتها، ولكن ليس إلى الدرجة الشائعة في المجتمعات الغربية. ويتماشى الذين يؤثرون بالذوق الحديث في اللباس، ومادة القراءة، والتسلية مع القيم الاجتماعية السائدة ويتوقعون أن تكون أسرهم على غرار والديهم. وتتجمع كثير من الأسر العربية التي تعيش في الغرب سوية كل عطلة نهاية أسبوع إذا أمكن ذلك.

الزواج

ما يزال معظم العرب يفضلون الزيجات المرتبة عائلياً. وبالرغم من أن عادات الزواج تتغير في بعض الدوائر الحديثة، ما يزال الزوجان ينشدان الموافقة العائلية على الشخص موضع الاختيار. وهذا أساسي كفضل احترام تجاه الوالدين، ونادراً ما يتم الزواج في تحد للأسرة.

يشعر كثير من العرب أنه من الأكثر تعقلاً ترك الزواج لهوى الأسرة بدلاً من اختيار شخص على أساس العاطفة والرومانس فحسب وذلك لأن الزواج قرار رئيس. وفي جميع البلدان والمجموعات الاجتماعية العربية تقريباً، فإن العروس أو العريس المتوقعان يمتلكان فرصة اللقاء والزيارة والتعارف وقبول أو رفض اقتراح الزواج. وتتنوع درجة استشارة الأفراد بحسب مدى تقليدية أو حداثة الأسرة.

إن النموذج المفضل للزواج بين المسلمين العرب، خاصة في الجماعات الريفية والتقليدية وفي شبه الجزيرة العربية، هو من ابن عم أول أو ثان. وفي الحقيقة، إن الزواج من الأقرباء في تصاعد. وفي المعدل المتوسط، إن حوالي ثلث الزوجات هي بين أبناء عم أو من شخص في مجموعة القرابة نفسها (المعدل المتوسط العالمي هو 20%)⁴. تتنوع التقديرات، بين 20% و50%، والنسبة أعلى في شبه الجزيرة العربية. وهناك أسباب جيدة لذلك. بما أن جزءاً مهماً من ترتيب الزواج هو التحقق من المكانة المالية والاجتماعية للمرشحين المقترحين، فمن المطمئن الزواج من شخص تتوفر معرفته بخلفيته وشخصيته ومركزه المالي. يضمن الزواج من ابن عم أيضاً أن الأموال، في شكل مهر أو ميراث، تبقى في الأسرة.

إن الزواج داخل الأسرة هو الوسيلة الرئيسية لتدعيم تضامن القرابة (وهذا أحد أسباب لماذا لا يكون ولاء العرب الأول لأمتهم ويظلون أكثر التصاقاً بالقبيلة أو القرابة؛ وحتى رؤساء الدول غالباً ما يضعون ولاءات أخرى أمام المصالح القومية). فالزواج من ابن عم

يحمي الزوجة، التي تتمتع بعلاقات أفضل مع أهل زوجها وتستطيع الحصول على دعمهم وقت الحاجة. واللواتي يتزوجن من أقرباء يكن أكثر قدرة على الرعاية بالوالدين الكبار اللذين هما قريبان للزوج أيضاً. وإذا كانت العروس من خارج الأسرة، فمن المحتمل أن يطور زوجها تضامناً أكبر مع أسرتها ويقلل من ولائه لأسرته. وتحصل المشكلات الوراثية في حوالي 10% من هذه الزيجات⁵.

وعلى عكس العادات الغربية، لا يدخل الزوجان العربيان الزواج بتوقعات مثالية أو رومانسية مبالغ بها. صحيح أنهما يسعيان إلى الرفقة والحب، ولكن من المهم على حد سواء، أنهما يريدان الأمن المالي، والمكانة الاجتماعية، والأطفال. وهذه الأهداف واقعية ويتم تحقيقها. في المجمل، إن الزيجات العربية مستقرة وتتسم بالاحترام المتبادل. فالحصول على أسرة سعيدة يعد هدفاً أساسياً في العالم العربي.

الطلاق

ينتمي معظم المسيحيين العرب إلى طوائف تحرّم الطلاق. أما بين العرب المسلمين فإن الطلاق مسموح به وخاضع للقوانين الدينية بحرص. والطلاق شائع بما يكفي بحيث أنه لا يعد وصمة عار بالنسبة لمن يقوم به، والذين يُطلقون صالحون للزواج من جديد. وعلى الأرجح ليس هناك الكثير من الألم الشخصي المرتبط بالطلاق إذا كان الزواج مرتباً؛ فالحصول على الطلاق ليس اعترافاً بحكم خاطئ أو اعترافاً ضمناً بالفشل الشخصي، كما يُنظر أحياناً إلى الأمر في المجتمع الغربي.

وبالرغم من أن المسلم يمكن أن يطلق زوجته إن رغب بذلك، فإنه يجازف بالحاق ضرر كبير بصورته الاجتماعية إن كان اعتباطياً أو مستعجلاً في قراره. فالعملية في الإسلام التقليدي بسيطة جداً: تُلفظ صيغة الطلاق (أنت طالق) أمام شهود فقط. إذا قيلت الصيغة مرة أو مرتين، يمكن أن تظل هناك فرصة للمصالحة؛ إذا كررت للمرة الثالثة، فلا رجعة عنه. وقد عدلت جميع بلدان الشرق الأوسط تقريباً هذه الصيغة وتتطلب متابعات في المحاكم، مشترطة حقوق المرأة في النفقة ودعم الطفل. يجب أن تمر المرأة في إجراءات محكمة وعادة تتجح على أساس كونها لا أولاد لها، أو الهجر، وغياب الدعم. ففي الأردن وسوريا والمغرب يمكن أن يحتوي عقد زواجها على بند يتضمن استهلال الطلاق. إن حماية كهذه في ازدياد.

حين تُطلق امرأة مسلمة، فإن زوجها يجب أن يدفع مبلغاً لتسوية الطلاق، والمتضمن في كل عقد زواج وهو عادة مبلغ ضخم. بالإضافة إلى ذلك، هي مხოولة للدعم المالي لمدة ثلاثة أشهر على الأقل (وهي فترة انتظار لتحديد أنها ليست حاملاً) وأكثر من ذلك إن كانت محتاجة، وكذلك الدعم لأولادها القاصرين إذا كانوا تحت وصايتها. ويمكن أن تكتب شروط إضافية في عقد الزواج.

تتبع بضعة بلدان عربية الشريعة الإسلامية بنحو كامل في مسائل الطلاق؛ وقد قامت معظمها بالإضافة إليها. فالقوانين المتعلقة بالطلاق نوقشت على نطاق واسع، وتُقترح التغييرات باستمرار. على سبيل المثال، إن الوصاية على الأطفال مقررة نظرياً بحسب الشريعة.

يجب أن يبقوا مع أمهاتهم حتى سن معيّنة (تقريباً سبعة أعوام للأطفال الذكور وتسعة للبنات، بالرغم من أن هذا يختلف قليلاً بين البلدان)، وعندها بمكنتهم الذهاب إلى آبائهم. وليس الانتقال آلياً دوماً، على أي حال، ويمكن إقراره في المحكمة أو من قبل شيخ، بحسب ظروف القضية.

ممارسات تربية الأطفال

يحب العرب الأطفال كثيراً، ويعبر كل من الرجال والنساء عن هذا الحب علناً. وينمو الأطفال العرب محاطين بأقرباء متيّمين بهم يشتركون في تربية الطفل من خلال إطعامه ورعايته وتنظيم الأطفال الآخرين. ولأن الكثير من الأشخاص حرصوا عليهم وخدموا كشخصيات سلطوية وبما أن الممارسة شمولية، فإن العرب متجانسون بنحو ملحوظ في تجربة الطفولة. يتعلم الأطفال العرب القيم نفسها بالطريقة نفسها؛ ولا تعتمد تنشئتهم بنحو اعتباطي على مقارنة الوالدين كما هو الأمر في المجتمعات الغربية.

كان هناك دوماً في الثقافة العربية التقليدية تفضيل ملحوظ للذكور على الإناث لأن الرجال يسهمون أكثر في نفوذ الأسرة في الجماعة. ويُقدم للأطفال العرب نماذج أدوار مختلفة من أجل نمو الشخصية. فمن المتوقع أن يكون الذكور عدوانيين وحاسمين؛ ومن المتوقع أن تكون الفتيات هادئات. فهذا الموقف إزاء الذكور والإناث بدأ يتغير الآن بما أن النساء يتعلّمن ويصبحن صاحبات دخل. ويستخدم الكثير من المتزوجين العرب موانع الحمل ويحدون من حجم أسرهم إلى طفلين أو ثلاثة إذا كانوا كلهم إناثاً.

ويجد بعض العرب المتعلمين وذوي التفكير الليبرالي الضغط من الأسرة من أجل التكيف مع المعايير الاجتماعية الصارمة قمعياً. فكثير مما كُتب عن موضوع الشخصية العربية ونمو الشخصية سلبياً جداً، وخاصة ما قاله العرب أنفسهم* . يشعر كثير من العرب بالاستياء من المتطلبات التي تفرضها عليهم عائلاتهم والمجتمع ويعتقدون أن الانسجام يؤدي إلى نمو سمات شخصية غير مرغوبة.

يشعر معظم العرب أنه بينما كانت طفولتهم، بطرق كثيرة، وقتاً للتدريب الصارم، فإنها كانت أيضاً وقتاً للترف والحب المعلن، وخاصة من أمهاتهم. يُعاقب على الفشل في التكيف، ولكن أساليب العقاب ليست قاسية في العادة.

إن المطلب الأكثر أهمية في الثقافة العربية لطفل "جيد" هو التصرف المحترم أمام الكبار. على عكس الغربيين، يمكن أن يشترك معظم الراشدين في تصحيح طفل، لأن الوالدين يعرفون أن جميع الراشدين لديهم القيم نفسها. ينمو الأطفال دون تشوش حيال المتطلبات الاجتماعية. يجب أن يحيي الأطفال الراشدين بالمصافحة، ويبقوا كي يتحدثوا ليضع لحظات إن طُلب منهم ذلك، ويمتنعوا عن المقاطعة أو الردّ. وغالباً ما يساعد الأطفال في خدمة الضيوف وهكذا يتعلمون متطلبات حسن الضيافة باكراً. والغربيون الذين يريدون أن يخلق أبنائهم انطباعاً جيداً لدى الضيوف العرب يمكن أن يرغبوا في وضع هذه العادات في أذهانهم.

* انظر مثلاً وصف شرابي وآني وحمادي لتثنية الأطفال العرب.

إن مسؤولية تربية الأطفال مهمة جداً بين العرب بحيث ينعكس هذا جيداً على الأسرة. وإنها إهانة أن تقول لشخص إنه قليل التربية. فنجاح الأطفال وشخصيتهم ينعكسان مباشرة على والديهما. ويميل العرب إلى مدح الوالدين كثيراً على نجاح أبنائهم وإلى لومهم كثيراً على فشلهم. فالوالدان يقدمان التضحية بكل استعداد من أجل رفاه أولادهم؛ ويتوقعان أن يتم الاعتراف بهذه الجهود وأن يستمر تأثيرهما كوالدين في أثناء حياة الطفل.

يبدأ كثير من الآباء الغربيين بتمرين أولادهم في مرحلة مبكرة كي يكونوا مستقلين ومعتمدين على أنفسهم. ويقدمون للأطفال أعمالاً رمزية ونقوداً منتظمة كأجرة ويشجعونهم بنحو متكرر على اتخاذ قراراتهم الخاصة. يساعد هذا التمرين الأطفال على تجنب الاتكال على والديهم بعد أن يصلوا إلى سن الرشد.

يرحبّ الوالدان العربيان، من ناحية أخرى، باتكالية أطفالهم. وتحاول الأمهات، خاصة، جعل الأطفال مربوطين بهن عاطفياً. يواصل الشبان الحياة في المنزل إلى أن يتزوجوا. ومن المعتاد لوالدي زوجين حديثي الزواج أن يؤثتا منزلهما بكامله وأن يواصلوا المساعدة المادية.

التحدث عن أسرتك

مفترضين هذا التشديد على خلفية الأسرة وشرفها، ينبغي أن تفكر بحرص بالانطباع الذي قد تتركه حين تقدم معلومات عن علاقاتك العائلية للعرب. إن قول الكلام الخطأ يمكن أن يؤثر في صورتك ومكانتك.

يفاجأ العرب كثيراً إن تحدث شخص ما عن الفقر والظروف المعوّقة في بداية الحياة. بدلاً من الإعجاب بنجاح المرء في تخطي هذه الظروف، فإنهم يتساءلون لماذا يعترف المرء بأصوله المتواضعة حين لا حاجة لمعرفتها.

إذا كان والدك في وظيفة متدنية المكانة؛ إذا كان لديك أقرباء، وخاصة من الإناث، ألحقوا العار بالأسرة؛ وإذا كان لديك أقرباء كبار في دور الرعاية (مما يراه العرب صادماً) لن تكسب شيئاً من الحديث عن هذا. إذا كنت تكره والدك أو أي أقرباء آخرين، احتفظ بأفكارك لنفسك. من ناحية أخرى، إن كنت من أسرة بارزة أو كنت قريباً من شخص مشهور، فإن إطلاع الآخرين على هذه المعلومات يمكن أن يعمل لصالحك.

باختصار، إذا لم يكن لديك أمور إيجابية تقولها عن أسرتك، أمور تجعل العرب معجبين بها، من الأفضل تجنب الموضوع.



الفصل التاسع الدين والمجتمع

يتماهى العرب بقوة مع الجماعات الدينية، سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين، وسواء أكانوا مشاركين في الطقوس الدينية أم لا. وينبغي أن يكون الأجنبي واعياً للدور السريع الانتشار للدين في الحياة العربية كي يتجنب الإساءة من خلال المقولات أو الأفعال غير المروى فيها.

الاندماج الديني

الاندماج الديني جوهري لكل شخص في العالم العربي. إذ ليس هناك مكان للمحد أو لأدري. إذا لم يكن لديك انتماء ديني أو كنت ملحداً فعليك ألا تذكر ذلك. ذلك أن الصدمة والذهول سيكونا رد فعل معظم العرب، بالإضافة إلى فقدان الاحترام لك. فالعرب يثمنون عالياً التدين ويحترمون بعمق أي شخص يمارس دينه بإخلاص، مهما كان هذا الدين.

الممارسات الدينية

يؤثر دين العربي على طريقة حياته كلها على أساس يومي. فالدين يُعلّم في المدارس، واللغة مليئة بالتعبيرات الدينية، ويمارس الناس دينهم علناً، وبشكل بارز في معظم الأحيان، معبرين عنه

بطريق عديدة: زينة على السيارة وفي المنازل؛ مجوهرات على شكل صلبان ذهبية، مصاحب صغيرة، أو قلادات نُقشت عليها آيات قرآنية، وأسماء دينية.

يقدم القرآن قوانين شاملة عن العلاقات بين الأشخاص، تتجاوز التعليمات الأخلاقية والمواظب الإيمانية. وقد أوحى القرآن حين كان النبي محمد ﷺ يقود جماعة، وهكذا فإن كثيراً منه يتعامل مع تأسيس مجتمع عادل، وحكومة، ومبادئ اقتصادية وقوانين وإدارة عمل. إنه نص ديني وقوانين تشريعية، في آن واحد.

يردد المسلمون الصيغة القرآنية «بسم الله الرحمن الرحيم» كلما انطلقوا في رحلة أو قاموا بمهمة خطيرة أو بدؤوا بالكلام. وهذه الصيغة مطبوعة في رأس رسائل العمل وفي بداية التقارير والرسائل الشخصية، وتظهر أيضاً في الإيصالات التجارية.

يخضع الزواج والطلاق بالنسبة لكل من المسلمين والمسيحيين للقانون الديني. وفي بعض البلدان ليس هناك وجود لشيء مثل الزواج المدني؛ ذلك أن الزواج يجب أن يؤديه مسؤول ديني. وبالنسبة للمسلمين الميراث خاضع كذلك للقانون الديني، وفي البلدان المحافظة يحدد القانون الديني جزئياً طرق العقاب الجنائي.

تكتسب ممارسة «الصرافة الإسلامية» شعبية. فالدين الإسلامي يمنع إقراض النقود في نسبة ثابتة من الفوائد، ويعتبر ذلك غير عادل واستغلالياً. بالتالي، تضع المصارف الإسلامية نقود المستثمرين في حسابات شركة في «مجازفة مشتركة»، بنسب عائد تتنوع بحسب الأرباح أو الخسائر في الاستثمارات.

الزواج عبر الخط الديني نادر، بالرغم من أن الدين الإسلامي يسمح للمسلم أن يتزوج من يهودية أو مسيحية دون أن يتطلب ذلك ارتداد زوجته. وعلى أي حال يجب أن تتزوج المرأة المسلمة رجلاً مسلماً؛ وبهذه الطريقة يتم التأكد من أن الأبناء مسلمون (والأطفال يكونون على دين والدهم).

لا تقم أبداً بتعليقات نقدية حول أية ممارسة دينية. ففي الثقافة العربية تعامل جميع الأديان وممارساتها باحترام. إذا كنت مسيحياً أجنبياً وطلبت من المسيحيين العرب مرافقتهم إلى خدمات الكنيسة سيسرهم ذلك جداً. أما غير المسلمين فلا يحضرون الخدمات الدينية الإسلامية، ويجب ألا تدخل مسجداً إلا بعد أن تتحقق من أنه مسموح لك ذلك، وهذا يتنوع من بلد إلى آخر ومن مسجد إلى آخر.

دين الإسلام

كي تفهم الثقافة العربية من الجوهري أن تتعرف على التاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية. فإذا فعلت ذلك، ستحظى بفهم لا يمتلكه إلا قلة من الغربيين، وستقدر جهودك بنحو كبير.

نشأ الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية في القرن السابع بعد الميلاد. وتستند عقائد الإسلام إلى وحي الله إلى آخر أنبيائه محمد، في فترة اثنين وعشرين عاماً. وقد حفظ الوحي في كتاب المسلمين المقدس، القرآن الكريم*.

* إن القرآن الكريم هو الكتاب الأكثر قراءة وتلاوة وإثارة للجدل وحفظاً وتحليلاً وتجيلاً في حوليات التاريخ¹.

إن الربَّ الذي يعبده المسلمون هو نفسه الذي يعبده اليهود والمسيحيون؛ فالمسيحيون العرب يصلُّون لله. ويُعرِّف الإسلام بأنه عودة إلى دين إبراهيم، النبي الذي عقد ميثاقاً مع الرب.

يحتوي الإسلام على عقائد تُوجِّه المسلمين إلى تصحيح سلوكهم بحيث يحصلون على الخلاص يوم القيامة، ويحتوي على قصص توضحُ كرم الله وجبروته، وعلى قوانين اجتماعية للجماعة الإسلامية. إنه القوة الهادية الوحيدة الأكثر أهمية للمسلمين ويمس جميع مظاهر حياتهم.

تعني كلمة إسلام «الاستسلام» لإرادة الله، وتعني كلمة المسلم «ذلك الذي يخضع». ويُنظر إلى العقيدة الإسلامية كتلخيص وإتمام للوحي السابق الذي هبط على الأنبياء اليهود والمسيحيين. ويشترك الإسلام في كثير من عقائده مع اليهودية والمسيحية ويسمِّي اليهود والمسيحيين «أهل الكتاب».

بعد وقت قصير من إطلاق الدعوة الإسلامية، بدأ العرب بفتح الأراضي المحيطة، ووسَّعوا إمبراطوريتهم إلى إسبانيا والهند. ويفسر الاعتناق الواسع للإسلام من قبل شعوب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حقيقة أن أكثر من 90% من العرب مسلمون.

إن معظم المسلمين العرب هم سنَّة، ويشكلون 85% من المسلمين. 15% هم شيعة ويوجدون في لبنان والعراق والخليج العربي. (إيران، البلد الشيعي الأكثر أهمية، ليست عربية). ونشأ انفصال المسلمين إلى

جماعتين من نزاع حول الخلافة بعد وفاة النبي محمد. ويختلف السنة والشيعية اليوم في بعض ممارساتهم الدينية وتشديدهم على عقائد معينة، ولكن الجماعتين تعترفان ببعضهما بعضاً كمسلمتين.

تحكم الشريعة المجتمع الإسلامي، وهي مستندة إلى القرآن والسنة، التي نشأت حين كان النبي محمد يحكم الجماعة الإسلامية في المدينة ومكة. السنة هي وصف أفعال وأقوال النبي وتشكل الحديث النبوي. ويستخدم المشرعون المسلمون الإجماع والقياس حين يؤولون القانون الإسلامي ويطبّقونه.

يختلف تطبيق القانون الإسلامي بحسب البلاد والتأويلات المحلية للقرآن والشريعة. وتتبع بعض البلدان (المملكة العربية السعودية، ليبيا، السودان) الشريعة حصرياً في القانون المحلي والجنائي، ولكن معظمها عدلتها أو أضافت إليها. ويواجه المشرعون المسلمون مسائل جديدة لم يكن عليها اتفاق نهائي أو إجماع. إن موانع الحمل، على سبيل المثال، المسموح بها في معظم البلدان الإسلامية، يشجعها بعضهم علناً ويرفضها بعضهم الآخر. ففي باكستان وبنغلادش (وهما بلدان إسلاميان، غير عربيين) موانع الحمل عمل اجتماعي كبير يستند إلى تأويل المبادئ الدينية. وقد عُقد الكثير من المؤتمرات الإسلامية التي نوقشت فيها مسائل مثل تحديد النسل، لباس النساء، عقوبة الإعدام، والتعدد الاجتماعي. وليس هناك، على أي حال، سلطة مركزية ملزمة لتنفيذ قرارات متفق عليها.

تُعرف المعتقدات الأساسية للدين الإسلامي باسم «الأركان» الخمسة وهي الإلزامات الرئيسية للمسلمين:

الإدلاء بشهادة أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله). إن أداء هذه الشهادة بنية حسنة أمام رجلين مسلمين شاهدين كاف للشخص كي يصير مسلماً.

إن العرب والمسلمين والمسيحيين على حد سواء يوشّون محادثاتهم اليومية بإشارات إلى إرادة الله (انظر التحيات الاجتماعية في الملحق). ولإحداث انطباع جيد، أنصحك بأن تفعل الأمر نفسه. فاستخدام تعبيرات دينية عربية يعمل كإقرار رسمي بأهمية الإيمان الديني في المجتمع.

الصلاة خمس مرات في اليوم. تؤدي هذه الصلوات فجراً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً، وتختلف مواقيتها بنحو ضئيل كل يوم. ويُذكر المسلمون بأن يُصلّوا عبر الأذان. ويصلي المسلم مديراً وجهه شطر الكعبة في مكة. أما الصلاة الجماعية الأسبوعية فهي صلاة الظهر في الجامع أيام الجمعة، يحضرها عادة الرجال (يمكن أن تذهب النساء ولكن هذا ليس شائعاً، وغير متوقع). وتشتمل صلاة الجمعة أيضاً على خطبة. ويتم الوضوء قبل الصلاة وينظمها كذلك عدد محدد مسبقاً من السجودات والتلاوات، بحسب وقت اليوم. ويشتمل طقس الصلاة على الوقوف والانحناء ومس الجبهة بالأرض (المفروشة بسجادة صلاة)، الجلوس إلى الخلف ومسك اليدين بوضع الركب، وكل

هذا في أثناء تلاوة الآيات. يمكن أن يصلي المسلمون في مسجد، أو في المكتب والمنزل أو الأماكن العامة. تجنب التحديق بشخص في أثناء الصلاة أو السير أمامه أو مقاطعته.

إن الأذان الذي يُرَدَّد خمس مرات في اليوم يحتوي على العبارات التالية، التي يتنوع تكرارها بنحو ضئيل بحسب وقت اليوم:

الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله

حيا على الصلاة

حيا على الفلاح

الله أكبر

لا إله إلا الله.

إذا تعلّمت الأذان بالعربية، فإنه سيضيف إلى متعتك في تعلمه (صار كثير من الغربيين معتادين على الأذان بحيث يشتاقون إليه حين يغادرون).

تُستخدم العبارة الأولى (الله أكبر) كثيراً في الإسلام في سياقات أخرى كذلك. إنها، في الحقيقة، «العصب الثقافي المهيمن في الإسلام، الإعلان الذي يتخلل الحياة كلها، سبب الاعتقاد، باعث الفعل، الوحي للجندي والثورة، العزاء للمضاهدين»².

تأدية الزكاة للمحتاجين. إن تأدية الزكاة تُعدُّ فرضاً على المسلمين وتتألف من 21 إلى 22% من دخلهم السنوي الصافي (بعد النفقات العائلية الأساسية) من أجل رفاه الجماعة والفقراء بخاصة. يقدر البعض دخلهم سنوياً ويقدمون النقود لحكومة أو جماعة؛ ويوزع آخرون الزكاة طول العام.

إذا طلب منك متسول صدقة من الأفضل أن تقدم له مبلغاً رمزياً. حتى إذا لم تقدم شيئاً، تجنب الرفض، الذي يُعتبر في غاية الوقاحة، وقل بدلاً من ذلك "الله يعطيك"؛ فعلى الأقل تمنح الشخص بذلك بركة. هناك تشديد كبير على الزكاة في الإسلام؛ وهي في غاية الأهمية. ويرى المسلمون الإسلام على أنه دين العدالة الاجتماعية.

صيام رمضان. رمضان هو الشهر التاسع في السنة القمرية الإسلامية (والتي هي أقل بأحد عشر يوماً من 365، وهكذا فإن العطل الدينية تتحرك إلى الأمام كل عام). وفي أثناء رمضان يمتنع المسلمون عن تناول الطعام والشراب والتدخين من شروق الشمس إلى غروبها. وهدف الصيام هو تجريب الجوع والحرمان وتأدية الانضباط الذاتي والتواضع والإيمان. إن صيام رمضان ليس فرضاً على الأشخاص الذين يمكن أن تتعرض صحتهم للخطر، ويعفى كذلك من كان على سفر؛ على أي حال، إن كل من يُعذر يجب أن يعوّض ما فاتته فيما بعد حين تسمح الصحة والظروف بذلك. يحضر رمضان معه جوّ العطلة، ويجتمع الناس مع الأسرة والأصدقاء لكسر الصيام في وجبات معتبرة كل مساء. تُختصر ساعات العمل، وتُغيّر الحوانيت مواعيد فتحها وإغلاقها، وتتم معظم الأنشطة في الصباح الباكر أو في وقت متأخر ليلاً.

كن مراعيًا للصائمين في رمضان بالامتناع عن الأكل أو الشرب أو التدخين في الأماكن العامة في أثناء ساعات الصيام. وكي تعبر عن أمنيات طيبة لأحد الأشخاص قبل أو بعد رمضان يمكنك القول «رمضان كريم»، ويكون الرد «الله أكرم».

أداء فريضة الحج إلى مكة على الأقل مرة واحدة في العمر إذا سمح لك ذلك. إن الحج هو قمة التجارب الدينية لكثير من المسلمين. ففي الشهر الثاني عشر من السنة الإسلامية يجتمع المسلمون من جميع أنحاء العالم في المملكة العربية السعودية لأداء أنشطة عديدة منفصلة، تتم في مواقع مختلفة في مكة والمدينة في مدة ستة أيام. ويحيي الحج ذكرى حياة النبي إبراهيم.

يرتدي الحجاج، رجالاً ونساءً، العباءات البيضاء التي ترمز إلى الطهارة وإلى المساواة أمام الله. وفي نهاية أيام الحج عطلة تضحي فيها العائلات القادرة بخروف، وبعد تناول ما يكفي يُوزَّع ما تبقى على الفقراء. وتتعلق التضحية باختبار إيمان إبراهيم الذي كان راغباً بأن يضحّي بابنه ولكنه ألهم أن يضحّي بكبش بدلاً من ذلك. إن المشاركة في هذه العطلة لفترة مهمة بحيث أنه في كل عام ترسل الحكومات لحوماً فائضة من الأضاحي إلى اللاجئين والفقراء ذوي الدخل المتدني في البلدان الإسلامية في أنحاء العالم.

حين يغادر شخص إلى الحج فإن العبارة اللائقة التي تقال له «حجاً مبروراً». وحين يعود يُهنأ ويمنح لقب الحاج (والحاجة للنساء) إلا في المملكة العربية السعودية حيث لا يُستخدم هذا اللقب.

القرآن والكتاب المقدس

يتشابه القرآن (بالرغم من أنه ليس متماثلاً) مع التعاليم والقصص الموجودة في العهد القديم والعهد الجديد في الكتاب المقدس. وتقبل العقيدة الإسلامية الوحي السابق للأنبياء التوراتيين على أنه صالح، ولكنها تقر، كما تفعل التوراة، أن الناس يضلون باستمرار عن هذه التعاليم. والتوجيه الصحيح يجب أن يكرر عبر أنبياء مختلفين، واحداً بعد آخر. وفي القرن السابع، كان يجب أن تُصحح العقائد والممارسات ثانية من خلال الوحي إلى النبي محمد، المعروف باسم «خاتم الأنبياء».

يتألف القرآن من 114 سورة، مرتبة بحسب الطول، من الأطول إلى الأقصر (مع بعض الاستثناءات). ليست السور مرتبة بحسب التسلسل الزمني، بالرغم من أن القارئ يستطيع أن يحدد إن كانت السورة قد أُوحي بها في مكة (بأكرأ) أو المدينة (فيما بعد). وتتألف كل سورة من آيات. إذا قررت أن تقرأ القرآن مترجماً، من الأفضل أن تحصل على قائمة الآيات مرتبة بحسب التسلسل الزمني وتقرأها بالترتيب بحيث يتوضح تطور الفكر والتعاليم*.

إن معظم السور في القرآن هي كلام إيقاعي مقفى، بينما بعضها الآخر (وخاصة المدنية) غير مسجوع. إن الإيقاع القوي للقرآن المتلو، ممتزجاً مع جمال مضمونه، يفسر تأثيره الجمالي والشعري الكبير حين يُسمع

* تتوفر قائمة بالآيات القرآنية المرتبة بحسب التسلسل الزمني في كتاب رتشارد بل، مدخل إلى القرآن الكريم (1953). وهي أيضاً متوفرة على الإنترنت.

بالعربية. ويعد القرآن نموذج الكتابة العربية، وحين يُتلى بصوت مرتفع فإنه يسبب بكاء المستمعين. إن رشاقة وجمال التعبير في القرآن يعان برهاناً على أصله الإلهي، ولا يستطيع بشري أن يأتي بمثله.

إن السمات الثلاث للقرآن التي تُذكر غالباً هي التالية: لا يمكن محاكاته، أبدي (لقد وجد دوماً لكن لم يظهر إلا في القرن السابع)، ومكتوب بالعربية (النسخة العربية هي كلام الله ولهذا لا تُستخدم ترجمات القرآن إلى لغات أخرى في الصلاة). وآيات القرآن تُستخدم كثيراً في فن الزخرفة.

من الشائع بالنسبة للمسلمين حفظ القرآن، أو أجزاء كبيرة منه؛ فالشخص الذي يستطيع تلاوة القرآن يدعى الحافظ. إن قراءة القرآن وتلاوته كانت مرة الشكل التقليدي للتعليم، وغالباً التعليم الوحيد الذي حصل عليه كثير من الناس. وفي معظم المدارس العربية اليوم تشتمل المقررات الدراسية على حفظ القرآن. وتعني كلمة قرآن في العربية القراءة.

ويشترك القرآن والتوراة في أمور كثيرة:

- ضرورة الإيمان.
- مكافأة الأفعال الجيدة وعقاب الأفعال السيئة يوم القيامة.
- مفهوم الجنة والنار.
- وجود الملائكة الذين يصلون بين الله والبشر.

- وجود الشيطان.
 - الاعتراف بأنبياء عديدين* .
 - تحريم أكل لحم الخنزير ولحم الحيوانات التي لا تذبح بطريقة طقسية، وهذا يشبه كثيراً قانون الحمية (كاشير) في التوراة.
 - أن المسيح ولد من عذراء؛ فماري تدعى مريم في العريية (الموضوع هو نفسه، بالرغم من اختلاف التفاصيل).
 - أن يسوع اجترح المعجزات، وبينها شفاء المرضى وإحياء الموتى.
- وهناك بعض الاختلافات الملحوظة بين القرآن التوراة كذلك:
- لا يعترف الإسلام بمفهوم التوسط بين الله والإنسان؛ فجميع الصلوات يجب أن تؤدي لله مباشرة. يُعترف بالمسيح كأحد أهم الأنبياء، ولكن المفهوم المسيحي لهذا التوسط من أجل خطايا المرء لا يُقبل.
 - يرى الإسلام أن المسيح لم يُصلب، وإنما استبدل بشخص يشبهه بمعجزة على الصليب؛ لن يسمح الله بأن يحدث هذا لأحد أنبيائه.
 - لا يقبل الإسلام عقيدة انبعاث المسيح وألوهيته.

* يعترف القرآن بثمانية عشر من أنبياء التوراة (وبينهم آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى ويوسف) ويعترف بثلاثة من أنبياء العهد الجديد (زكريا، يوحنا المعمدان والمسيح). ويذكر القرآن أربعة أنبياء لم يذكرها في التوراة. ومن بين هؤلاء الأنبياء هناك خمسة يعدون الأكثر أهمية. وهم بحسب التسلسل التاريخي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

- الإسلام توحيدي ويرفض المفهوم المسيحي في التثليث.
- إن بعض القصص التوراتية التي رويت من جديد في القرآن (باختزال) تشتمل على ما يلي:
- قصة الخلق.
- قصة آدم وحواء.
- قصة قاييل وهاييل.
- قصة نوح والطوفان.
- قصة ميثاق إبراهيم ورغبته بأن يضحى بابنه كاختبار لإيمانه*.
- قصة لوط ودمار المدن الشريرة.
- قصة يوسف (بالتفصيل).
- قصة داود وجوليات.
- قصة سليمان وملكة سبأ.
- قصة عذابات أيوب.
- قصة ولادة المسيح**.

* يرى الإسلام أن إبراهيم أمر بأن يضحى بإسماعيل بينما تقول التوراة إنه كان إسحق. ويعرف إبراهيم بأنه سلف العرب من خلال إسماعيل.

** يروي القرآن أن المسيح ولد عند جذع شجرة نخل في الصحراء وأنقذ أمه غير المتزوجة من الازدراء حين تحدث كرضيع مدافعاً عنها معلناً نفسه نبياً قاتلاً: «والسلام عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حياً». (مشيراً إلى انبعائه يوم القيامة). وهذه معجزة ليسوع غير مذكورة في الإنجيل.

يشعر المسلمون بالقرابة مع الدينين اليهودي والمسيحي ويرون أنه من سوء الحظ أن قلة من الغربيين تفهم كم يشبه الدين الإسلامي دينهم. الإسلام استمرارية للدينين، ويرى المسلمون أنه الدين الصحيح المكتمل.

نصوص من القرآن الكريم

نقدم لكم هنا نصوصاً مختارة من القرآن الكريم لمنح القارئ فكرة عن نبرة ومحتوى الكتاب (من ترجمة إي. جي. آربر، 1955). عناوين السور تشير إلى كلمات مفتاحية في السورة وليس إلى المحتوى.

السورة الأولى: سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 1-7].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا
ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسَقُ الْيَوْمَ يَسُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مِتْجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠)

[المائدة: 120].

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (٢) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٣) ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥) ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ (٦) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (٧) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٨) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) [الضحى: 1-11].



الفصل العاشر

التواصل مع العرب

يدور هذا الفصل حول اللغة العربية. وبالرغم من أنه يمكن ألا تتعلموا العربية أبداً، فإنكم تحتاجون إلى معرفة شيء ما عن اللغة وكيفية استخدامها. فاللغة العربية هي اللغة المحلية لثلاث مئة مليون نسمة واللغة الرسمية لعشرين بلداً. وفي 1973 سُميت اللغة الرابعة الرسمية للأمم المتحدة، وهي سادس لغة منطوقة بنحو واسع في العالم* . وقد نشأت العربية كواحدة من اللغات السامية الشمالية. واللغات السامية الأخرى التي لا تزال واسعة الاستخدام هي العبرية (تم إحيائها كلغة منطوقة فقط منذ قرن) والأمهارية (الإثيوبية)، والتي هي من الفرع السامي الجنوبي. ما يزال هناك بضعة متحدثين للغات الأخرى السامية الشمالية (الأرامية والسريانية والكلدانية) في لبنان وسوريا والعراق.

وقد استعيرت كلمات إنكليزية كثيرة من العربية، وتلك التي من الأسهل معرفتها هي التي تبدأ بـ al مثل algebra, alchemy, alcove, al- cohoh, alkali. ويتعلق كثير منها بالحساب والعلوم؛ ذلك أن الباحثين

* ترتيب اللغات العليا العشر هو كالتالي: الصينية الرسمية، الإنكليزية، الهندوستانية، الإسبانية، الروسية، العربية، البنغالية، البرتغالية، الملاي إندونيسية، والفرنسية.

الأوروبيين في القرون الوسطى اعتمدوا على الكثير من المصادر العربية في هذه الميادين. ومن الكلمات العربية الأخرى - cipher, algorithm, al-manac. وبعض المأكولات التي جاءت من الشرق أحضرت معها أسماءها العربية إلى الغرب: - coffee, sherbet, sesame, apricot, gin- * .ger, carob

تنوع العربية

إن العربية المنطوقة في جميع أشكالها مختلفة عن العربية المكتوبة. والنسخة المكتوبة هي العربية الكلاسيكية، اللغة التي كانت شائعة في القرن السابع بعد الميلاد، في منطقة الحجاز من شبه الجزيرة العربية. إن لغة القرآن الفنية هي التي استمرت كلفة كتابة لجميع الناطقين بالضاد منذ ذلك الوقت. فالعربية الكلاسيكية، التي تطورت إلى اللغة العربية الفصحى الحديثة كي تستوعب كلمات واستخدامات جديدة، مقدسة بالنسبة للعرب، وممتعة جمالياً، وأكثر تعقيداً على المستوى النحوي من اللهجات المنطوقة أو المحكية.

إن اللغتين السائدتين هما العربية المنطوقة الفصحى والعربية الدارجة؛ وتشتمل هذه الأخيرة على كثير من اللهجات واللهجات الفرعية. وبالرغم من أن بعضها يختلف عن الآخر كما تختلف الإسبانية عن الإيطالية أو اللغات الاسكندنافية عن بعضها، فإنها كلها تعرف كعربية. فحين انتشرت العربية في أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقية مع الفتوحات العربية اختلطت مع اللغات المحلية وامتصتها منشئة اللهجات المنطوقة اليوم.

* من أجل أمثلة أخرى انظر: منير البعلبكي (1982).

إن مراجعة لاستخدام اللغة العربية تكشف ما يلي:

العربية الفصحى. تُستخدم اللغة العربية الفصحى في الكتابة والنقاشات الرسمية، والخطابات، والأخبار، ولكنها لا تُستخدم في المحادثة اليومية. وهذا يسود في كل البلدان العربية، عدا تنوعات تصادفية في القاموس الإقليمي أو المتخصص*.

العربية الدارجة. العربية الدارجة تستخدم في التواصل اليومي ولكنها لا تُستخدم في الكتابة إلا أحياناً في المراسلات غير الرسمية، في سيناريو الأفلام والمسرحيات، أو كعامية في أفلام الكرتون وما شابه.

العربية الفصحى المنطوقة. وهي مرتجلة، تتألف من مفردات عربية كلاسيكية داخل بنية اللهجة المحلية؛ وتُستخدم من قبل المتعلمين حين يتحدثون مع العرب الذين تكون لهجتهم مختلفة عن لهجتهم جداً.

تفوق العربية

ليس من قبيل المبالغة القول إن العرب مولعون بلغتهم. ذلك أن سماعها والتحدث بها يمكن أن يكونا تجربة جمالية مؤثرة. فالعرب يعتقدون أن لغتهم متفوقة على لغات الآخرين. ويعتقد هذا الموقف الكثيرون في العالم، ولكنّ العرب يستطيعون الإشارة إلى عوامل عدّة كبرهان على تأكيدهم.

* تختلف اللغة الكلاسيكية عن الفصحى الحديثة، ولكنها فروق تقنية.

ما هو أكثر أهمية هو أنه حين أوحى القرآن مباشرة من الله كانت العربية الواسطة التي اختيرت لرسالته؛ ولم يكن استخدامها من قبيل المصادفة. ومن الصعب جداً إتقان العربية أيضاً، وهي معقدة نحوياً؛ ويُنظر إلى هذا كعلامة أخرى من علامات تفوقها. ولأن بنيتها تسلم نفسها للإيقاع والقافية، من الممتع الإصغاء إلى العربية حين تُقرأ بصوت مرتفع. أخيراً، تمتلك العربية مخزوناً كبيراً من المفردات ويسمح نحوها بالنحت السهل للكلمات الجديدة، وهكذا فإن الاستعارة من لغات أخرى أقل شيوعاً في العربية منه في كثير من اللغات الأخرى. بتعبير آخر، العربية أغنى من اللغات الأخرى، كما يقال.

وبينما يشعر معظم الغربيين بالتعاطف مع لغتهم المحلية، فإن محبة العرب للغتهم وفخرهم بها أكثر قوة. فاللغة العربية هي كنزهم الثقافي وإنجازهم الأعظم، وهي شكل فني لا يمكن، لسوء الحظ، أن يفهمه أو يقدره الأجانب.

إن العربية، إذا كُتبت بأسلوب منمَّق وشبه شعري، تسحر. فسماع الكلمات والعبارات المستخدمة بمهارة تجربة شعرية ويستجيب الناس بالقدر نفسه أو أكثر إلى الأسلوب كما إلى المضمون. فالخطيب الموهوب يمكن أن يمارس السلطة بهذه الطريقة الذكية. فالعربية الجميلة تستحضر صوراً معقدة لنصوص قرآنية أو قطع شعرية ويمكن أن تكون معقدة شفهيّاً على غرار التصميمات الخطية العربية الأكثر تعقيداً.

هيبه اللغة العربية الكلاسيكية

إن تبجيل العربية مرتبط فقط بالعربية الكلاسيكية، والتي هي ما يعنيه العرب بعبارة «اللغة العربية». وقد أوضح هذا تعليق طالب في قرية مصرية شرح مرة لي لماذا يعتبر مدرسة القرية مهمة. قال: «أحد الأسباب أن الأطفال يتعلمون فيها اللغة العربية».

على العكس، لا تمتلك اللهجات العربية هيبه. ويذهب البعض بعيداً كي يقترحوا أنه ليس لها «قواعد» ولا تستحق الدراسة الجادة. وقد نحتت لجان الباحثين كلمات جديدة وحاولت فرض الاستخدامات التقليدية كي تحلها جزئياً محل اللهجات، ولكنها لم تحقق النجاح أكثر من المجموعات التنظيمية في بلدان أخرى.

يثير الإتقان الجيد للعربية الكلاسيكية إعجاباً كبيراً في الثقافة العربية لأنه من الصعب تحقيقه. وتمتلك قلة من الناس، عدا الباحثين والأخصائيين في العربية، الثقة الكافية كي يتحدثوا ارتجالياً العربية الكلاسيكية أو أن يدافعوا عن أسلوبهم الكتابي. ففي العربية، تدعى اللغة الكلاسيكية «اللغة الأكثر فصاحة».

يتطلب تعلم العربية المزيد من سنوات الدراسة أكثر مما هو الأمر في تعلم الإنكليزية. ينبغي أن يتعلم الطالب كلمات جديدة في العربية الكلاسيكية (أكثر من 50% من الكلمات مختلفة عن اللهجة المحلية في بعض البلدان)*، وقواعد جديدة تماماً، تشمل على لواحق ختامية

* أجريت دراسة في تونس في أوائل السبعينات قارنت مفردات التونسيين في سن السادسة مع مفردات مرادفة في العربية الفصحى، الأداة التي تعلموا من خلالها القراءة. اكتشفت الدراسة أن أكثر من 70% من المفردات كانت مختلفة (معلومات من اتصال شخصي مع أساتذة في جامعة تونس).

وصيغ أفعال جديدة. وتتشأ مشكلة معرفة القراءة والكتابة في العالم العربي بنحو واضح من صعوبة العربية الكلاسيكية. حتى الأشخاص الذين درسوا خمس أو ست سنوات لا يزالون يُعتبرون وظيفياً أميين (غير قادرين على استخدام لغة الكتابة لأي شيء غير الحاجات الأولية، كالتوقيع أو قراءة اللافتات).

من ناحية أخرى، إن لغة الكتابة ليست في الحقيقة لغة أجنبية لغير المتعلمين أو الأطفال في سن ما قبل المدرسة. فهم يسمعونها على أساس دائم، في الأخبار، وفي الخطابات والنقاشات الرسمية، في افتتاح يا سمس، وفي كتب وأشرطة الأطفال.

اقترح الباحثون العرب بين فينة وأخرى أن تُستبدل العربية الكلاسيكية باللغات المكتوبة لتسهيل التعليم والقراءة والكتابة. ولكن هذه الفكرة سُجبت باستمرار وبقوة من قبل غالبية العرب ولن تحظى بفرصة القبول في المستقبل المنظور. والاعتراض الأكثر جدية هو أن العربية الكلاسيكية هي لغة القرآن. الحجة الأخرى هي أن اعتماد اللهجات يجعل فهم الأدب العربي متعزراً، وإذا ترجم الأدب إلى لغة دارجة يفقد الكثير من جماله.

هناك حجة سياسية أيضاً. العربية الكلاسيكية قوة ثقافية توحد جميع العرب. إن نبذها، كما يخشى كثيرون، سيقود إلى تفكك لغوي يفاقم الميول نحو التفكك السياسي والنفسي الحاضر مسبقاً.

فصاحة الكلام

يُشَدُّدُ على الفصاحة ويُعجب بها في العالم العربي أكثر مما هو الأمر في الغرب، مما يفسّر النثر المنمّق في العربية، في الصيغة المكتوبة والمنطوقة. بدلاً من النظر إلى البلاغة بطريقة مزدوجة، كما يفعل الغربي غالباً، فإن العربي يُعجب بها. القدرة على التكلم بفصاحة علامة على التربية والصقل.

يلق المراقبون الغربيون مراراً على الخطب السياسية المجنّحة وتكرار العبارات والموضوعات في العربية، غير قادرين على فهم أن أسلوب الخطيب في الإلقاء وتحكمه باللغة يروقان للمستمعين على غرار المعنى. فالمبالغات، والتهديدات، والوعود، والشعارات القومية يقصد منها التأثير اللحظوي أكثر مما يقصد منها مقولات سياسية أو معتقد، وخاصة حين تُواجه في الضوء البارد لترجمة اللغة الأجنبية. إن كيفية التعبير اللفظي في العالم العربي مهمة مثل المعنى.

الفصاحة مفتاح لمحبة الجماهير لبعض القادة القوميين الذين تكون كلماتهم أكثر قوة من أفعالهم. إن الكاريزما الشخصية التي تعزى إليهم ناجمة إلى حد كبير عن قدرتهم على التحدث بعربية محكمة وبليغة. وكان هذا متجلياً في جمال عبد الناصر، وفي معمر القذافي اليوم. فترداد اللزمات شائع، على غرار المبالغة، التي تعبر عن تحقيق الأمنية وتقديم بديلاً لغوياً مقنعاً لل فعل.

يكرّس العرب جهداً معتبراً لاستخدام لغتهم على نحو خلّاق وفعال. وكما قالت الاختصاصية في اللغة العربية ليزلي ج. مكلولين:

لا يميل الغربيون إلى اقتباس الشعر والأمثال القديمة والآيات القرآنية في حديثهم اليومي على غرار العرب. ولا يحبون تبادل تحيات غزيرة... ربما كان الفرق الأكبر بين المقاربة المشرقية والمقاربة الغربية للغة هي أن المشرقيين، على غرار معظم العرب، يستمتعون باستخدام اللغة من أجل اللغة. فالسهرة يمكن أن تأخذ شكل الحديث فقط، ولكنه حديث من النوع الذي نُسي في الغرب إلا في الجماعات المعزولة كالقرويين الأيرلنديين أو الجماعات الجبلية السويسرية. حديث ليس فقط كوميدياً، ومأساوياً، وتاريخياً، ورعويّاً، إلخ.. لكنه حديث يتسلسل من الشعر ورواية القصص إلى الحكايات والوظائف، وألعاب الكلمة والغناء والتمثيل¹.

آداب الكلام

أن تجعل نفسك مفهوماً بنحو كامل من قبل شخص آخر مهمة صعبة في أفضل الظروف. من الأصعب أكثر إن كان لكل منكما طريقة مختلفة في التعبير عن نفسه. هذه هي المشكلة بين الغربيين والعرب، والتي تؤدي غالباً إلى سوء الفهم، تاركة الطرفين محترين أو مخدوعين.

يتحدث العرب كثيراً، يكررون أنفسهم، يصيحون حين يُثارون، ويستخدمون الإيماءات كثيراً. ينقُطون حديثهم بالأيمان للتشديد على ما يقولونه، ويبالغون من أجل إحداث التأثير. ويتساءل الأجنبي أحياناً إن كانوا منخرطين في نقاش أو مجادلة.

إذا تكلمت بهدوء وقلت ما تريده مرة فقط، يمكن أن يتساءل العرب إن كنت حقاً تعني ما تقوله. سيسألك الناس: «هل تعني حقاً هذا؟» أو: «هل هذا صحيح؟» لا يعني هذا أنهم لا يصدقونك لكنهم يحتاجون إلى التكرار والتشديد كي يتأكدوا.

يسمح العرب بالضجة والمقاطعة في أثناء النقاش؛ ويتحدث غالباً عدّة أشخاص في الوقت نفسه (وكل واحد يحاول أن يبرز الآخر في الصراخ)، موشياً جملة بالتهديد أو الإيماءات (اللعوب)، وطوال الوقت يرشده المتفرّجون. يقاطع رجال الأعمال الاجتماعات كي يسلموا على الزوّار، ويردّوا على الهاتف، ويوقّعوا على الأوراق التي يدخلها الموظفون. ويشعر الأجنبي أنه لا يمكن أن يُسمع إلا بالإلحاح على شرط مسبق ألا وهو أن يسمح له بالكلام دون مقاطعة. إن الهدف من الصوت المرتفع في أثناء الكلام هو إحداث التأثير الدرامي ويجب ألا يضحك في معظم الحالات كمؤشر حول مدى شعور المتحدث بقوته حيال ما يقوله.

مرة في سيارة أجرة بدأ السائق يصيح ويشكو ويومئ بوحشية للسائقين الآخرين فيما كان يشق طريقه في الشوارع المزدحمة. وسط هذا النشاط كله، استدار إلى الخلف، وضحك، وغمز: «تعرفين، أحياناً أستمتع بهذا حقاً!»

وتتطلب بعض المواقف العاطفة والدراما حقاً. ففي بغداد كنت أستقلّ سيارة أجرة صدمتها سيارة من الخلف. قفز السائقان من سيارتيهما وبدأ الصياح. بعد الانتظار عشر دقائق، وبعد أن تجمع حشد، قرّرتُ دفع الأجرة والذهاب. شققت طريقي في الحشد مما لفت نظر السائق. قطع المشادة، وقال لي بلباقة إنه لا يريد الأجرة وتابع المشادة بصوت مرتفع.

إن السلوك الصاخب والهائج لا يمتلك حدوداً، على أي حال. إنه أكثر تكرراً، بالطبع، بين أشخاص من العمر نفسه والمكانة الاجتماعية نفسها، ويعرفان بعضهما جيداً. ويحصل في معظم الأحيان في مواقف اجتماعية، وبنحو أقل في اجتماعات العمل، وليس مقبولاً حين يتعلق بالكبار في السن أو المتفوقين اجتماعياً، وفي هذه الحالة الاحترام اللبق مطلوب. ويميل البدو والعرب في المملكة العربية السعودية والخليج إلى أن يكونوا أكثر هدوءاً في الكلام وأكثر تحفظاً، على الأقل في النقاشات الرسمية. وفي الحقيقة، إن البروتوكول في شبه الجزيرة العربية أكثر صرامة في جميع النواحي تقريباً أكثر مما هو الأمر في أي مكان في العالم العربي.

قوة الكلمات

تمتلك الكلمات قوة بالنسبة للطريقة العربية في التفكير (بنحو واع أو غير واع)؛ وهي تستطيع، إلى حد ما، أن تؤثر في الأحداث اللاحقة. فالمحادثة العربية متبلّة بالدعاء (أو المباركة)، والذي هو

كصلوات قصيرة من أجل الحظ الجيد، يهدف إلى المساعدة على جعل الأمور تسير على ما يرام. إن الشتيمة واستخدام اللعنات والكلمات الفاحشة مسيئان جداً للعرب. فإذا كانت الكلمات تمتلك قوة وتؤثر في الأحداث، يخشى من أن اللعنات يمكن أن تسبب سوء الحظ بمجرد التلقّف بها.

إن الاستخدام الليبرالي للمباركة يبيّن أيضاً أن المتحدث لا يحسد شخصاً أو موضوعاً؛ بتعبير آخر، هذا يعني أن المرء لا يصيبك بعينه. فالإيمان بالعين الشريرة (والتي تُدعى غالباً العين) شائع، ويخشى منه أو يقرّب به إلى حدّ ما من قبل العرب، بالرغم من أن هذا أقل بين المتعلمين. وهناك اعتقاد واسع بأن الشخص أو الموضوع يمكن أن يؤذي إذا نُظر إليه بحسد (حتى دون وعي): بعين شريرة. يمكن صد الأذى من خلال الدعوات أو كلمات حسنة النية. نعلّم طلاب اللغة العربية عدداً كبيراً مما ندعوه «المباركات». إلا أن تعلّمها ليس كافياً؛ يجب أن يتذكروا أيضاً أن يستخدموها.

إن الأجانب الذين لا يعرفون عن العين الشريرة يمكن أن يشتهبه أنهم ينظرون بها. حين يشتري صديق سيارة جديدة، لا تعبّر عن الحسد، قل: «فلتقدها دوماً بأمان». وحين ينتقل شخص إلى منزل جديد، قل: «فلتحيا بسعادة هنا دوماً». حين تلتقي بأبناء شخص ما، قل: «أتمنى لهم الصحة الدائمة». وكل هذه ترجمات لتعبيرات عربية مستخدمة كثيراً. إن عدم القيام بالمباركة يمكن أن يعد وقاحة.

التعبيرات الملطّفة

لا يرتاح العرب في مناقشة المرض والمصيبة أو الموت. توضح هذه السمة كيف تؤثر قوة الكلمات في الكلام والسلوك العربيين. إن إشارة طائشة إلى أحداث سيئة يمكن أن تؤدي إلى مصيبة أو تجعل الموقف السيئ أكثر سوءاً. يتجنّب العرب إشارات كهذه قدر الإمكان ويستخدمون بدلاً من ذلك تعبيرات ملطّفة.

تخدم التعبيرات الملطّفة كبداية، ويحتاج الأجنبي إلى تعلّم الشفرة من أجل أن يفهم ما قيل حقاً. على سبيل المثال، بدلاً من قول أن أحدهم مريض، يمكن أن يصف العرب الشخص بأنه «متعب قليلاً». يتجنبون كلمة مثل سرطان، ويقولون بدلاً من ذلك «إنه مصاب به» أو «لديها المرض»، وغالباً ما ينتظرون إلى أن ينتهي المرض قبل الإخبار عنه، حتى للأقرباء. لا يتحدث العرب بسهولة عن الموت وأحياناً يتجنبون إخبار الآخرين عن الموت لبعض الوقت وحتى عندئذ سيستخدمون العبارات الملطّفة.

زرتُ قبل عدة أعوام مالك عزية مصرياً، حينها جاء رجلان يسندان ثالثاً أنهار في الحقل. اتصل المالك بسرعة بالوحدة الصحية المحليّة. ردّوا عليه في الوقت الذي سقط فيه الرجل عن الكرسي وتبين أنه مصاب بنوبة قلبية. فصاح: «سيارة إسعاف. أرسلوا سيارة إسعاف. لدي رجل هنا متعب قليلاً».

مررت أيضاً بتجربة مسليّة حين أصغيت إلى بائع ضمان حياة أميركي يناقش السياسة مع عربي. بدأ: «الآن إذا قُتلت أو أصبت بالشلل أو العمى أو فقدت عضواً...» انتهت المحادثة بسرعة؛ قرر العربي أنه لا يريد أن يسمع عن هذه السياسة.

هذه آداب اجتماعية. أما في مواقف تقنية، بالطبع، حيث التحديد مطلوب (طبيب لمريض، قائد لجندي)، فإن اللغة الواضحة تُستخدم.

الكلمة المكتوبة

يحترم العرب جداً الكلمة المكتوبة والمنطوقة. ويشعر بعض المتدينين أن أي شيء مكتوب بالعربية يجب أن يحرق عندما تنتفي الحاجة إليه (كالصحف) أو على الأقل ألا يبقى في الشارع كي يمشى عليه أو تلف الأشياء به، لأن كلمة الله تظهر على الأرجح في مكان ما. إن الزخارف التي تستخدم الخط العربي، والآيات القرآنية، وكلمة الله لا تُستخدم أبداً على الأرضيات (على عكس الصلبان في أرضيات الكنائس، وخاصة في أوربا). وغالباً ما تشاهد في صور مؤطرة أو مرسومة على الجدران. إذا اشتريت أي شيء مزين بالخط العربي، اسأل ما الذي يعنيه؛ ذلك أنك ستسيء إلى العرب بالمعالجة الطائشة لشيء مزين باقتباس ديني.

إذا أردت قرآناً باللغة العربية، يجب أن تتعامل معه باحترام. يجب أن يوضع مسطحاً على الطاولة أو في منطقتته على الرف، لا أن يقحم مع كثير من الكتب. الأفضل هو أن تحفظه في علبة مخملية أو تعرضه

على منصب خشبي على شكل حرف إكس (وكلاهما يصنعان لهذه الغاية). وفي أية ظروف يجب عدم وضع أي شيء (منفضة، كتاب آخر) على القرآن.

إن الدعاء والآيات القرآنية المكتوبة فعالة في ضمان الأمان ومنع العين الشريرة، ولهذا تشاهد في كل أنحاء العالم العربي. يخطط الدعاء على السيارات والشاحنات ويُنقش على المجوهرات. سترى عبارات دينية ممتزجة مع اللون الأزرق، رسوماً لأعين، أو صور راحات أكفّ مفتوحة، وكلها تظهر على تعويذات ضد العين الشريرة.

الأمثال

يستخدم العرب الأمثال أكثر مما يفعل الغربيون بكثير، ولديهم المئات منها. كثير منها مقفاة أو دوبيتات. إن معرفة الشخص بالأمثال ومتى يستخدمها تعزز صورته بأنه يمتلك الحكمة والفهم الثاقب.

اخترنا لكم هنا أمثالاً تساعد على إضاءة وجهة نظر العرب في الحياة. تشير الأمثال بنحو متكرر إلى الأسرة والأقرباء والبؤس واللامساواة الاجتماعية والقدر والحظ.

- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.
- سكين الأسرة لا تقطع.
- خيره للغريب وليس للقريب.
- يد واحدة لا تصفّق.

- يد الله مع الجماعة.
- فرخ البط عوأم.
- أكبر منك بيوم، أعرف منك بسنة.
- العين ما بتعلى عال حاجب.
- الدنيا دوارة، يوم غسل ويوم بصل.
- ما في شمس إلا بتغيب.
- مسيِّع الكارات لا حظّ له.
- كله قدر ومصادفة.
- لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك.
- الكلاب تنبح والقافلة تسير.
- الصبر جميل.
- العبد يفكر والله ينفذ.
- الهبات هي من الله.
- وأخيراً، مثلي المفضلّ:
- القرد بعين أمّه غزال.

الفصل الحادي عشر

الأصولية الإسلامية (التطرف الإسلامي)

إن الأصولية الإسلامية مسألة سياسية واجتماعية، وليست جزءاً من تيار الدين الإسلامي الرئيس. لهذا السبب أناقشها في هذا الفصل بدلاً من الفصل الذي يتحدث عن الإسلام.

تعريفات وأرقام

طغى على الجهود المبذولة لفهم الفكر الاجتماعي/ الديني الإسلامي الانبعاث (سيئ السمعة) للأصولية. (المصطلحات الأكثر صحة هي التطرف الإسلامي، الإسلام المتطرف، أو الإسلام السياسي. على أي حال، انتشر مصطلح الأصولية وهو الكلمة الأكثر شيوعاً التي تستخدم للإشارة إلى الفكر الإسلامي المتطرف)*.

إحدى المشكلات التي تطرأ لدى استخدام كلمة الأصولية بهذه الطريقة هي أن الأصولية الإسلامية الحقيقية تشير إلى المبادئ نفسها على غرار الأديان الأخرى: العودة إلى النصوص المقدسة الأصلية وتطبيقها على المشكلات الأخلاقية والاجتماعية في الحاضر.

* أركي بنحو خاص كتاب كارن آرمسترونغ الإسلام (2000)، وخاصة الفصل الأول والقسم الذي حول الأصولية الجهادية.

إن كلمة أصولية في العربية مشتقة من كلمة «أصول». ويصف حوالي 10 % من المسلمين أنفسهم بأنهم أصوليون حقيقيون (متدينون محافظون، وليس إسلاميين متطرفين). سأستخدم مصطلح الإسلام المتطرف كي أشير إلى الإسلام الجهادي المتطرف.

يوجد المتطرفون في جميع الأديان. لا ينفذ المنطق مع أشخاص يعرفون بالضبط ما يريد الله. وكل ما يستطيع أن يفعله المجتمع هو محاولة السيطرة عليهم.

يهدف هذا الفصل إلى وصف التطرف الإسلامي في الشرق الأوسط والغرب (الولايات المتحدة وأوروبا). فالهدف هنا هو استقصاء التشعبات المتنوعة للظاهرة الإسلامية.

لا تمثل الجماعات الإسلامية المتطرفة حتى 1% من المسلمين في الولايات المتحدة (50,000) أو في العالم (15مليون). وإذا كان هذا صحيحاً، فإن المتعصبين ذوي الأعين الوحشية سوف يجتاحوننا. إن الإسلاميين الذين يلجؤون إلى العنف يشكّلون أقل من عشر 1%؛ علينا فقط أن نكفّر بالأرقام (بالتأكيد ليس لدينا 5000 متعصب عنيف في الولايات المتحدة، ليس حتى 500، و على الأرجح ليس 50)*. ولكن الإرهابيين يعملون؛ ينخرطون في العنف، وهم بالتأكيد يحصلون على معظم الشهرة.

* كانت الولايات المتحدة وبلدان أخرى تعتقل الإرهابيين في كل أنحاء العالم منذ 2001 إن العدد الأكبر الذي سجن في غوانتانامو كان 650. وهذا يفترض أن تحديد هؤلاء الإرهابيين يتعلق بالإسلام المتطرف. إن تعريف الإرهابي غير واضح؛ فهناك الكثير من المجموعات القومية (كالشيشان والعراقيين) غير محسوبة هنا.

نريد أن نتخلى للحظة عن الصور التلفزيونية: الرعاع المبتهج، قصف الأبرياء، والقتل العنيف. وينبغي أن يساعدنا الحس العام على إدراك أن هذه المجموعات لا تستطيع أن تمثل المجتمعات العربية أو الإسلامية والشعب ككل. هناك 1.5 بليون مسلم في العالم؛ 450 مليون في شمال إفريقيا والشرق الأوسط الأكبر (بينهم غير العرب)؛ و215 مليون مسلم عربي.

تزعم بعض التقديرات أن 10 إلى 15% من المسلمين أصوليون (أي إسلاميون متطرفون). ويزعم دانييل باييز أن العنصر الإسلامي المتطرف يشمل 100 إلى 150 مليون مخلص في أنحاء العالم، ويبيّن تقديره على «معلومات انتقائية، ومسوحات، وأحاديث، وآراء المراقبين المطلعين»، دون أن يذكر أية مصادر. يقول أيضاً (دون أن يورد أية مصادر): «إن الإحصاءات الموثوقة حول الرأي في العالم الإسلامي لا توجد (55)، ولكنني أشعر أن نصف مسلمي العالم – أو حوالي 500 مليون شخص – يتعاطفون مع أسامة بن لادن وطالبان أكثر من الولايات المتحدة. أن يكره عدد كبير كهذا الولايات المتحدة لهو أمر مثير للانتباه بالفعل»¹.

زعم أحد أعضاء الكونغرس أن 85% من المساجد في الولايات المتحدة لها قيادة متطرفة². ويزعم مؤلف كتاب الجهاد الأميركي: الإرهابيون الذين يعيشون بيننا (في 2002)³ أن «الأصوليين» يسيطرون على 80% من المساجد (وحجته هي أن كثيراً من المساجد مولّتها على الأقل جزئياً المملكة العربية السعودية)، وقال في 1995 إن الإسلام «أجاز المجازر، والمجازر المخطط لها، كجزء من عقيدته الدينية»⁴.

إن آراء طائشة كهذه مثيرة للذعر. وهي مغلوطة وغير مدعومة بالمعطيات العلمية. تهوى الهستريا، وتسيء إلى الجماعة الإسلامية كلاًها. إن المشاعر المضادة للأميركيين بين المسلمين لا تتضمن دعم ابن لادن أو طالبان (الذين يكرهون أميركا). المسلمون المعادون لأميركا يكرهون سياسات أميركا في المنطقة.

حين تُكرّر تعليقات كهذه في الإعلام، يفترض معظم القراء العاديين أن هذه المقولات تصح على جميع المسلمين، وإذا لم يعرفوا الفرق، «على كل العرب»، إلا إذا جُعِلَ السياق الإسلامي المتطرف على نحو متكرر واضحاً جداً وشرح الفرق. ويتحدث العرب دوماً عن الخلط بين الإسلام المتطرف والإسلام الحقيقي في الإعلام الغربي. فقد أنشأ الإسلاميون المتطرفون تعريفهم الخاص للكفار والجهاد، وهذا مخالف للإسلام.

لا يعد المسلمون العاديون، الذين تبلغ نسبتهم 99% اليهود والمسيحيين كفاراً. وهم لا يفعلون هذا كما نفعله عادة نحن الغربيين ونستخدم مفردات مسيئة ومنتقصة تعود إلى الحقبة الصليبية حولهم. فطوال 40 سنة لم أسمع أبداً هذا المصطلح على لسان المسلمين العاديين حين يشيرون إلى الغربيين أو مجتمعهم ومؤسساتهم، ولا حتى مرة واحدة. حين يلح بعض الباحثين الغربيين على استخدام مصطلحات مثل كافر أو غير مؤمن (فهم لا يقتبسون، وإنما يشددون فحسب)*، وهذا مهين للمسلمين العاديين لأن السياسيين والإعلام

* أمثلة: «بأن العالم الغربي، أو كما يقولونها، البلدان الكافرة»، «لقد تعاملوا مع إحدى القوى العظمى الكافرة»،... «مظهرين غياباً للامتنان أو لامبالاة كليّة حين تأتي نحن الكفار لإنقاذهم»،... «أوامر متكررة للمسلمين ألا يصادقوا الكفار (كلهم غير المسلمين)».

نادراً ما يشددون على أن مصطلحات كهذه تُستخدم فقط من قبل الإسلاميين المتطرفين، الذين يشيرون أيضاً إلى الإسلام السائد بأنه كافر. إن الغربيين يشعرون بالإهانة حين يُعدون كفاراً، وهكذا فإنه من الضروري أن يفهموا المصدر الإسلامي المتطرف لألقاب كهذه.

إن المسلمين في كل أنحاء العالم يريدون أن يواصلوا حياتهم، ويتعلموا، ويعثروا على عمل، ويربوا أطفالهم ويشاركوا في حياة الأسرة والجماعة. إنهم ليسوا مبهمين. ليسوا غامضين أو غرائبيين. إنهم ناس عاديون لا يهتمون بالحق الأذى بغير المسلمين أو بالتدخل في طريقة حياتهم. لدى المسلمين أولويات إنسانية واضحة بحيث لا حاجة لذكرها.

يرى الإسلاميون المتطرفون، على أي حال، أن النقد مبرر ويجب ألا يُلطّف إذا كانت المقولات صحيحة؛ وهم يناصرون العنف، وينكرون حقوق النساء، ويعارضون الحرية الفردية. لا يستحقون الحماية بخصوص الصحة السياسية. فهم يسببون أذى مدمراً للجميع، بما فيه الأغلبية الكبيرة من العرب والمسلمين.

هناك مجموعات منحرفة في جميع المجتمعات. فنحن كغربيين نفهم حجة ودوافع مجموعات كهذه في مجتمعا. فقد قارن بعض الباحثين بين الإسلاميين المتطرفين والكوكلسكلان في الولايات المتحدة، والتي هي مسيحية ولكنها لا تعبّر عن التيار الرئيس إطلافاً. وأعتقد أن التماثل الأفضل هو الجماعات الآرية البيضاء، لأنها أكثر نشاطاً، وهي أيضاً مسيحية ملتزمة لها شكاواها. كان لديها أسبابها الخاصة لتفجير مبنى الفدرالي في أوكلاهوما سيتي. ولكن هل تمثل

الأميركيين العاديين؟ بالتأكيد كلا. هل يمثلون المسيحيين العاديين؟ بالتأكيد كلا. تصوّروا غضبنا إذا صورت الصحافة الغربية الجماعات الآرية على أنها تمثل الدين المسيحي.

هناك عاملان مهمان في حالة الإسلاميين المتطرفين يشرحان لماذا ينمون بسرعة بالمقارنة مع المجموعات المتطرفة في الولايات المتحدة ومجتمعات أخرى.

1. يزداد نموّ عددهم بسرعة لأنهم يعملون بسبب مظالم مدركة ويقوون باستمرار.

2. هناك الكثير من الأشخاص في المجتمعات الإسلامية ليس لهم مستقبل جيد أو مكان في المجتمع، ويقدم لهم الإسلام المتطرّف القبول، والإحساس بالانتماء والهدف الرفيع (50 إلى 60% من الشبان في كثير من البلدان عاطلون عن العمل). إن أفراداً محرومين كهؤلاء يحصلون على تركيبة ذهنية «لمؤمن حقيقي»، تسمح لهم بأن يؤمنوا واثقين بأنهم ينجزون عمل الله في كل ما يفعلونه.

من المفهوم أن الإسلاميين المتطرفين يتلقون انتباهاً غير متكافئ في الإعلام. بالنسبة للغربيين غير المطلعين يبدو هؤلاء المتطرفون كثيرين، ولكن بالنسبة للآلاف من الغربيين الذين يزورون البلدان الإسلامية أو يعيشون فيها، فإنهم لم يعودوا عاملاً في الحياة على غرار المجموعات الهامشية في مجتمعنا.

هنا التماثل: يفهم جميع الغربيين مظالم المجموعات المعادية للإجهاض. البعض يتفق والبعض الآخر لا يتفق، البعض ينضم إلى المسيرات ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الداعمين يثارون كي يتغاضوا

عن أو يشاركوا في الأفعال العنيفة. إن فهم البواعث والمظالم (وحتى التعاطف معها) يجب ألا يُخلط برغبة دعم المتطرفين أو الانضمام إليهم.

الجهاد

يُستخدم الجهاد كي يعني «الحرب المقدسة»، وهكذا يُستخدم المصطلح من قبل الإسلاميين المتطرفين والإعلام الغربي (فقط). بهذا المعنى، إن الجهاد هو المفهوم نفسه مثل الصليبية، أي القتال باسم دين.

يشير التأويل الأكثر صحة للجهاد إلى «جهد» يبذله المسلم كي يعيش ويبني حياته الشخصية، والمجتمع الأوسع، على أسس إسلامية، وهو معنى أكثر اعتدالاً. فأَي شخص يصارع الإغواءات كي يعيش حياة فاضلة يمكن أن يتماهى مع هذا.

في كانون الثاني (يناير) 2002، وفي أعقاب مأساة الحادي عشر من أيلول، وفي مؤتمر لعصبة العالم الإسلامي، عرّف الباحثون المسلمون الإرهاب والجهاد. عُرّف الإرهاب بأنه «فعل مخالف للقانون، أفعال عدوانية ضد الأفراد والجماعات أو الدول أو الكائنات البشرية، بما فيه الهجمات على دينهم وحياتهم وعقلهم وملكيتهم وشرفهم»⁵. فالإرهاب، إذًا، هو أي عنف أو تهديد يهدف إلى إرهاب الناس أو تعريض حياتهم وأمنهم للخطر. الجهاد «دفاع عن النفس»، «يهدف إلى الدفاع عن الحق، وإنهاء الظلم، وضمان السلام والأمن وتوطيد الرحمة».

لا يستطيع المسلمون البدء بهجوم وتسميته جهاداً: فالجهاد يدعى إليه من أجل الدفاع عن النفس فقط. وقد قال المتطرفون إنه يحق لهم جهاد «الدفاع عن النفس» لأن الغرب يواصل اضطهادهم.

ليس الجهاد من أركان الإسلام الخمسة، وليس الدعامة المحورية للدين، كما يروج المنظور الغربي. (انظر الفصل التاسع للاطلاع على مناقشة أركان الإيمان الخمسة). ولكن الجهاد كان وما يزال واجباً على المسلمين كي ينخرطوا في الصراع على جميع الجبهات: الأخلاقية والروحية والسياسية، كي يبنوا مجتمعاً عادلاً وأخلاقياً⁶. إن هذه العقيدة مفتوحة على التشويهات على أي حال.

الإسلاميون المتطرفون والمجتمع الإسلامي

تنتشر مساجد الإسلاميين المتطرفين الآن في أنحاء العالم العربي، ويتولى قاداتها الحكم على من هو مسلم جيد وغير جيد. لا يعترفون بأي تأويل للإسلام قام به المشرعون المسلمون على مر العصور*.

* إن المثال الجيد هو الآية التي تقتبس في غالب الأحيان في الصحافة الغربية ومن قبل المتطرفين وهي: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 191]. إن سياق هذه الآية هو اضطهاد المسلمين من قبل أعدائهم لمدة اثني عشرة سنة والذين كانوا يريدون استئصالهم، وهي موجهة ضد الجاهليين العرب. وهي لا تشير إلى غير المسلمين وغير المقاتلين اليوم⁷.

لقد أرسل النبي محمد رسالة إلى القساوسة في أبرشية القديسة كاترين في سيناء، التي لا تزال موجودة، مؤكداً لهم أن المسلمين سيحجمونهم. وقد حما محمد أيضاً أثيوبيا المسيحية من الفتح. وحين فتح الخليفة عمر بيت المقدس أصدر مرسوماً أمر بالحفاظ على حيوات وممتلكات المسيحيين، وسمح لليهود بالعودة (وكانوا قد طردوا على يد البيزنطيين). ويتساءل المرء كيف يتعامل المسلمون المتطرفون مع سوابق كهذه. عليهم أن يفسروا هذه الآية في القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

ويتفق البعض مع التأويلات الحالية التي لا أساس لها، ولكنهم ليسوا بالضرورة إسلاميين أصوليين متطرفين أو إرهابيين. هناك قلة محدودة تنجذب إلى الفعل المتطرف، المبني على تأويل منحرف للعقائد الدينية. وينتمي الذين يلتزمون بالجماعات المتطرفة إلى فئة تبرر العنف باسم رؤية متطرفة للإسلام*. إن الإسلاميين المتطرفين «يمنحون غطاءً دينياً لصراع سياسي»⁸.

في اليمن، قام قاض معروف يدعى حمود الحيتار بحوار مع بعض المتطرفين في اليمن، وكانت النتائج ممتازة. اعتمد منهجاً بسيطاً قائماً على دعوة المتطرفين المسجونين إلى استخدام القرآن الكريم لتبرير أفعالهم الإرهابية، وحين كانوا يعجزون عن تبرير عنفهم، كان يطلعهم على نصوص عديدة تطلب من المسلمين ألا يهاجموا المدنيين، وأن يحترموا الأديان الأخرى، وأن يقاتلوا دفاعاً عن النفس فحسب. وإذا ما شجب الإرهابيون بعد أسبوع من الجدل العنف (364 فعلوا ذلك من أصل 2004) يُطلق سراحهم ويعرض عليهم تدريب مهني ويُساعدون في البحث عن عمل. ومنذ كانون الأول 2002، حين انتهت الدورة الأولى من الحوارات، لم تحدث أية هجمات إرهابية في اليمن، ويعتقد الكثير من الناس أن هذا جزءاً مهماً من السبب. قال القاضي

* نوقشت معتقدات الإسلاميين المتطرفين بنحو كامل في مقال بعنوان «الإسلام الشرق أوسطي المتطرف في الساحة الأوروبية» في القسم الذي بعنوان ثقافة الجهاد العالمي»، بقلم رويغن باز في ميدل إيست ريفيو أوف إنترناشنال أفيرز، 6 ع 3 أيلول 2002.

حمود الحيتار: «قبل أن يبدأ الحوار، كانت هناك طريقة واحدة لمكافحة الإرهاب فحسب، وهي استخدام القوة. والآن هناك طريقة أخرى: الحوار»⁹. ويأمل أن يتحدث مع قادة القاعدة أيضاً.

وجد كثير من المسلمين أنفسهم بين نظرتين عالميتين مختلفتين تماماً كان البعض ينشدون الجمع بينهما. واختار آخرون، الذين يمكن أن يكونوا مغربيين عن حكوماتهم ومجتمعاتهم، طريق الالتزام الكلي بالجماعات الإسلامية المتطرقة العنيفة والمعادية للغرب. ثم إن غالبية أتباع الإسلاميين المتطرفين غير متعلمين جيداً ويصدقون كل ما يقال لهم. وكان هناك آخرون، وهم القادة الأفضل تعليماً، لديهم جدول عمل سياسي.

إن تأويلات بعض هذه الجماعات لعقائد إسلامية معينة غريبة فعلاً. على سبيل المثال، دعوا الانتحار، الذي لم يكن يفضله الإسلام، «شهادة في الجهاد» كي يحظى بالقبول¹⁰.

حان الوقت أيضاً لدفن "العذراوات الإحدى وسبعين؛ وهذا تأويل غريب ورهيب ومثير لنص غامض في القرآن، يستخدمه الغربيون بشراهة بنحو متكرر للسخرية من الإسلام. وكان هناك مقال مشابه في ذَ واشنطن بوست يبدأ كالتالي: «لقد وُعد بالذهاب إلى الجنة فوراً وبأثنين وسبعين عذراء حين يصل إلى هناك، ولكن هوشير صابر حسن لم يكن مستعداً للموت»¹¹ ويقول بروشور من مؤسسة التربية الإسلامية: «إن الوعد بـ 71 أو 72 عذراء خيال كتبه بعض

المتعصبين المعادين للإسلام»¹². هذا الاعتقاد بالنسبة لغالبية المسلمين هو كاعتقاد أننا يوماً ما سنحصل على أجنحة وقيثارة ونسير على الغيوم بالنسبة لمسيحيي الاتجاه السائد*. ولم أر هذا يُدحض في الإعلام أبداً.

مسلمو الاتجاه السائد

عبر مسلمو الاتجاه السائد الذين يعيشون في الولايات المتحدة والغرب عن أنفسهم، مصدرين بيانات صحفية، وعاقدين مؤتمرات وشاجبين العنف الإسلامي المتطرف علناً (وجاء شجب مؤخراً من اللجنة الإسلامية في إسبانيا، في آذار 2005) ولكن أموراً كهذه تُحجب عن الإعلام¹⁴.

من المحتمل أن المسلمين المعتدلين والباحثين المسلمين يرسلون الرسائل ولكن الجمهور العام في أميركا والأمة الأخرى لا يسمعونها. وكمجموعة، إن المسلمين في الغرب مذعورون، ومتضايقون، وغالباً شكاكون حيال ما يحدث. يعرفون أن الإسلام المتطرف يسبب

* إن المناصرين الأوائل لهذه الصور لا علاقة لهم بأسطورة معادية للإسلام بأن الشهداء يحرضهم أمل الحصول على عدد كبير من العذراوات في الجنة. بدأت مع التاميليين الهندوس في سريلانكا... حيث انتقلت إلى فلسطين في العقد الماضي، إنها فعل ملاذ أخير يائس لأشخاص محبطين... ولقد قامت القاعدة باستخدام تقنية قديمة¹³.

ويقومون بتأويل آيات معينة مثل: «متكئين فيها يدعون فيها بكهة كثيرة وشراب» (51: 37) ثم غموض هنا وإيجاز آثار الكثير من التعليقات. ويستند التأويل الإسلامي يستند إلى هذه التعليقات.

أزمة لصورة دينهم تحتاج إلى معالجة فورية. وقد قال نائب رئيس الجمعية الإسلامية في شمال أميركا، وهي الأكبر في الولايات المتحدة، (وتضم 40,000 عضو) إن المسلمين «ملتزمون» بمحاربة الإسلام المتطرف^{15,16}.

يدرك المعتدلون في الغرب جيداً أن إسلام الاتجاه السائد هو أيضاً هدف للمتطرفين.

لا يفهم كثير من المهاجرين المسلمين في أميركا وأوروبا طرق صناعة الدعاية، مثل التصريحات الموقعة، ومسيرات الاحتجاج، التظاهر من أجل قضية، والرسائل إلى المحرر. إن 60% من المسلمين في أميركا هم جيل أول أو ثان، و30% هم من السود الأميركيين. ويفهم المسلمون الأصغر الذين ولدوا في البلدان الغربية الأمر وبدؤوا يلعبون دوراً أكثر فاعلية، من المناسبات الجامعية إلى المسيرات العامة. وسيكون الأمر راجعاً إليهم في تغيير صورة الإسلام. وقد أنشئت المؤسسة غير الربحية، المسلمون الأحرار المضادون للإرهاب «لاستئصال الدعم الواسع للتطرف والإرهاب الإسلامي ولتقوية المؤسسات العلمانية الديمقراطية في الشرق الأوسط». وقد دعي الناس كي يرسلوا تقارير مغلطة من الاسم عن أي أفراد مسلمين متطرفين أو جماعات تقوم (1) بدعم الإيديولوجيا الإسلامية المتطرفة، (2) وتتخرط في دعم تسويغي للتطبيقات الإرهابية، أو (3) تعتق الجهاد¹⁷. «وهناك موقع على الإنترنت يدعم الأهداف نفسها: الإسلام

يشجب الإرهاب»، www.islamdenouncesterrorism.com.

يملك كثير من الناس في الشرق الأوسط موقفاً متصارعاً حيال الجماعات الإسلامية لأنه بغض النظر عن مناصرتها للعنف، فإن الكثير منها تقدم خدمات اجتماعية ثمة حاجة ماسة إليها. وهذا عامل مهم ويشرح نجاحها في التطوع. وفي كثير من البلدان حيث لا تساعد الحكومة الفقراء أو لا تستطيع (وهذا الأمر يلزم الإسلام به القوى الحاكمة) فإن الجماعات الإسلامية تقدم الخدمات للعائلات من خلال المدارس والعيادات الطبية ووكالات الرفاه الاجتماعي والدعم المالي للعائلات، كما يحدث في مصر ولبنان والمغرب وتونس والجزائر واليمن. وتكسب هذه الجماعات الكثير من مصداقيتها من خلال أنشطة وبرامج كهذه. وكثير منها جيد التنظيم والتمويل وقد أنشأت بنية مؤسسية مماثلة للدولة¹⁸. وبسبب الخدمات الاجتماعية حظي الإسلاميون المتطرفون بالدعم بالرغم من اختلاف الناس مع معتقداتهم.

إن إحدى تلك الجماعات هي الجماعة الشيعية، حزب الله. وتصارع الحكومة الأميركية حقيقة أن حزب الله، المصنف كمنظمة إرهابية، أصبح حزباً سياسياً شرعياً في لبنان ويحتل ثلاثة عشر مقعداً في البرلمان (وهناك احتمال بأن يحصل على أكثر من ذلك في الانتخابات المستقبلية). يقدم حزب الله المدارس والمستشفيات والصيدليات وعيادات طب الأسنان والوظائف والمنح والرفاه لآلاف من الأسر اللبنانية¹⁹.

إن الإسلاميين المتطرفين (وكثير من الأصوليين) هم مثاليون (سيقول البعض إنهم طوباويون) لأنهم يؤمنون بدولة مثالية، كما في الشعار الشعبي: «الإسلام هو الحل». فالأصوليون والإسلاميون المتطرفون يعملون غالباً كمجموعات ضغط لتعزير معايير الأخلاق العامة ويوافق كثير من الناس على هذا.



الفصل الثاني عشر

المعاداة لأميركا

لا يمكن لكتاب يُقصد منه أن يكون دليلاً عن العرب تجاهل شعور العداء المتنامي ضد أميركا بين العرب اليوم. وهذا اتجاه مهم، ومتزايد، ونحتاج إلى فهمه بسرعة. وإليكم بعض الإحصاءات التي تمنح مظهراً واقعياً للشعور المعادي لأميركا الذي يزداد قوة بين العرب. في استطلاع للرأي أجراه المعهد العربي - الأميركي في أيار 2004 وشمل ست دول عربية كانت التقديرات الإجمالية لشجب الولايات المتحدة تتسلسل بين نسبة منخفضة غير مسبوقه تبلغ 2% في مصر ونسبة مرتفعة تصل إلى 20% في لبنان. أما الذين عبروا عن وجهة نظر محاوية للولايات المتحدة فقد كانوا 4% في المملكة العربية السعودية؛ و11% في المغرب؛ و14% في الإمارات العربية المتحدة؛ و15% في الأردن. وتشير هذه النسب إلى انحدار حاد بالمقارنة مع استطلاع تم قبل سنتين. لماذا؟ إن السبب الرئيس الكامن وراء النسب المثوية المنخفضة هو السياسات الأميركية. أما إدخال السن والجنس كعاملين في المواقف من السياسة الخارجية الأميركية في البلدان الست فلم يحدث تأثيراً يذكر¹.

وقبل أن نتابع، يجب أن نوضح أن المسلمين والعرب والشرق
أوسطيين لا «يكرهون» أميركا*. ولا يكرهون الشعب الأميركي. ولكنهم
غاضبون جداً من الحكومة الأميركية. إن الهامش المتطرف هو الذي
يكره أميركا فقط.

لم أسمع أبداً عربياً عادياً يقول إنه يكره أميركا، ولم أسمع تقارير
كهذه من آخرين.

إذا كان العرب غاضبين، فإذاً هناك أمل. وإذا فهمنا أسباب هذا
الغضب، نستطيع معالجتها، دون أن نضلل جهودنا لإحداث التغيير. وإذا
كانوا حقاً يكرهون أميركا والقيم الأميركية فإننا سنحصل على جفوة
دائمة وعلى صراع حضارات حقيقي، وسيكون هذا موقفاً بلا أمل،
وسيحاول كل طرف استئصال الآخر. ليس الأمر بهذا السوء.

تتعلق مشاعر العداة لأميركا ومشاعر العداة للعرب والمسلمين كثيراً
بالتصورات الذاتية للطرفين بقدر ما تتعلق بالواقع، تتعلق بالأشخاص
الذين يستمع إليهم الناس وبماذا يسمعون وبالاستنتاجات التي يصلون
إليها. ويميل الجانبان إلى التعميم، ويمتلك كل منهما حتى الآن صورة
سلبية نمطية عن الآخر. وإذا كان الناس يجهلون منطقة أو سكانها،
فإنهم سيعتمدون على الإعلام كي يشكلوا قناعاتهم**.

* إن أميركا تشير إلى الولايات المتحدة في هذا الكتاب لأن كلمة أميركا تستخدم
في الإعلام الأميركي وكذلك في الشرق الأوسط.

** على عكس بقية العالم، لا يرى الأميركيون الصور اليومية لمعاناة الفلسطينيين
والعراقيين. لا يعني هذا أن البلدان الأخرى فيها أنباء مختلفة عن الأنباء في
أميركا. إن أميركا هي المختلفة.

لا يفهم معظم الأميركيين كيف حدث كل هذا. وأعتقد أن المقاربة الأكثر موضوعية هو ترك العرب والأميركيين يتحدثون إلى بعضهم بعضاً. نستطيع تأمل ما يقوله الجانبان. الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نتفق عليه جميعاً هو أن هناك الكثير من حالات سوء الفهم. فبعض المقولات في هذا الفصل تستخدم الضمير هم دون شرح من المعنيون بهم. أحياناً تشير هم إلى الإرهابيين؛ لكنّ الإشارات الأخرى أشمل، وبسبب العدد الكبير من التعليقات والبلاغة من الصعب أن نعرف كم عدد الذين يقصدون الإشارة إلى العرب والمسلمين بعامّة.

إن الكثير مما نقرأه أو نسمعه مشوّشٌ، وخاصة للناس الذين لا يعرفون الكثير عن الشرق الأوسط. إذا، على سبيل المثال، كان أي من الآراء التي ستقرأها فيما يلي صعب الفهم، يمكنك القيام بعدة أمور (1) اسأل عربياً أو مسلماً في جماعتك (الجميع لديهم عرب أو مسلمون في جماعاتهم)؛ (2) تحدث مع شخص عارف زار المنطقة؛ (3) ابحث عن الأمر واقراً حوله. والأكثر أهمية بالنسبة لك هو أن تفكر بالأقوال من جميع المصادر ثم اتخذ قراراتك حيال طبيعة العداء الأميركي.

ولأننا ذكرنا سابقاً أن معظم العرب لا يكرهون أميركا بالفعل وإنما هو غاضبون جداً، دعونا نبدأ من هنا.

أسباب غضب العرب

وجهات نظر عربية إسلامية وأخرى غربية*

* تتضمن العرب/المسلمين هنا بعض الشرق أوسطيين غير العرب وتستبعد بعض العرب غير المسلمين.

يظهر العرب مواقف محايدة تجاه الكثير من التجليات الأميركية في وسطهم، وبينها المنتجات الأميركية، العلم، التكنولوجيا، الأفلام والتلفزيون، إلخ. - من الواضح أن ما يقود العرب إلى مثل هذه المواقف إزاء أميركا هو ببساطة السياسة الأميركية في المنطقة².

في استطلاع للرأي قامت به سلطات التحالف في أيار 2004 تبين أن 92% من العراقيين يعتبرون القوات الأميركية احتلالاً، و فقط 2% نظروا إليها كمحررة³.

إن العداة لأميركا ظاهرة حديثة غدتها السياسة الخارجية الأميركية، وليس صراعاً دورياً بين الحضارات... وينشأ التعبير عن العداة لأميركا بين غالبية العرب اليوم من كراهية عمياء للولايات المتحدة أو القيم الأميركية أكثر مما هو ناشئ من ازدواجية حيال أميركا: فأمركا موضوع للإعجاب بسبب غناها، وأفلامها وتكنولوجيتها (ولبعض علمانيتها، قانونها، نظامها) ومصدر لخيبة عميقة بسبب دورها المستمر في صياغة الوضع القمعي القائم للشرق الأوسط⁴.

إن السياسيين والباحثين والمراقبين يتحدثون عن موجة العداة لأميركا ولكن يبدو أن لا أحد في واشنطن ينتبه إلى ذلك، ذلك أن واشنطن تواصل سياسات تحرض على العداة والكراهية. والعداة والكراهية غير موجهين ضد الأميركيين:

ليس العداء عرقياً يركز الكراهية على الأميركيين فقط لأنهم أميركيون أو لأن الولايات المتحدة هي البلد الأقوى في العالم، أو المجتمع الأغنى، أو أي شيء من هذا القبيل. وإنما السبب هو السياسات الأميركية وموقف الإدارة الأميركية من حقوق الشعوب الأخرى⁵.

من المهم أن نضع وجهات نظر العرب والمسلمين في الولايات المتحدة في سياق كوني أشمل. ما يصبح جلياً بسرعة هو أن الكثير من وجهات النظر السلبية التي يعبر عنها الناس في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي عن أميركا يشاطرهم بها الناس على نحو واسع في أجزاء أخرى من العالم⁶.

لا يحب الأميركيون أن يسمعوها، ولكن حكومتهم تصرفت كقوة إمبريالية في الشرق الأوسط لأكثر من خمسين عاماً⁷.

هناك تاريخ خلف التعليقات السائدة في الشرق الأوسط عن الدور الأميركي، وهي تعليقات يمكن ألا تضاهي ما يفكر به الأميركيون حول أنفسهم ودور بلادهم في العالم. سيرفض المرء هذه الآراء بعجرفة أو يعالجها فقط عبر حملات علاقات عامة صاخبة. هذا يعني التقليل بنحو خطير من أهمية ما يعمل هنا: إن هذه التعليقات والتاريخ الذي خلفها مهمة جداً، ذلك أنه هكذا ينظر أبناء المنطقة إلى الولايات المتحدة⁸...

انخرطت الولايات المتحدة بين 1980 و2001 في 15 عملية عسكرية في الشرق الأوسط، وكلها ضد المسلمين. وكان هناك عدد مساو من الأفعال غير العسكرية كمثال فرض العقوبات الاقتصادية، التهديد العسكري، سياسات تدعم بعض الدول الإقليمية ضد بعضها بعضاً، دعم مجموعات معارضة منتقاة، والتزويد بالسلاح، (أحياناً سرياً). وما يهم هنا ليس المسألة الدبلوماسية حول من دعمت أميركا أو لماذا، ذلك أن النتيجة هي أن المحليين ينظرون إلى هذه الأفعال كتدخل أميركي في منطقتهم، واستمر الاستياء بالتشكل. نحن نتحدث عن تصوّرات ذاتية. نتحدث عن صورة أميركا* .

يجب ألا نخدع أنفسنا حيال لماذا هناك الكثير من الكراهية للولايات المتحدة. وهذا لا يأتي من الجو الصافي. ليس لأننا نمثل الحرية والفضيلة والنور، بينما يمثل العرب الظلام والقمع. يمكن أن تمثل الثقافة الأميركية شيئاً ما فاسداً وغير أخلاقي لبعض الحساسيات الإسلامية لا يمكن تحمله. ولكن ليس هذا ما يحرض المفجرين الانتحاريين. فالسياسات الأميركية غالباً ما تقتل بنحو مباشر أو غير مباشر. ولهذا السبب البشر راغبون بالتضحية بأنفسهم كي يقتلونا بالمقابل⁹.

* يمكن النظر إلى هذا في موقع دار المقاصة للمعلومات على شبكة الإنترنت: «التدخل الأميركي في الشرق الأوسط»

إن أحد أشد الأخطار بالنسبة للأميركيين في اتخاذ قرار حول كيفية مواجهة التهديد الإسلامي المتطرف يكمن في الاستمرار في الاعتقاد - بإلحاح من قادة أميركيين كبار - أن المسلمين يكرهوننا ويهاجموننا بسبب ما نحن عليه وما نفكر به، وليس بسبب ما فعله... أميركا تُكره وتُهاجم لأن المسلمين يعتقدون أنهم يعرفون بدقة ما الذي فعله الولايات المتحدة في العالم الإسلامي¹⁰.

لا أحد يكره أميركا. اعتادت أميركا أن تكون نموذجاً عظيماً، لم تكن قوة استعمارية في المنطقة. إن أبنائنا وأشقائنا يعلمون في شركات أميركية. أنا آسف جداً لأن السياسة الأميركية تهدد العلاقات الإنسانية بين الأمم¹¹.

قائد شيعي في لبنان: يجب أن نكون واضحين بحيث نميز بين الإدارة الأميركية والشعب الأميركي. نريد أن نكون أصدقاء مع الشعب الأميركي. مشكلتنا هي مع الإدارة الأميركية¹².

بعض وجهات النظر الأميركية

1. يكرهون حريتنا، وقيمنا، وطريقة حياتنا.

جورج دبليو بوش: «يكرهون حرياتنا، حريتنا في الدين، في التعبير، في الاقتراع والاجتماع ويختلفون فيما بينهم»¹³.
«استهدفت أميركا في هذا الهجوم لأنها منارة الحرية والفرصة الأشد إشعاعاً في العالم»¹⁴. «يكرهون قيمنا. يكرهون ما تمثله أميركا»¹⁵.

دونالد رمسفيلد: «هذه ليست هجمات (9\11) على أميركا ... بل على الناس في كل مكان ... الذين يؤمنون بالحرية، الذين يمارسون التسامح والذين يدافعون عن حقوق الإنسان غير القابلة للتحويل»¹⁶.

جورج دبليو بوش: «يذهلني أن هناك سوء فهم كهذا حيال بلدنا بحيث أن الناس يكرهوننا. أنا لا أستطيع أنا أصدق ذلك مثل معظم الأميركيين، لأنني أعرف كم نحن جيدون»¹⁷.

بيل ماهر: «يقاتلون كي يعبروا عن حقد لا عقلائي على كل ما هو جيد في الإنسانية ... إنهم يمقتون الحرية والعدالة. نقاتل من أجل حب الحرية والعدالة»¹⁹.

2. يكرهون نجاحنا.

تشارلز كراوثامر: «الحقيقة هي أن العالم يكره الولايات المتحدة بسبب ثروتها ونجاحها وقوتها»²⁰.

دان راثر: «إن أبناء الشرق الأوسط ينظرون إلى أنفسهم على أنهم فاشلو العالم». وهم لن يعترفوا بهذا أبداً. يرون أننا نملك كل شيء. نفوز بكل شيء. يرون أنفسهم ويفكرون: «يجب أن نكون شعباً عظيماً لكننا لسنا كذلك». هذا يجعلهم معتوهين. «يكرهوننا بسبب من نحن وما نحن عليه»²¹.

رالف بيترز: «إنهم يغارون من نجاحنا وقوتنا، ومروعون ومهددون من الطبيعة الحرة غير القمعية لمجتمعاتنا، وغير قادرين على الأداء بكفاءة في القرن الواحد والعشرين، وقد أقنعوا أنفسهم أن طريقتنا في الحياة شيطانية...»²² «نحن نتعامل مع حضارة تضليلية»²³.

دانييل بايبز، في مقابلة أجراها كريس ماشيوس: د.ب: المسلمون هم في ذعر، فالأمور سيئة بالنسبة لهم لوقت طويل، لمدة قرنين، أما أمورنا فتسير جيداً. ك.م: «حكومة قذرة، اقتصاد متدهور، لا فرص في الحياة. ويلومون على ذلك إسرائيل، ويلومون أميركا؟» د.ب: «هذا يعبر عن الأمر ببساطة، نعم»²⁴.

3 لا يعرفون ما يكفي عنا.

قامت الحكومة الأميركية مؤخراً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول بمبادرة جديدة: تقوية البرامج التي تقدم معلومات عن البلاد وقيمها (هذا يُدعى «الدبلوماسية العامة») وقد بُني هذا على فرضية أن العداة لأميركا يمكن تقليله من خلال تقديم معلومات مفصلة أكثر صحة. وقد أعلن البيت الأبيض عن سياسة مفادها «أن نشر المبدأ الكوني للحرية الإنسانية» هو المفتاح إلى تغيير الأوضاع التي تُنتج الإرهاب²⁵.

لقد جعلت الإدارة التوسّع الكوني أولوية... البث الإذاعي المتزايد في الشرق الأوسط والبرامج لتشجيع تعلم القراءة والكتابة، والإصلاح الديمقراطي والتعليم²⁶.

باتريسيا هاريسون، مساعدة وزير الخارجية السابقة لشؤون التربية والثقافة: «إن أساس استراتيجية دبلوماسيتنا العامة هو أن ننخرط، ونعلم ونؤثر في الجمهور الأجنبي من أجل أن نزيد من فهم القيم والسياسات والمبادرات الأميركية»²⁷.

أنفقت وزارة الخارجية 15 مليون دولار من أجل حملة دعائية تلفزيونية ودية ومشوشة تدعى «القيم المشتركة» ستبث في البلدان الإسلامية ... إن الإعلانات ... ألغيت بعد أن قال مشاهدو الاختبار إنها لا تمس أياً من المسائل الأساسية التي تفصل بين أميركا والعالم الإسلامي.²⁸

لا تعكس نتيجة استطلاع للرأي حول وجهات نظر العرب تم في 2002 مشاعر معادية للغرب قائمة... ظهرت النتائج معاكسة للدفاع الأساسي لنشر «دبلوماسية عامة» مدعومة... تستند البرامج إلى فرضية أن وجهات النظر المعادية لأميركا في المنطقة تنشأ بنحو كبير من غياب المعرفة حول القيم الأميركية.²⁹

منحت البنتاغون ثلاثة عقود هذا الأسبوع (حزيران 2005)، بقيمة 300 مليون دولار لفترة ثلاثة أعوام، لشركات تأمل البنتاغون أنها ستحقق المزيد من الإبداع في جهود عملياتها النفسية لتحسين الرأي العام الأجنبي حول الولايات المتحدة، وخاصة حول الجيش.³⁰

يقول «تقرير المجموعة الاستشارية حول الدبلوماسية العامة للعالم العربي والإسلامي»، والذي قُدم للحكومة في 2003 من قبل مجموعة أوكلت إليها مهمة تقييم مبادرات السياسة العامة وتقديم توصيات، ما يلي: «بينما تعد إدارة السياسة المحدد الرئيس للنجاح أو الفشل في هذا الصراع...³¹»

يعرف الجميع في الشرق الأوسط شخصاً ما يعيش في أميركا: صديقاً أو صديق صديق أو قريباً. والمعلومات من هؤلاء الأشخاص أكثر مصداقية من أية حملة معلومات ترعاها الحكومة الأميركية.

4. المعاداة لأميركا عنذر.

باري روبن: «السبب الرئيس لانتشار العداء العربي لأميركا، إذاً، هو أنه كان أداة مفيدة للحكام المتطرفين، والحركات الثورية، وحتى الأنظمة المعتدلة من أجل تأمين دعم محلي واتباع أهداف إقليمية دون كلف تذكر».³²

إن العداء لأميركا لعبة يلعبها الحكام العرب لتوليد العداء بين شعوبهم والولايات المتحدة للحفاظ على جلودهم. ليس هناك حافز لأن تكون أي شيء سوى معاد لأميركا ومن الخطير جداً ألا تتبع الحشد³³.

* إن كثيراً من المؤلفين، وكذلك تقارير الإعلام، تصور على نحو مغلوط تفكير الناس في الشرق الأوسط الحديث. وقد اخترت كتابات برنارد لويس كمثال، لأنه يُقرأ ويُقتبس على نطاق واسع. ففي جميع كتاباته، يميل الدكتور لويس إلى التعميمات، دون أن يفرق بين وجهات النظر التاريخية أو المتطرفة وبين وجهات نظر المسلمين والعرب العاديين في القرن الواحد والعشرين. فتكرار تعليقات مهينة حول الغربيين والتشديد عليها يلقي صدى لدى القراء ويصبح مرتبطاً في أذهانهم بالعرب والمسلمين، حتى ولو كانت لا تصح اليوم. يستخدم الدكتور لويس باستمرار عبارات مثل «أعداء الله»، «كفار الغرب» و«دار الإسلام ودار الكفر»، والتي أكل الزمن عليها وشرب منذ قرون. يكتب أن «أميركا أصبحت العدو الرئيس، رمز الشر، والعدو الشيطاني لكل ما هو جيد»، وهذا اعتقاد يقتصر على المتطرفين. ولا أرى معنى اليوم في قراءة «إن الدراسة لدى أساتذة كفار مرفوضة». لا يمكن أن ينطبق هذا الوصف على العرب الحديثين المتعلمين، ولكن الأذى ألحق بهم. ولا يفكر العرب والمسلمون من هذه الزوايا. يعجبون بالحرية الغربية، وبالعلم، والتكنولوجيا. إن لغة كهذه لا تعكس ما كنت أسمعه في العالم العربي لمدة 40 عاماً.

يريد معظم القراء الغربيين أن يفهموا 9/11، التمرد في العراق، والمناخ السياسي الحالي في الشرق الأوسط. لا يعرفون ما هو تاريخي وما هو متطرف. إن كتابة غير حريصة كهذه لا توضح المسائل الراهنة للقراء الغربيين؛ على العكس تحدث ضرراً لا يمكن حساب نتائجه.

5. نشترك في تاريخ طويل من الكراهية.

برنارد لويس: «ليس هذا أقل من صراع حضارات، الرد الذي ربما هو غير عقلاني ولكنه تاريخي بالتأكيد لخصم قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي ... فقد استمر الصراع بين هذه الأنظمة المتنازعة أربعة عشر قرناً». «ما هو شرير في الحقيقة وغير مقبول هو هيمنة الكفار على المؤمنين الحقيقيين».

برنارد لويس: «إن الباعث، بوضوح، هو الكراهية... كانت الكراهية تنمو باطراد لسنوات كثيرة... من الصعب بل من المستحيل أن تكون قوياً وناجحاً وأن يحبك أولئك الذين ليسوا أقوياء وناجحين... يؤثر هذا الشعور، المتأصل عميقاً والمتوتر جداً، في المواقف في العالم الإسلامي إزاء العالم الغربي أو، كما يعبرون عن الأمر، البلدان الكافرة».³⁵

لسوء الحظ، لا يوضح المؤلف عمن يتحدث. ربما يتحدث عن الإسلاميين المتطرفين فقط، ولكنه يبدو وكأنه يشير إلى الجميع في «العالم الإسلامي». إلا أن الأغلبية الكبيرة في العالم الإسلامي لن تسمى أبداً الغرب «بالبلدان الكافرة»³⁶.

صامويل هنتنغتون: «زاد من الصراع بين الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين خليط معقد من العوامل... النمو السكاني الإسلامي... الانبعاث الإسلامي... جهود الغرب المتزامنة لتعميم قيمه ومؤسساته، للحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي... للتدخل في صراعات في العالم الإسلامي... انهيار الشيوعية... الاتصال المتزايد بين... المسلمين والغربيين»³⁷.

لا تستندُ المقولات في هذا القسم، «بعض وجهات النظر الأميركية» إلى مقابلات مع عرب عاديين من الشرق الأوسط في المنطقة كلها. ويذهل العرب حين يقرؤون تصريحات كهذه، ويتساءلون أين عثر المؤلفون على المعلومات لتبرير ما يكتبونه. ليس هناك عرب يصدقون هذه التأكيدات. وللأسف، العرب معتادون على الافتراء عليهم (بعض العرب يرون هذا الكتاب وهم خائفون من فتحه). يخشون أيضاً من النية السيئة.

وجهات النظر العربية/الإسلامية في الثقافة الأميركية

في استطلاع للرأي أُجري في 2002، 83% إلى 94% من العرب الذين أجابوا انتقدوا السياسة الأميركية ولكنهم قالوا إنهم يحبون الموسيقى والأفلام والملابس والديموقراطية والحرية الأميركية³⁸.

وفي استطلاع للرأي أُجري في 2004، قال 70% من المشاركين في المغرب و67% في الأردن إنهم يودون أن يعرفوا ويقابلوا الأميركيين³⁹.

قال تقرير التنمية البشرية العربية في 2002 أن 51% من الشبان الأكبر سناً عبروا عن رغبة بالهجرة، وتقريباً كلهم إلى أوروبا أو أميركا⁴⁰.

اسألوا أي شخص في القاهرة أي بلاد يود أن يزورها، وسيقول على الأرجح أميركا، «قال علي». اسألوهم أي فيلم يرغبون بأن يشاهدوا وسيكون على الأرجح فيلماً أميركياً. اسألوهم

أي جامعة يودون الدراسة فيها وسيسمون جامعة أميركية. يمكن أن يختلفوا بنحو عنيف مع السياسات الأميركية، ولكنهم لا يكرهون أميركا. هذه مضارقة⁴¹.

الأميركيون شعب جيد جداً. حين أذهب، يتم الترحيب بي. يرغب جميع الشبان بالذهاب إلى أميركا. ولكنها السياسة... لا أحد يكره أميركا، غير أن هناك كراهية للسياسة التي نجدها غير عادلة⁴².

وجهات نظر حول الديمقراطية على النمط الغربي

إن مسح زغبى في 2002، والذي بُثَّ في برنامج ما يفكر به العرب، قال إن وجهات نظر العرب لا تعكس مشاعر معادية للغرب ونوّه أن فرنسا وكندا وألمانيا كانوا بين البلدان التي حصلت على تقييمات إيجابية عالية... ونظرت غالبية العرب المشاركين من مصر والكويت ولبنان والمملكة العربية السعودية بنحو إيجابي إلى ما وصفه المسح بـ «الحرية والديموقراطية الأميركية»⁴³. وحين سئلوا ما الذي صاغ آراءهم أكثر من غيره، قال الخاضعون لاستطلاع الرأي إنه كان السياسة الأميركية، وليس القيم أو الثقافة. وحين سئلوا: «ما هي الفكرة الأولى التي تخطر في بالكم حين تسمعون كلمة أميركا؟» أجاب المشاركون بإجماع: «السياسة الخارجية غير العادلة»⁴⁴.

بيّن مسح مشروع بو* للمواقف العالمية، وبنحو مثير للفضول، تواشجاً قليلاً بين الدعم لابن لادن وبين العداء للأفكار والمنتجات الثقافية الأميركية. فالأشخاص الذين عبروا عن رأي محاب لابن لادن كانوا في الوقت نفسه عادلين في تقدير التكنولوجيا والمنتجات الأميركية على غرار الأشخاص المعادين لابن لادن. إن المشاركين المؤيدين والمعارضين لابن لادن اختلفوا قليلاً أيضاً في وجهات نظرهم عن إمكانية تطبيق الديمقراطية على النمط الغربي في العالم العربي⁴⁵...

يتابع تقرير بو: «تواصل أعداد كبيرة من السكان المسلمين الاعتقاد بأن الديمقراطية الغربية يمكن أن تعمل في بلدانهم... وبالرغم من أن كثيراً من المسلمين حول العالم يودون رؤية المزيد من الدين في السياسة، فإن وجهة النظر هذه لا تناقض الدعم الواسع الانتشار للمثل الديمقراطية بين هذه الجماهير. والواقع أن المسلمين، في عدد من البلدان، الذين يدعمون دوراً أكبر للإسلام في السياسة يظهرون الاحترام الأكبر لحرية التعبير، وحرية الصحافة وأهمية الانتخابات الحرة القائمة على التنافس»⁴⁶.

يعتقد أكثر من 90% من طلاب الجامعة في الأردن أنه لا يوجد تناقض بين تعاليم الإسلام والديمقراطية أو حقوق الإنسان⁴⁷.

* إن جزءاً من «وجهات نظر حول عالم متغيّر»، أجري الاستطلاع من 28 نيسان إلى 15 أيار، وشمل 38,000 شخص في 44 بلداً.

نحن متلهفون للتغيير والإصلاح والديمقراطية والرخاء والحدّاتة، ولكن قلة منا تؤمن أن هذا سيأتي من خلال مواسير المدافع الغربية.⁴⁸

مؤخراً، وبعد سماع أنباء مظاهرات الحرية والديمقراطية، صار كثير من الغربيين يدركون أن العرب يحبون مفهوم الحرية في النهاية. وقد فعلوا ذلك دائماً. فالديمقراطية تمتلك صورة إيجابية طاغية في أنحاء العالم. وقد تم التشديد على هذا باستمرار في العالم العربي، لفظاً وكتابة.

وقد عبّر بعض العلماء الأميركيين أنه إن استطاع العرب الحصول على «الحرية» من الأميركيين، فإنهم سيتركون خلفهم الشكاوى من المظالم السياسية الأميركية. سيعرفون أن أميركا لا تريد نفضهم وإنما تريد حرّيتهم فحسب.

تشارلز كراوثامر: حين يجازف ملايين العراقيين بحياتهم ثم يرقصون من المتعة بعد البدء بالدخول في طقوس الديمقراطية، تبزغ حقيقة. أما الكليشيات القديمة القائلة بأن أميركا ذهبت إلى العراق من أجل النفط أو الهيمنة فتبدأ بالظهور جوفاء.⁴⁹

حدثت المظاهرات من أجل الحرية في مصر ولبنان لأن الجيش الأميركي أطاح بمضطهد.

تشارلز كراوثامر: أولئك الذين زعموا، بيقين كبير، أن العرب يشكلون استثناء في الميل البشري إلى الحرية... وأن فكرة أن الولايات المتحدة تستطيع المساعدة في إحداث ثورة ديمقراطية من خلال التخلص عسكرياً من مضطهديهم هي مجرد وهم، تبين أنهم على خطأ. لقد اضطر اليسار على الإقرار بأن أولئك المتوحشين الأميركيين الذين يقودهم راعي بقهرهم الأحمق يمكن أن يكونوا على صواب... الرئيس بوش... رفض دعوة كي يباهي بتبرير سياسته في نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط... جزئياً بسبب الوقار⁵⁰.

فؤاد عجمي: ما نشهده في العالم العربي شبيه بريبع الشعوب الأوروبية في 1848⁵¹ والآن، إن العرب الذين يتحسسون الطريق إلى عالم جديد، والأميركيون الذين ساعدوا في خلق هذه اللحظة غير المسبوقة، يركبون سوية الموجة العاصفة للحرية⁵².

ولكن هناك مخاوف ليست بسيطة. فتحقيق الديمقراطية ليس سهلاً في كل مكان؛ يمكن أن ينطوي على مجازفات خطيرة. نسمع بعض الغلو والتفكير المبني على الرغبة لا على الواقع:

نحن في فجر ربيع عربي: البزوغ الأول للديمقراطية في العراق ولبنان ومصر وفلسطين وفي أنحاء الشرق الأوسط الكبير⁵³.

إن فكرة أن العالم العربي غير جاهز للديمقراطية هي عنصرية ويجب أن نرفضها⁵⁴.

ولكننا نسمع أيضاً تقييمات حسيمة. قال وزير عربي سابق:

حين تكون سوريا، أو مصرياً أو سعودياً وتشاهد ما حدث للمجتمع العراقي في العامين الماضيين، تتساءل إن كانت الديمقراطية تستحق هذا الغياب للاستقرار وتضحية كهذه بالناس⁵⁵.

السؤال هو: «هل تريد الحرية والفضى أم تريد الديمقراطية والأمن؟» إذا كان لديك أسرة، إنه خيار كبير كي تقوم به⁵⁶.

يفكر الأميركيون بالديمقراطية، ويحلل كثير من الأميركيين ديمقراطيتنا، ما هي، وماذا تعني. ذلك أنه من أجل أن تعمل أية ديمقراطية، فإنها تتطلب مواطنين متعلمين، ومستوى معقولاً من معرفة القراءة والكتابة، وثقة بالمعارضة (التي تتخلى عن السلطة إذا خسرت في الانتخابات)، وهوية قومية تتجاوز التحالفات القائمة على القرابة والقبيلة والدين أو الأصل الإثني. وهذا صعب في الشرق الأوسط لأن كثيراً من الحدود القومية رُسمت اعتباطياً وبنحو خاطئ من قبل إنكلترا وفرنسا، بعد أن احتلتا المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وصنعتا دولاً من شعوب لن تقبل هذا لو كانت موحدة. يجد شعب الشرق الأوسط نفسه مجدداً للمرة الأولى بالجغرافيا. وحتى الآن، لا نستطيع اعتبار الحدود في الشرق الأوسط ثابتة.

لا أحد يقول إن العرب لا يريدون الديمقراطية، وإنما إن هذه الشروط لم تتحقق في بلدانهم. والاحتمال القائم هو أن الديمقراطية لن تتحقق حالياً. فالإصلاحات كالتعددية وحكم القانون والمحاسبة

ستأتي على حساب النخب الراسخة في كل بلد. يريد المواطنون العرب المزيد من الحرية، ولكننا لا نستطيع أن نعرف بعد إن كانت قد وصلت. فالموقف في غاية التعقيد بحيث لا يمكن التنبؤ به بنحو مؤكد. مع ذلك، نحن نسمع عن الديمقراطية في الأخبار، وسنرى المزيد من التعريفات، والشروح، والتحليلات لمعناها في الشرق الأوسط.

إن حروب التحرير الأميركية ستحرر التطلعات غير الحرة، وبدلاً من التراجع بشك حين يحدث هذا من الأفضل أن ن فكر كثيراً بحقيقة أن الطغاة الذين نطيح بهم سيكونون مفضلين على الفوضى التي سيمر فيها الشعب المحرر في البداية؛ إن هذا الشرف لا يزال العملة ذات القيمة في الشرق الأوسط، أكثر من البضائع والخدمات؛ وأن روابط الدم هي أكثر أهمية هناك من سيادة المواطن الفرد⁵⁷.

قال رامي خوري، وهو محرر صحيفة لبنانية:

إن حرية الفرد الشخصية ليست مطلباً محورياً أو قيمة في معظم العالم النامي، بل في معظم العالم. لا يعني هذا القول أن الناس لا يريدونها. إنها الآن قيمة مطلقة. والواقع أن الناس في معظم بلدان الشرق الأوسط، وفي آسيا وإفريقية، يتخلون عن الحرية الفردية مقابل الفوائد التي يحصلون عليها من الانتماء إلى جماعة، عائلة، قبيلة، جماعة دينية، طائفة، جماعة إثنية... بالنسبة لمعظم الناس في العالم العربي، إن المسائل الكبيرة المهمة هي (1) التحرر القومي من الاحتلال

الأجنبي، (2) الإحساس بالكرامة، (3) المعاملة العادلة من قبل حكوماتهم، (4) عدم الخضوع للفساد وسوء استغلال القوة، أو ألا يكذب عليهم حين يشغلون التلفزيون كي يستمعوا إلى أخبار المساء، (5) أن يعاملوا بكرامة. الحرية والديمقراطية هما رقم 6 أو 7 على القائمة.

كانت (الدعوة إلى الديمقراطية) قائمة لسنوات كثيرة من خلال عمل مصلحين محليين وديمقراطيين وناشطين. ليست السياسة الأميركية في دعم الحرية هي التي تبدأ بتوزيع الحصص... ما حدث هو أن الأميركيين صاروا يدعمون الديمقراطيين بدلاً من الطغاة، كما فعلوا في الخمسين عاماً السابقة.⁵⁹

الإسلام

يثير الإسلام بخاصة هجمات لاذعة ودفاعات محمومة. إليكم بعض التعليقات القليلة؛ من أجل صورة أكبر، تستطيعون أن تعثروا بسهولة على المزيد عن الموضوع. هذه القائمة هي انتقائية بالطبع.

صامويل هنتنغتون: «قال بعض الغربيين إنه ليس للغرب مشكلات مع الإسلام ولكن فقط مع المسلمين المتطرفين العنيفين... 1400 سنة من التاريخ توضح أمراً مخالفاً... إن المشكلة القائمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية. إنها الإسلام»⁶⁰.

فرانكلين غراهام: «أعتقد أن الإسلام دين شرير ومخادع»⁶⁶. «في معظم البلدان الإسلامية، يعد بناء كنيسة مسيحية جريمة... والمسيحيون ليسوا أحراراً في عبادة المسيح في معظم البلدان الإسلامية... * يقدم القرآن أدلة وافرة على أن الإسلام يشجع العنف من أجل ربح المرتدين ولتحقيق هدفه النهائي في بناء عالم إسلامي... إن المعاملة الوحشية للإنسانية للنساء من قبل الطالبان وثقت جيداً... استغلال النساء في معظم البلدان الإسلامية هو تقريباً وحشي»⁶².

بيل أوريلي: «إن تعليم دين أعدائنا هو تماماً مثل تدريس كتاب كفاحي لهتلر»⁶³.

التعليقات المضادة للإسلام

يجب أن يقرر عالم الإسلام الآن إن كان يريد الانغماس في الشكل القروسطي المريح للدين الذي يدفئ القلب بكرهية الآخرين...⁶⁴ إن القرآن هو الموجّه العقائدي للمسلمين، بالتالي ما يقوله يشرح معتقداتهم. ما يقوله لي هو إن المسلم المسالم لم يقرأه! إنه أحد، «إن لم يكن أكثر الأديان تحريضاً على العنف في العالم»⁶⁵.

* تمارس المسيحية علناً في البلدان الإسلامية ما عدا في المملكة العربية السعودية. هناك آلاف الكنائس في البلدان الإسلامية.

تعليقات تدافع عن الإسلام

نعتبر أحداث 11 أيلول فعلاً إجرامياً غريباً على ثقافتنا المشرفة، وديننا المسالم المسامح وطريقتنا في الحياة القائمة على حسن الضيافة. لا يمكن استئصال الإرهاب إلا إذا عولجت الأسباب المؤدية إليه بنحو عادل⁶⁷.

جورج بوش: «ليست حربنا ضد الإسلام، أو ضد الإيمان الذين يمارسه المسلمون»⁶⁸. «الإسلام دين يسبب الراحة لبلبون شخص في أنحاء العالم. إنه دين آخى بين الناس من كل السلالات. إنه دين يستند إلى الحب لا الكراهية»⁶⁹.

لقد أحضر الإسلام الراحة وراحة الذهن إلى ملايين لا تُحصى من الرجال والنساء. وقد منح الكرامة والمعنى لحيوات كئيبة وبأئسة. علم بشر الأعراق كلها أن يعيشوا في إخاء، وبشر العقائد المختلفة أن يعيشوا جنباً إلى جنب في تسامح معقول⁷⁰.

إذا كان الإسلام حقاً هو الصورة الساخرة التي يُختزل إليها غالباً إذا فكيف يروق كي يصبح أكثر الأديان نمواً في العالم؟... لأنه أيضاً يمتلك صفات مثيرة للإعجاب سيلاحظها أي شخص عاش في العالم الإسلامي: مساواة عميقة وغياب للهرمية يمنحان الكرامة واحترام الذات بين المؤمنين؛ حسن ضيافة أكبر مما هو الأمر في مجتمعات أخرى؛ نظام خيري مُمؤسس، زكاة، لمساعدة الفقراء. إن كثيراً من سكان غرب

إفريقيا، على سبيل المثال، ينظرون إلى المسيحية على أنها فاسدة وهرمية ويتدفقون إلى اعتناق الإسلام، الذي ينظرون إليه كديمقراطي وشمولي.⁷¹

منذ المجزرة، اعتنق الروانديون الإسلام في أعداد هائلة. يشكّل المسلمون الآن 8.2 مليون نسمة هنا في بلد إفريقيا الأكثر كاثوليكية. «لدينا جهادنا الخاص، وهو حربنا ضد الجهل... إنه صراعنا كي نشفى»، قال مفتي رواندا الأكبر⁷². في أثناء المجزرة، كان المسلمون بين القلة من الروانديين الذين حموا الجيران والغرباء؛ لكن الكنائس لم تكن آمنة⁷³.

يجب أن نتذكّر أن هذه ردود فعل سياسية، خلافات مع سياسات محددة. وفي غالب الأحيان، تعتبر خطأ رد فعل إسلامياً ضد القيم الغربية، مؤدية إلى رد مضاد للإسلام⁷⁴.

يثير موضوع المعاداة لأميركا بوضوح آراء واسعة ومتصارعة، في شرح علله وفي الدفاع عن علاجاته الممكنة في آن. وهذه المسألة تصبح بنحو متزايد مسيّسة. لأن كثيراً من وسائل الإعلام الجماهيرية تخلط بين التسلية والأخبار، وفي كثير من الأمثلة هناك القليل من الحافز لتقديم تحليلات معمّقة للأحداث مدعومة بفحص عميق للحقائق*. المخاطر كثيرة؛ لا يمكن أن تكون أخطر من ذلك. يحتاج جميع الأميركيين إلى الإطلاع على هذا الموضوع وتطوير قناعاتهم الخاصة.

* انظر ستيل وجميل، «هذه هي الغورنيكا الخاصة بنا»، الغارديان، نيسان 2005؛ وليم فيشر، «السرية، الدعاية تجتاح الولايات المتحدة»، في برس سيرفس، 3 أيار 2005؛ وبوب هربرت، «رفع حجاب الرقيب عن العار في العراق»، نيويورك تايمز، 5 أيار 2005.

الفصل الثالث عشر

المسلمون في الغرب

حصل ارتفاع حاد في كل من هجرة العرب والمسلمين إلى الغرب، مما أثار على معظم البلدان وأيضاً على مجتمعات الوطن؛ فالتوجه نحو الهجرة المتزايدة (عدا المملكة العربية السعودية والخليج) مستمر. ويتألف المسلمون والعرب - على أي حال - من سكان مختلفين بنحو كامل. فالإحصاءات عن هاتين المجموعتين متنوعة، والتقديرات عن أعدادهم في الولايات المتحدة وأوروبا تتنوع بنحو واسع.

العرب في الولايات المتحدة

هناك أكثر من ثلاثة ملايين شخص من أصل عربي في الولايات المتحدة أكثر من نصفهم (ربما 70%) هم مسيحيون، وما تبقى مسلمون¹. إن المسيحيين، وخاصة اللبنانيين والسوريين، قاموا بالبداية الموقّعة؛ بادئين بالهجرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين. وقد ولد نصف الأميركيين العرب الحاليين في الولايات المتحدة. أما العرب الذين وصلوا في أثناء الستينيات أو بعدها فمعظمهم مسلمون.

فيما يأتي كشف تفصيلي حول بلدان الأصل العربية وفق النسبة المئوية.

بلدان الأصل، الأميركيون العرب ²	
47%	لبنان
15%	سوريا
9%	مصر
6%	فلسطين
3%	العراق
2%	الأردن
8%	أخرى

يحمل 41% من الأميركيين العرب شهادات جامعية (بالمقارنة مع 24% من سكان الولايات المتحدة ككل).^{3,4*} ويعمل 72% في وظائف مهنية وإدارية وتقنية، و82% هم مواطنون. 46% من النساء الأمريكيات من أصل عربي يعملن (بالمقارنة مع 56% في البلاد ككل).⁵

تعي قلة من الأميركيين إسهام الأميركيين العرب في الولايات المتحدة، ربما لأن عددهم قليل. فالهدف الوحيد للجنة العربية الأميركية المضادة للتمييز هو العمل ضد تشويه صورة العرب في الولايات المتحدة.⁶

وفي استطلاع للرأي أجري في 2001 دعم 69% من الأميركيين العرب حرياً شاملة ضد البلدان التي تدعم أو تؤوي الإرهابيين.⁷ وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول، جمعوا النقود بسرعة كي يتبرعوا للصليب الأحمر وضحايا الهجمات. وكانت بعض التبرعات الملحوظة ما يلي: تبرعت الجمعية الطبية الأميركية العربية القومية بمبلغ مئة

* 64% من الذين هم من أصل مصري يحملون شهادات جامعية.

ألف دولار؛ وتبرعت جمعية أصحاب المصارف العرب بنفس المبلغ؛ وتبرّع الأميركيون العرب في ديربورن وميتشيغان بمبلغ 125,000 دولار؛ وتبرّعت الجمعية السورية اللبنانية بمبلغ 20,000 دولار وتبرعت الجماعات العربية في تكساس وفيلادلفيا بمبلغ 20,000 دولار وبمبلغ 15,000 على التعاقب⁸. ورعت الجمعيات الأميركية العربية أيضاً عمليات التبرّع بالدم والمسيرات والصلوات في كل أنحاء البلاد.

المسلمون في الولايات المتحدة وكندا

ازداد السكان المسلمون في الولايات المتحدة بنسبة 50% في الأعوام العشرة الأخيرة، والإسلام هو الآن الدين الثاني الأكثر شيوعاً في أميركا⁹. ويعيش أكثر من نصف المسلمين الأميركيين في كاليفورنيا ونيويورك وميتشيغان وإلينوي ونيوجرسي¹⁰. وفي عام 2002 كان هناك حوالي 3,000 مركز إسلامي ومسجد وأمكنة للصلاة صغيرة وكبيرة (بالمقارنة مثلاً مع 11,000 مكان للعبادة لشهود يهوه)¹¹. وقد ازداد الذهاب إلى المسجد 400% بين 1994 و2000¹².

من بين الخمسة ملايين مسلم في الولايات المتحدة* يشكل العرب 25% تقريباً (يشكل العرب 20% من العدد الكلي للمسلمين في العالم). إن 33% من المسلمين في الولايات المتحدة هم من أصل جنوب آسيوي (الهند، باكستان، بنغلادش)، و30% هم أميركيون سود، وحوالي

* هناك 750,000 مسلم في كندا.¹³

3% هم من أصل أوروبي شرقي أو غربي، والآخرين معظمهم إفريقيون أو آسيويون جنوبيون (إندونيسيا، ماليزيا)¹⁴. وقد خدم حوالي 12,000 مسلم في الجيش الأميركي¹⁵.

إن المهاجرين الأميركيين من أصل إسلامي شرق أوسطي هم أكثر غنى وتعليماً وأكثر ميلاً إلى الزواج وإنجاب الأبناء من المواطنين العاديين؛ ففي الولايات المتحدة 77% من المسلمين ناشطون في منظمات تساعد الفقراء والمرضى والكبار والمشردين. و69% ناشطون في منظمات جامعية وشبابية، و46% ينتمون إلى منظمات مهنية¹⁶. ويفضل 84% القوانين الأكثر صرامة لمنع الإرهاب¹⁷.

وقد أظهر استطلاع للرأي أجراه زغبي أن 79% من المسلمين الأميركيين سجلوا للتصويت وفضل 96% المشاركة في الحياة المدنية¹⁸.

ارتفعت غالبية المسلمين الأميركيين من الهجمات الإرهابية؛ ذلك أنهم يراهنون جميعاً على الرفاهية المستقبلية لأميركا. ويعتقد كثير من المسلمين أن غالبية التيار الرئيس بقيت صامته حيال التطرف والإرهاب مدة طويلة. وكان موضوع مؤتمر كانون الأول 2001، الذي عقده مجلس الشؤون العامة الإسلامي، هو «الصوت المرتفع للمسلمين المعتدلين»¹⁹.

عرّف المشرّعون المسلمون الإرهاب وشجبوه، وشرحوا الفرق بين الإرهاب والدفاع عن النفس. ويقرأ المرء باستمرار تعليقات من قبل المسلمين بعد الحوادث الإرهابية، مع عناوين على غرار: «هذا هو الإسلام»، و«الذين فعلوا هذا ليسوا مسلمين».

عُقد مؤتمر بعنوان «ردم الفجوة» في كانون الأول 2004، وقد رعاها المشروع العالمي الإسلامي الأميركي. وتم تشكيل مجموعة جديدة، الجماعة الإسلامية الأميركية السياسية، للتركيز على طرق تستطيع الجماعة المسلمة الأميركية أن تقدم بها المساعدة للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب وبناء جسور الثقة والتواصل في البلاد. يريد المهاجرون المسلمون أيضاً أن يلعبوا دوراً فاعلاً في المساعدة على تحسين صور الولايات المتحدة في العالم الإسلامي.²⁰

المسلمون في أوروبا

إن الإحصاءات عن عدد المسلمين في أوروبا غير محددة. يأتي المسلمون من بلدان متنوعة، ولا تهتم حكومات أوروبا العلمانية بالإحصاءات الدينية على عكس الولايات المتحدة؛ فضلاً عن ذلك، إن كثيراً من المسلمين موجودون في أوروبا بنحو غير قانوني وبالتالي هم غير محسوبين في أي استطلاعات للرأي أو تقديرات رسمية. إن الإسلام هو الدين الثاني الأكثر شيوعاً في أوروبا. وقد تضاعفت الجماعة الإسلامية في الأعوام العشرة الأخيرة، ويبلغ عددها الآن حوالي 15 إلى 20 مليوناً. 21 والكشف التفصيلي التقريبي للمسلمين في أوروبا الغربية موجود في المخطط التالي، والذي جمعته من مصادر عديدة مختلفة.

عدد المسلمين في أوروبا الغربية في سنة 2004 ^{23,30}	
340,000-300,000	النمسا
500,000-450,000	بلجيكا
170,000-160,000	الدنمارك
20,000	فنلندا
6000,000-5000,000	فرنسا
4,000,000-3,500,000	ألمانيا
300,000-250,000	اليونان
19,000	إيرلندا
1,000,000-600,000	إيطاليا
6000	اللوكسمبورغ
950,000-880,000	هولندا
75,000	النرويج
35,000	البرتغال
1,000,000-500,000	إسبانيا
400,000-350,000	السويد
310,000	سويسرا
1,600,000	المملكة المتحدة
450,000-300,000	أستراليا

إن المسلمين الأوروبيين الشرقيين هم سكان محليّون على عكس المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية؛ وقد اعتنق أسلافهم الإسلام حين كانت المنطقة جزءاً من الإمبراطورية العثمانية. تقدّم فيما يلي الإحصاءات حول المسلمين في أوروبا الشرقية.

عدد المسلمين في أوروبا الشرقية 2005 ³¹	
35,000	ألبانيا
35,000	بلدان البلطيق
80,000	بيلاروس
2,200,000	البوسنة
2,600,000	بلغاريا
400,000	كرواتيا
80,000	هنغاريا
2,000,000	كوسوفو
500,000	مقدونيا
25,000	مولدافيا
20,000	بولونيا
120,000	رومانيا
21,000,000	روسيا
800,000	صربيا
250,000	سلوفانيا
2,000,000	أوكرانيا
عدد المساجد والمراكز الإسلامية في أوروبا الغربية 2002 ^{32,34*}	
300	بلجيكا
60	الدنمرك
1500	فرنسا
141 مسجداً و2400 مركز إسلامي	ألمانيا
180	إيطاليا

* يمكن أن تشير هذه الأعداد إلى مساجد ضخمة ، ومراكز إسلامية ضخمة، أو مساجد صغيرة جداً.

450	هولندا
1000 مسجد ومركز إسلامي	المملكة المتحدة
100	أستراليا

إن أثينا هي عاصمة الاتحاد الأوروبي الوحيدة التي ليس فيها مسجد رسمي. وقد وعدت الحكومة أن تسمح ببناء واحد، ولكن المسألة بقيت دون حلّ لمدة عشر سنوات تقريباً؛ وكانت الجهة المعارضة الرئيسة هي الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية³⁵.

جاء مسلمو أوروبا الغربية من بلدان عربية وغير عربية. أما المسلمون في فرنسا فهم بنحو رئيس من شمال وغرب إفريقيا؛ وفي ألمانيا معظمهم من أصل تركي (3 مليون من أصل 3,5)؛ وفي المملكة المتحدة هم جنوب آسيويون. ويختلف الخليط قليلاً في كل بلد. تتلقى أوروبا أيضاً موجات من اللاجئين المسلمين دورياً؛ وهي متأثرة أكثر من الولايات المتحدة بعدم الاستقرار في البلدان الإسلامية.

هناك فروق حاسمة بين السكان المسلمين في أوروبا وفي الولايات المتحدة:

- مسلمو الولايات المتحدة جيدو التعليم ومهنيون وأغنياء. أما المسلمون في أوروبا فهم في الغالب غير متعلمين جيداً ويشكلون طبقة دنيا، ويعملون في أعمال وضيعة، وهم مهمشون غالباً.
- يُنظر إلى مسلمي الولايات المتحدة كمواطنين محتملين. أما في أوروبا، فإنه يُنظر إليهم في الغالب كمهاجرين أو «عمال ضيوف»، حتى بعد جيلين أو أكثر.

● معظم المسلمين في الولايات المتحدة متزوجون، ولديهم أولاد. أما المسلمون في أوروبا فهم غالباً غير متزوجين وغير ملتزمين ببلدهم المضيف. خطط كثير من المسلمين في أوروبا في البداية أن يبقوا مؤقتاً، ثم قرروا البقاء فيما بعد.

● مسلمو الولايات المتحدة هم أكثر انتشاراً على الصعيد الجغرافي من المسلمين في أي بلد أوروبي.

● ليس لدى مسلمي الولايات المتحدة نسبة عالية من الولادات. أما في أوروبا فإن نسبة الولادات أكبر بثلاث مرات مما هي عليه في البلدان المضيفة، مما يجعلهم دوماً نسبة مئوية أعلى من عدد السكان الكلي؛ وستضاعف أعدادهم على الأرجح في 2015³⁶.

إن نتيجة هذه الفروق هي أنه من المرجح أن ينظر الأوروبيون إلى المسلمين كتهديد أكثر مما هي الحالة بعامة في الولايات المتحدة³⁷. وقد جاء كثير من مسلمي أوروبا في الخمسينيات والستينيات حين كان هناك نقص حاد في عدد العمال؛ وكان معظمهم أتراكاً وجزائريين ومغاربة وباكستانيين. وقد استوطن معظمهم واستقروا فيما بعد مع عائلاتهم.

عقد القادة الأوروبيون في تشرين الثاني 2004 مؤتمر قمة كي يناقشوا مستوى المهاجرين القانونيين الذين هناك حاجة إليهم للتعويض عن النقص المستمر في العمالة المحلية وسكان أوروبا المكتهلين. وقال تقرير للاتحاد الأوروبي إن عدد السكان العاملين في كتلة الـ 25 دولة سينحدر من 303 مليون إلى 297 مليون في عام 2020، وإلى 280 مليون في عام 2030³⁸.

هناك اتجاهان من المحتمل أنهما يقويان المسلمين في أوروبا: نسبة الولادات المرتفعة وفرص الحصول على المواطنة. وقال أحد الباحثين: «من الجانب الإيجابي، إن النمو الديمغرافي ومنح حق الاقتراع يقومان مسبقاً بدمج المسلمين الأوروبيين في التيار السياسي السائد ويمتلكان القدرة على إنتاج نمط معتدل من الإسلام الأوربي»³⁹.

صورة العرب والمسلمين

يُصوّرُ كلُّ من العرب والمسلمين في الإعلام الأوربي على أنهم أثرياء بنحو مفرط، وغير عقلانيين وحسيين وعنيفين، وهناك القليل من المعلومات المضادة الموازنة عن الناس العاديين الذين يحيون حياة عمل وأسرة بميزان معتدل. يركّز الإعلام على تغطية الجانب السلبي وليس العادي بنحو حقيقي. وقد استمرت هذه الصورة المضللة لعقود في أميركا وأوروبا. ولم يحدث تفريق حقيقي بين العرب والمسلمين. فكلما حدثت عملية إرهابية يكون المعرضون للشبهة التي بلا أساس هم العرب والمسلمون الذين يعيشون في الغرب.

وبحسب الدكتورة إيفون حداد، المختصة بالإسلام في الغرب، يواجه المسلمون مشكلة صورة:

لقد تم تصعيد التمييز ضد المسلمين نتيجة لعداء متنام نحو الإسلام في الغرب، يدعى هذا أحياناً «رهاب الإسلام». وصار العامل الديني مهماً مؤخراً خاصة. والتنميط الذي جاء من تغطية الإعلام للحوادث الدولية يكون له عادة مضاعفات على المسلمين الذين يعيشون في جماعات أقلوية في الغرب. يصبحون بؤرة للانتباه والاقتصاص⁴⁰.

في أميركا

نوه مراقب منذ خمسة وعشرين عاماً: «يبقى العرب إحدى الجماعات الإثنية القليلة التي لا تزال يمكن أن تُقذف دون عقاب في الولايات المتحدة».⁴¹ ولسوء الحظ، لم يحدث إلا تحسّن قليل. ونستطيع أن نقرأ مقولة مشابهة من عام 2000: «إن العرب هم الصور النمطية العرقية الماكرة الوحيدة المقبولة في هوليوود»⁴² وفي العقد الماضي، صورت هوليوود العرب باستمرار كإرهابيين؛ والأمثلة هي أفلام مثل أكاذيب حقيقية والقرار التنفيذي. إن صور نمطية كهذه عديدة وموثقة جيداً.

واجه المسلمون منذ هجمات الحادي عشر من أيلول 2001، وخاصة في العام الأول، تمييزاً متزايداً، وتهديدات، وعنفاً وتخريباً للممتلكات. ومن 11 أيلول إلى 6 كانون الثاني، 2001، تلقت اللجنة الأميركية للفرص المتساوية في التوظيف أكثر من ضعف العدد من شكاوى التمييز ضد المسلمين في مكان العمل بالمقارنة مع العام الماضي (166 إزاء 64)⁴³. وفي عام 2000 أفادت الإف بي آي عن 33 جريمة كراهية ضد العرب عبر البلاد؛ وفي الشهر الرابع بعد 11 أيلول حقت السلطات في أكثر من 250 حادثة⁴⁴.

وفي 2004، أجري استطلاع للرأي رعاه مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية بيّن أن واحداً من بين كل أربعة أميركيين يحمل صوراً نمطية سلبية عن المسلمين⁴⁵.

ما يزال الناس في الجماعة الإسلامية يواجهون التهديدات، وتخريب الممتلكات وخاصة التمييز في الوظائف، ولكنهم يؤمنون بشدة أن مسببات كهذا تستند إلى الافتقار إلى المعلومات غير المتحيزة عنهم. وتحدث في بعض المساجد مناسبات استقبال مفتوحة، وثمة أنشطة جماعية واسعة في كل أنحاء البلاد. وتمتلك الجمعية الإسلامية لشمال أميركا موقعاً مهماً على الإنترنت. وتمتلك جماعة الشبكات الإسلامية مكتباً من الخطباء في كل أنحاء البلاد. من الخدمات الأخرى ربط الثقافات، إي إن سي.

في أوروبا وأستراليا

بالرغم من جهود الحكومات والقادة الأهلين، ما يزال العداء للمسلمين إشكالياً في بلدان الاتحاد الأوربي؛ ويواجه المسلمون هجمات لفظية وجسدية وتمييزاً في الوظائف والسكن⁴⁶. وقد تعاملت الحكومات الأوروبية مع الأقليات الإسلامية بطرق متنوعة: تعتبرهم مقيمين مؤقتين، محاولة استيعابهم، وتمنحهم المواطنة بينما تشجعهم على الحفاظ على هويتهم الثقافية.

الآن، وبعد عدة حوادث إرهابية (11 أيلول في أميركا، و11 آذار في مدريد - تفجير القطارات، وقتل ثيو فات كوخ في هولندا، وتفجيرات لندن في 2005) ثمة قلق متنام حيال العدد المتزايد من المهاجرين المسلمين، وهو موثق بنحو واسع، كما في هذه التقارير:

ثمة تعصب متنام حيال الجماعات الإسلامية في أوروبا... ثمة دليل على الصور النمطية والعداء ضد الجماعات المسلمة⁴⁷.

أفاد اتحاد هلسنكي الدولي لحقوق الإنسان أن هناك تشويهاً سلبياً في الإعلام بخصوص الدول الأوروبية الإحدى عشرة وُصِفَ في أحد تقاريره، 2005⁴⁸.

عُقد مؤتمر دولي شمل ممثلي اليونسكو، الجامعة العربية، ومجلس أوروبا في كانون الثاني 2004 واستنتج أن الثقافة الأوروبية تحتوي «على صور مشوهة جداً»، «ليس فقط عن العرب والمسلمين، وإنما أيضاً عن الثقافة العربية، والحضارة الإسلامية، وقبل كل شيء، عن الإسلام كدين»⁴⁹.

قوبلت الاقتراحات لبناء جامع جديد قوبلت بعريضة رفض واحتجاجات شوارعية في أنحاء القارة.⁵⁰

قامت شركة ألمانية (سي إف كي) وصحيفة وول ستريت جورنال باستطلاع رأي شمل 21,000 شخص في 19 دولة أوروبية في أيلول وتشرين الأول 2004. كانت النتائج محبطة: تحدت 52% من المشاركين في أوروبا الغربية عن المسلمين بشكل سلبي. كانت النسب الأعلى 75% في السويد و72% في هولندا. كان حوالي ثلثي الردود سلبياً في النمسا، وبلجيكا والدنمرك وألمانيا وسويسرا. كانت الردود الأقل سلبية في أوروبا الغربية في المملكة المتحدة، 39%. وفي تغاير حاد، تحدت 70% من المشاركين في أوروبا الشرقية عن المسلمين بشكل إيجابي⁵¹.

وقد أصدر مركز بو للأبحاث نتائج استطلاع عن المسلمين في هذه البلدان:

آراء بالمسلمين (نسب مئوية) ⁵²			
	محاوية قليلاً	محاوية جداً	غير محاوية
المملكة المتحدة	49	18	18
فرنسا	48	16	29
ألمانيا	36	5	46
روسيا	38	15	38
الولايات المتحدة	35	13	32

على عكس الولايات المتحدة، والتي هي دولة مهاجرين تخلو من مجموعة إثنية مهيمنة، يوجد في الدول الأوروبية سكان من الإثنية نفسها، بالإضافة إلى تقاليد لغوية ودينية وثقافية وتاريخية راسخة. ويوجد كثير من الأوروبيين العلمانيين تشديد المسلمين على الإسلام في حيواتهم صعب الفهم. (في استطلاع ندوة لمركز بو، قال 32% من الأوروبيين: إن دينهم مهم جداً لهم، بالمقارنة مع 59% في الولايات المتحدة. واكتشف استطلاع لجالوب أن نسبة الأوروبيين الذي يرون الدين مهماً هي 15% من السكان؛ في الولايات المتحدة كانت النسبة 44%)⁵³.

حدّد طارق رمضان، الباحث المشهور المقيم في سويسرا ستة موضوعات رئيسة يعتقد أن الجيل الشاب من المسلمين الأوروبيين يجب أن يعالجها: الإسلام والنظام العلماني؛ الهوية الإسلامية الأوروبية؛ الممارسة الدينية في أوروبا؛ الإسلام والقانون؛ المواطنة والمشاركة؛ وتشجيع

ثقافة إسلامية أوروبية⁵⁴. ومن المهم أنه هو أيضاً يؤكد أن تقسيم العالم في القرن التاسع إلى دار الإسلام ودار الحرب غير صالح، وعفا عليه الزمن، ولا يأخذ في الحسبان حقائق الحياة الحديثة⁵⁵.

فيما يلي أمثلة عن أكثر التعليقات عداء للإسلام في ثماني دول أوروبية وأستراليا. وبالرغم من أن كثيراً من الحكومات الأوروبية تبذل جهوداً كبيرة لدمج سكانها المسلمين، فإن الحوادث الإرهابية المتكررة تقود إلى المزيد من الخوف والدعوات إلى القيود. ويجب أن نذكر أيضاً أن بعض المسلمين في أوروبا قاموا بالقليل أو لم يبذلوا أي جهد من أجل التكيف. وعلى الأرجح سيتطور في جيل آخر شيء ما مثل «الإسلام الأوربي»؛ عندها سيكون معظم المسلمين قد ولدوا ونشأوا في أوروبا.

المملكة المتحدة. إن وجهات النظر السلبية عن المسلمين واسعة الانتشار في بريطانيا، بالرغم من أن الأمر ليس بهذا القدر في بقية أنحاء أوروبا. وقد أفادت البي بي سي في كانون الأول 2004 أن الباحثين اكتشفوا ارتفاعاً حاداً في التمييز ضد المسلمين في المملكة المتحدة، أكثر مما بينت المسوحات السابقة⁵⁶. ويقول آخر تقرير إحصائي بريطاني، «التركيز على الدين»: إن المسلمين هم الجماعة الأكثر فقراً في المملكة المتحدة. ففيها النسب العليا من البطالة وأسوأ أوضاع صحية بين أية جماعات دينية أخرى⁵⁷.

قال الأمين العام للمجلس الإسلامي البريطاني: «إننا نشهد ازدياداً مطرداً في العداء للإسلام والمسلمين البريطانيين، ومن الواضح أن مجالس العلاقات العرقية القائمة إما غير قادرة أو غير راغبة بمكافحة هذه الظاهرة بفعالية. إن رهاب الإسلام يتمأسس»⁵⁸.

حصل حادث خاص لسوء الحظ بعد تفجير أو كلاهوما سيتي في 1995. قامت معظم وسائل الإعلام العالمية بافتراضات فورية واتهمت المسلمين. وكان الخطأ الفاضح أكثر من غيره هو الذي ارتكبه الصحيفة البريطانية توداي والتي نشرت على صفحتها الأولى في 20 نيسان 1995 صورة لرجل إطفاء يحمل طفلاً ملطّخاً بالدم تحت عنوان: «باسم الإسلام»⁵⁹.

ألمانيا. يقول البعض في ألمانيا بمرارة: إن الحكومة والمجتمع اعتبرا دوماً المقيمين الأجانب «عمالاً ضيوفاً» حتى بعد كثير من الأعوام. ومال كثير من المسلمين إلى الانسحاب إلى غيتوات. وتطلب الحكومة الألمانية الآن أن يتعلم المهاجرون الجدد اللغة كرهاً بالإضافة إلى دروس في التمدن. وقال المستشار غيرهارد شرودر: «لا تستطيع الديمقراطية السماح بمناطق خارجة عن القانون أو مجتمعات موازية. يجب أن يحترم المهاجرون قوانيننا ويعترفوا بطرقنا الديمقراطية في إنجاز الأمور»⁶⁰.

في مسح جرى في سنة 2004، ربط أكثر من 80% من الألمان كلمة الإسلام «بالإرهاب»، و«اضطهاد المرأة»⁶¹.

وبين استطلاع آخر للرأي في 2004 أن الألمان يحملون وجهات نظر سلبية حول الإسلام، وتعتقد أغلبية كبيرة أن هناك «صراع حضارات»؛ وقد ازداد العدد بنحو ملحوظ بعد الهجوم الشيشاني على مدرسة في جنوب روسيا. «يجد الألمان الإسلام غريباً ومهدداً»، «قال رئيس وكالة ألينسباخ لاستطلاع الرأي»⁶².

بينما قال ثلثان من الذين سئلوا في مسح قامت به مؤسسة أديناور إنهم يعتقدون أن المسلمين في ألمانيا يجب أن يُسمح لهم بممارسة دينهم دون قيود، وقال 46% إنهم لا يعتقدون أن الإسلام والمسيحية يمثلان القيم نفسها⁶³.

فرنسا. تأسس المجلس الإسلامي الفرنسي في 2003 كي يعمل كرابط بين الجماعة الإسلامية والحكومة. يحتوي على خمسة وعشرين عضواً، ويرأسه إمام معتدل (رجل دين) من جامع باريس الكبير.

تتشأ في فرنسا مشكلات اجتماعية بسبب وجود الكثير من المسلمين، الذين يشكّلون الآن 10% من السكان. ونصف العاطلين عن العمل في فرنسا هم مسلمون⁶⁴. ويعيش كثيرون في مناطق بائسة فيها نسب عليا للجريمة.

يعتق المجتمع الفرنسي العلمانية رسمياً، والتي هي العلمانية التقليدية المفروضة بصرامة. وقد ذاع صيتُ القانون الفرنسي الذي منع ارتداء النساء للحجاب في المدارس، والذي سُنَّ في 2004. وبنحو مفاجئ، عنى هذا الحظر أيضاً أن بعض النساء غير قادرات على الزواج أو التصويت أو التقدم للامتحانات لأنه لا يُسمح لهنّ بارتداء الحجاب⁶⁵.

قررت الحكومة الفرنسية ترحيل الواعظين الإسلاميين الذين يناصرون قيماً لا تتسجم مع قيم أوروبا. يأمل الفرنسيون أن يشجّعوا رجال الدين المسلمين المدربين محلياً كي يقودوا جماعات المصلين المسلمين المولودين في أوروبا، معتقدين أنهم يعرفون كيف يعيدون تأويل الشريعة الإسلامية في بيئة حديثة.

يبتعد الموقف السياسي من الإسلام في فرنسا تدريجياً عن العداء للإسلام لسببين رئيسين: لا المساجد الرئيسة تشكل تهديداً للنظام العام كما كان يُخشى، ولم يتجسّد التطرف الإسلامي الداخلي إلى الدرجة المتوقّعة⁶⁶.

الدانمرك. تأسّس مركز المعلومات الإسلامي في الدانمرك كي يمثّل الجماعة الإسلامية ويدرس احتياجاتها ومشكلاتها وينسّق العلاقات مع الحكومة.

عقد اجتماع في شباط 2003 بين الاتحاد اللوثري العالمي والممثلين المسلمين بخصوص وضع المسلمين في الدانمرك. ركزوا على تجارب الجماعة نتيجة «لجدل سياسي قوي في الصحف الدانمركية حول حق المسلمين في العيش وممارسة دينهم في الدانمرك»⁶⁷.

أعلنت الحكومة تغييرات في قوانين الهجرة في شباط 2004، فإرضة قيوداً على دخول رجال الدين المسلمين الذين لا يفهمون غالباً وضع مسلمي أوروبا ويواجهون قوانين مختلفة عن تلك التي يواجهونها في بلدانهم الأصلية. وقال ناطق من المجلس الإسلامي الأوربي إن رجال دين كهؤلاء «يلطّخون صورة الإسلام»⁶⁸.

وفي كانون الثاني 2005 حكمت المحكمة العليا في الدانمرك أن سلسلة سوبرماركات لها الحق بفصل مسلمة شابة لارتدائها الحجاب في أثناء العمل⁶⁹.

هولندا. بذلت حكومة هولندا دوماً الجهود كي تكون متسامحة، وقدمت معونات مالية للمساجد والمدارس الإسلامية. ولكن جريمة قتل ثيو فان كوخ (الذي أخرج فيلماً ينتقد معاملة الإسلام للنساء) في 2 تشرين الثاني 2004، كانت لها مضاعفات خطيرة؛ بعد ذلك، قال 47% من الشعب الهولندي إنهم يشعرون بأنهم أقل تسامحاً حيال المسلمين. أُحرقت المساجد وانفجرت القنابل في المدارس الإسلامية⁷⁰.

دعا قائد حزب من أقصى اليمين إلى تدريس الأئمة المسلمين الفصل بين الدين والدولة واقترح تفضيل الأئمة المولودين في هولندا في المناصب الدينية، مفترضاً أنهم سيكونون أقل تشدداً من القادمين من البلدان الإسلامية⁷¹.

بحلول 2020، من المتوقع أن أمستردام وروتردام سيكون فيهما 50% من السكان غير الغربيين، ومعظمهم مسلمون. ويدعو بعض اليمينيين في البرلمان إلى تعليق للهجرة لمدة خمس سنوات لغير الغربيين. وقد أشار سياسي من أقصى اليمين إلى المساجد قائلاً «إنها منازل للإرهاب وللتطوع» للجهاد⁷².

لا يتفق مع هذا كثير من الهولنديين ويرونه عنصرياً. واقتبس كلام مدير مدرسة ابتدائية في مدرسة فيها 40% من الطلاب الأجانب قال: «أفهم المشكلة العاطفية التي يواجهها الناس حيال الهجرة ولكنني أعتقد أننا نتخذ خطوات تقودنا إلى الورا»⁷³.

بلجيكا: أصدر ملك بلجيكا ألبيرت مرسوماً ملكياً في 2003، يعترف فيه بالهيئة التنفيذية لمجلس مسلمي بلجيكا، منهيماً أربعة أعوام من الجدل. يركّز المجلس بنحو رئيس على مكافحة التمييز ضد المسلمين في المدارس وأمكنة العمل. وحين سُئل ناطق باسم المسلمين البلجيكين إن كان من المحتمل أن تصدر الحكومة البلجيكية أيضاً قانوناً يحظر الحجاب في المدارس، قال إن هذا غير مرجح، بما أن العلمانية في فرنسا أكثر قوة منها في بلجيكا، بالرغم من التشابه الوثيق بين ثقافتَي البلدين⁴⁷. وقد وجهت المحكمة العليا في بلجيكا ضربة لأحد أكثر أحزاب أوروبا معاداة للهجرة نجاحاً معلنة أنه عنصرى. سيُشكّل حزب جديد لطرد المهاجرين غير الأوروبيين من بلجيكا إذا لم يتبنوا «القواعد والقيم الغربية»⁷⁵ للبلاد.

إسبانيا. بالنسبة لإسبان، يمتلك 11 آذار دلالة على غرار 11 أيلول بالنسبة للأميركيين. ففي 11 آذار، 2004، فجر الإرهابيون محطة قطار في مدريد، قاتلين 191 وجارحين 1000 شخص. ومنذ هجوم مدريد، حمل الإسبان منظوراً أكثر سلبية حول المسلمين في بلادهم⁷⁶.

قال أحد القادة المسلمين، رئيس رابطة العمال المغاربة: «انظر، هناك بلدان اسمهما إسبانيا، واحد قبل 11 آذار والآخر بعد 11 آذار»⁷⁷. في الذكرى الأولى للحدث، أصدرت مجموعة من رجال الدين المسلمين البارزين في اللجنة الإسلامية الأسبانية فتوى ضد ابن لادن، سمته المرتدّ وحثت المسلمين على شجبه.

ووعد رئيس الوزراء الإسباني خوسيه ثاباتيرو بتطوير سياسة مجددة ضد الإرهاب وإظهار التزام أكبر بدمج المهاجرين⁷⁸. وذكرت الفتوى حاجة المسلمين إلى أن يكونوا أكثر رغبة بالاندماج كي ينضموا إلى المؤسسات الاجتماعية والديمقراطية في أسبانيا.

إيطاليا. كما نما السكان المسلمون في إيطاليا، نمت أيضاً الأصوات الإسلامية معبرة عن الرغبة في الاندماج في المجتمع المضيف. يتمسك بعض المسلمين بصرامة بطرق البلاد القديمة، بينما يبتكر آخرون ثقافة مهجنة من التسامح والتجريب. وقد قال ستيفانو أليفي، الباحث في الإسلام في جامعة بادوفا: إن الاتصال مع المجتمع الإيطالي حث المسلمين الشبان على استقصاء تقاليدهم القديمة والتشكيك بها. وقال: إن مقارنة جديدة للدين تبرز. وأضاف: «في الشرق الأوسط، يملئ التراث الممارسات الإسلامية. أما هنا، فالسياق أكثر فردية»⁴⁹.

واقترح رجل الدين البارز الكاردينال بيافازي قانوناً لا يسمح إلا للمسيحيين بالهجرة إلى إيطاليا. ويخطط رئيس مجلس الشيوخ لدعمه⁸⁰.

ودعا كبير أساقفة بولونيا (مدينة في شمال إيطاليا) إلى إغلاق المساجد في البلاد وإنهاء هجرة المسلمين، الذين هم، كما يعتقد، «خارج الإنسانية»⁸¹.

إن كتاب الغضب والعجرفة هو كراسٍ موسّع مثير للجدل تتهم فيه الصحفية الإيطالية أوريانا فالاسي جميع مسلمي العالم بأنهم متواطئون مع الإرهاب وبأنهم أتباع دين فاسد وهمجي. تقول فالاسي: «إنهم يتناسلون كالجرذان». لكن ناقداً فرنسياً ردّ عليها قائلاً: «والعجيب أن هذا الكتاب باع مليون نسخة في إيطاليا في عهد برلسكوني دون أن يسبب أي استياء»⁸².

أستراليا. ازداد السكان المسلمون في أستراليا بنسبة 40% منذ 1996. أعلنت الحكومة مؤخراً عن برنامج شراكة مع الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية⁸³.

قال صحفي مسلم بعد مؤتمر في تموز 2003: إن الحكومة الأسترالية والإعلام واصلا الحفاظ على جو من «الخوف والازدراء» للمسلمين، مهئين المسرح لردود الفعل من قبل المسلمين ضد عقلية حصار، لن تخدم إلا في جعل أوضاع المسلمين في أستراليا أكثر سوءاً⁸⁴.

نشر تقرير لجنة الفرص المتساوية وحقوق الإنسان في منتصف 2004. وقد طوّر عبر 69 استشارة في أستراليا في مدة 14 شهراً، ويصف التقرير كمية الآراء المسبقة ضد الأستراليين العرب والمسلمين: «في كل أرجاء البلاد هناك ازدياد في مستوى العداء للمسلمين، العداء للعرب والعداء للنمط المختلف»، وقال المفوض العام: «وقد وازن هذا كثير من القصص الإيجابية عن اللطف البسيط، الجيران الداعمين وإصدار الدعوات... وعلى مستوى الأساسي هناك الكثير من المؤسسات التي تقدم صورة إيجابية مختلفة»⁸⁵.

وفي كانون الأول 2004 أدين اثنان من القساوسة المسيحيين بتهمة «تشويه سمعة المسلمين»⁸⁶.

خاتمة:

اقترح الباحث طارق رمضان* «طريقاً ثالثاً» يروق لكثير من الشبان المسلمين. المسألة هي «كيف يمكن أن تكون مسلماً بنحو كامل وغريباً بنحو كامل في آن واحد». قال: «يقتضي ولاء المرء لدينه وضميره ولاء قوياً وصادقاً لبلاده: الشريعة تتطلب مواطناً شريفاً»⁸⁷. في كتابه المسلمون الغربيون ومستقبل الإسلام، يقول رمضان:

نعيش حالياً ثورة صامتة حقيقية في الجماعات الإسلامية في الغرب: ذلك أن عدداً متزايداً من الشبان والمفكرين يبحثون بنشاط عن طريقة للعيش بانسجام مع دينهم فيما يشاركون في المجتمعات التي هي مجتمعاتهم، سواء أحبوا أم لا. إن المسلمين الفرنسيين والإنكليز والألمان والكنديين والأميركيين، رجالاً ونساءً، يبنون «شخصية إسلامية» ستفاجئ قريباً كثيراً من مواطنيهم. بعيداً عن انتباه الإعلام، مارين في عملية نضج بطيئة سيرسمون شكل الإسلام الأوربي والأميركي: مخلصين لمبادئ الإسلام، معتنقين للثقافة الأوربية والأميركية، ومتأصلين بالتحديد في المجتمعات الغربية. ستحدث هذه الحركة الأساسية (القاعدية) قريباً تأثيراً معتبراً في الإسلام في كافة أنحاء العالم⁸⁸.

* منع طارق رمضان من الدخول إلى الولايات المتحدة في تموز 2004.

دعا بعض المحافظين الجدد الأميركيين إلى تحديث الإسلام، كي يصير «إسلاماً أميركياً ملتزماً بالقيم الأميركية». هذا يعبر عن أمل لصياغة الإسلام كي يناسب المصالح الأميركية: كل شيء من تشجيع تحديث الإسلام من خلال توجيه رسالة إلى «أعداد ضخمة من المسلمين المغتربين»⁸⁹. إلى تزيين بيلى جراهام «كمسلم. جرب هذا في الماضي، عدة مرات، من الخارج (من خلال السي آي إي)؛ ولكنه فشل فشلاً ذريعاً». إذا صاغ المرء منهجاً عملياً عاماً حول كيف يؤثر التدخل الأميركي في الإسلام، سيكون الجواب: بنحو سيء جداً.

أعتقد أنه إذا تطوّر الإسلام الأوربي، وقام المسلمون بهذه الإصلاحات من الداخل، يمكن أن يعتبر الأمر نموذجاً لمسلمي أميركا. وتعمل مجموعة من المسلمين في نيويورك لتعزيز المساواة بين الجنسين، بنحو أقرب إلى المثال الغربي. يقولون إن اللامساواة ليست من مبادئ الإسلام وإنما علامة على تقليد مضلل. وقد قادت امرأة صلاة الجماعة، وصادق على هذا باحث مهم في الشريعة الإسلامية⁹¹.

يوصل عدد العرب والمسلمين نموّه في الغرب. وما من شك أنه يجب على المسلمين أن يعملوا على أن يصبحوا أكثر اندماجاً في مجتمعات البلدان التي يعيشون فيها. عليهم أن يندمجوا بهدوء أو سيقون على الهامش بنحو غير محدد.

هناك اهتمام محمود في الولايات المتحدة باللغة العربية ما يزال ينمو، والسبب في ذلك هو أحداث 9\11. وقد بلغ التسجيل لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية والشرق أوسطية أكثر من ثلاثة أضعاف. صار جميع الغربيين يدركون أن الشرق الأوسط مسألة ستكون مهمة لحياتهم وللمجتمعات الغربية في المستقبل.



الفصل الرابع عشر

البلدان العربية

التشابهات والفروق

إن التعميم عن العرب هو على غرار التعميم عن الأوروبيين: إنهم يمتلكون صفات كثيرة مشتركة، ولكن الخلافات الإقليمية حادة. فالعرب أكثر تشابهاً من الأوروبيين؛ لأن لغتهم واحدة ويؤمنون بأنهم وحدة ثقافية، وأمة عربية واحدة وهذا أكثر أهمية. وتروق القومية العربية على نطاق واسع، بالرغم من التحالفات السياسية المتبدلة.

تكشف السمات القومية والاجتماعية والثقافية التي سنصفها فيما يلي بنحو موجز عن بعض الفروق البارزة بين مجموعات قومية عربية متنوعة. والفرق الوحيد الأكثر أهمية الذي يؤثر على الأجانب هو الفرق بين نزعة المحافظة في المملكة العربية السعودية (والى حد ما، ما تبقى من شبه الجزيرة العربية) وبين طرق الحياة الليبرالية أو المتسامحة في أمكنة أخرى.

هناك فروق درامية بين البلدان العربية: بعضها فاحشة الثراء، وبعضها الآخر في فقر مدقع. نسمع أن العرب مغمورون بالنفط، ولكن في الحقيقة، إن دخل معظم البلدان العربية أقل بكثير من دخل الدول ذات الاقتصاد المتطور. يمكن أن ترى الرفاهية النسبية من دخل الفرد في 2003:

دخل الفرد^{1,5}

(2003 بالدولار)	
1,890	الجزائر
11,260	البحرين
1,390	مصر
800 (422 دولار في 1980، 2005 في 1980)	العراق
1,850	الأردن
16,340	الكويت
4,040	لبنان
6,400	ليبيا
1,320	المغرب
7,830	عمان
30,000+	قطر
8,530	المملكة العربية السعودية
460	السودان
1,160	سوريا
2,240	تونس
19,755	الإمارات العربية المتحدة
250	اليمن

إن الدول العربية التي نتحدث عنها مسجلة من الغرب إلى الشرق،
ومن الشمال إلى الجنوب.

المغرب العربي

المغرب مصطلح يُستخدم للإشارة إلى شمال إفريقيا كلها (الصفة هي مغربي)؛ والكلمة أصلها عربي وتعني «المغرب العربي». تهمنا هنا أربع دول هي: المغرب والجزائر وتونس وليبيا.

سُكنت هذه المنطقة من قبل البربر لألفية (منذ على الأقل 3000 قبل الميلاد)، واليوم إن اللغة البربرية هي اللغة الأم لاثني عشر مليوناً في المغرب، وكثير منهم ثنائيو اللغة في العربية. إن القومية البربرية تنمو وستكون عاملاً سياسياً واجتماعياً مهماً في المستقبل. وعدد المتحدثين في كل بلد هو كالتالي:

عدد الناطقين باللغة البربرية^{6,7}

7,5 مليون	المغرب
4 مليون	الجزائر
26,000	تونس
162,000	ليبيا

هناك أيضاً أعداد كبيرة من الناطقين بالبربرية في مالي والنيجر.

إن اللهجات العربية الإقليمية في المغرب مميزة وغير مفهومة تقريباً بالنسبة للعرب الشرقيين؛ وهي تشكّل مجموعة لهجات فرعية منفصلة تدعى «العربية الغربية». وللمغرب أطعمته الخاصة، وأسلوبه في الفن والعمارة والموسيقا واللباس التقليدي.

المغرب

تأثر المغرب، الذي يسود فيه النظام الملكي، بقوة بقره من أوروبا واستعماره من قبل فرنسا إلى أن حقق استقلاله في 1956. يتحدث المتعلمون المغاربة العربية والفرنسية، وبالرغم من قيام حملة للمغربية ما تزال هناك حاجة إلى الفرنسية من أجل معظم التقدم المهني والاجتماعي. وتسود اللغة الأسبانية على نطاق واسع في شمال المغرب، ويتحدث عدد متنام من المغاربة، وخاصة الشبان ذوو المصالح التجارية، الإنكليزية.

وبالرغم من أن قلة من المغاربة هم من أصل عربي، فإن معظمهم ينحدرون من سلالة بربرية* محلية، تختلف عن الأغلبية العربية. البربرية في أنهم يتحدثون البربرية كلغة أصلية لهم ويحددون أنفسهم كبربر أولاً. وبسبب الضغط المتزايد من البربر، فإن اللغة تُسمع الآن في الإذاعة المغربية، وتم وضع أبجدية، وبدأت الصحف والمجلات بالظهور. وفي 2001 أنشأ الملك المؤسسة الملكية للثقافة البربرية. وقد دُرست البربرية في عدد من المدارس الابتدائية للمرة الأولى في آب، 2004¹، وسيكون تدريس وتعلم البربرية إجبارياً لجميع المغاربة في جميع المدارس، على جميع المستويات، في غضون عشر سنوات².

* البربر قبائل من العرق القوقازي منتشرة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا. من أكبرها وأهمها قبيلة مضمودة وقبيلة صنهاجة وقبيلة زناتة. وقد أسلم البربر في أوائل القرن الثامن للميلاد، ولعبوا دوراً بارزاً في التاريخ الإسلامي، وتُعتبر لغة البربر فرعاً من أسرة اللغات الآسيوية الإفريقية. (المترجم).

ويعيش البربر بنحو رئيس في الأراضي المرتفعة الداخلية لجبال أطلس* . هناك أيضاً كثير من المغاربة هم من أصل تحصراوي** إفريقي وخاصة في الجزء الجنوبي من البلاد.

يعود أصل العائلة الملكية إلى سلالة النبي محمد . فالملك حسن الثاني حكم لمدة 38 سنة قبل وفاته في تموز 1999؛ ويحكم الآن ولده الملك محمد الرابع، وهو يبذل جهوداً من أجل تطبيق الليبرالية السياسية. ولكن هذا التوجه معرض للخطر، على أي حال، لأن المغرب أيضاً حافظ على تراث من الاعتدال السياسي، فإن أعداداً كبيرة من الأجيال الأصغر، خاصة، تميل الآن إلى الإسلام المتطرف وتلعب دوراً أكبر في الجماعات الإسلامية المتطرفة. وقد تم تفجير عدة مواقع في الدار البيضاء في أيار 2003، في أمكنة تستهوي الغربيين³.

وفي تشرين الأول 2004 اعتقلت الحكومة المغربية 2100 إسلامي متطرف وتتعاون بنحو وثيق في ملاحقة الإسلاميين المتطرفين؛ على أي حال، إن الأحزاب والتنظيمات السياسية الإسلامية المتطرفة تصبح مؤثرة بنحو متزايد⁴.

يرى المغرب نفسه كمعتدل ومؤيد للغرب. وقد كان أول بلد إفريقي وقّع اتفاقية للتجارة حرة مع الولايات المتحدة وقد حُكم بأنه مؤهل لتلقي المساعدة من حساب تحدي الألفية Millennium Challenge Account. وقد قام الملك بإصلاحات درامية في السياسة وحقوق الإنسان⁵.

* سلسلة جبال في الجزء الشمالي الغربي من إفريقيا. يبلغ طولها حوالي 2000 كيلومتر، ويبلغ أقصى ارتفاعها نحواً من 4,164 متراً (المترجم).

** دال على ذلك الجزء من إفريقيا الواقع جنوب الصحراء الكبرى (المترجم).

هناك ثلاث طبقات اجتماعية متميِّزة: العائلة الملكية والنخبة القليلة المتعلمة، وطبقة وسطى متنامية مؤلفة من التجار والمهنيين، وطبقة دنيا تشمل أكثر من نصف السكان. ويقدر عدد السكان باثنين وثلاثين مليون نسمة في 2005، بنسبة نمو هي من بين الأعلى في العالم. 34% من المغاربة هم تحت سن الخامسة عشرة.

القبيلية مهمة في المغرب، وخاصة في المناطق الريفية. وتبقى الزراعة التقليدية مهنة حوالي نصف السكان. ومنذ التوجّه نحو التمدّن، الذي بدأ في أوائل القرن العشرين، نمت المدن بسرعة (الأكبر هي الدار البيضاء بعدد سكان يقدر بين 3,5 و 5 مليون)، مما أدى إلى نقص في السكن وتوسّع أحياء الفقير بكثير من الفقراء والمدنيين العاطلين عن العمل. وفي 2002 صار 56% من السكان يعيشون في مناطق مدينية (بالمقارنة مع 38% في 1975)، ويهاجر حوالي 40,000 مغربي إلى الخارج كل عام بسبب نسبة بطالة تبلغ 20 إلى 30%.⁶ وبسبب هذا، يعمل حوالي 1.7 مليون مغربي خارج البلاد، خاصة في فرنسا وإسبانيا.

ازداد التعليم بنحو كبير في المغرب منذ الاستقلال، وارتفعت معرفة القراءة والكتابة من 15% في 1978 إلى 51% في 2002. وتُدْرَسُ العربية والفرنسية في المدارس، بالرغم من أن العربية وحدها هي اللغة الرسمية. 79% من الأطفال المؤهلين يسجلون في المدارس الابتدائية، و38% هم في المدارس الثانوية.

وصارت النساء المتعلّقات في المغرب يدخلن حقل العمل منذ جيل، وخاصة في المناطق المدنية. نصف الطلاب في الجامعات هم نساء؛ و20% من القضاة في المغرب نساء⁷. وبالرغم من أن النساء المغربيات الأكبر والأكثر محافظة يواصلن ارتداء الحجاب فإن معظم النساء لا يفعلن ذلك، ولا يلبسن دوماً العباءة الطويلة التقليدية. وقد تحسّنت قوانين الوصاية على الأطفال في البداية في 1994.

في كانون الثاني، 2004، عدّلت الحكومة قوانينها الخاصة بالأسرة كي تمنح الزوجات مسؤوليات مشتركة في شؤون الأسرة، وتسمح لهن بطلب الطلاق، والحصول على الوصاية على الأطفال، والمطالبة بحصة مساوية من البضائع المكتسبة في أثناء الزواج. رفعت القوانين أيضاً الحد الأدنى لسن الزواج للفتيات من 15 إلى 18 وحدت تعدد الزوجات⁸. وبالرغم من أن جميع الأحزاب السياسية في الحقيقة ناصرت القانون المعدل الذي يقر «بالمساواة في الحقوق والواجبات» بين الرجال والنساء، فإن الجدل ما يزال يزعج تعديلات الحقوق القانونية للنساء⁹. ففي آذار من عام 2000 خرج 400,000 شخص إلى الشوارع استجابة لاقتراح حول الموضوع: كان النصف معه، والنصف الآخر ضده¹⁰.

وبالرغم من أن 99% من المغاربة مسلمون، فإن الأديان الأخرى مورست بحرية على الدوام هناك. فنصف يهود العالم العربي يستقرون في المغرب، ويقدر عددهم من 4000 إلى 7000 (من أصل 35,000 في الخمسينيات)¹¹. أما مسيحيو المغرب الذين يبلغ عددهم سبعين ألفاً فهم من أصل أوروبي. وتختلط ممارسة الإسلام في غالب الأحيان بممارسات أناس محليين، كمثّل تبجيل أضرحة القديسين وصروحهم. والأخويات الدينية الصوفية، بنحو رئيس، شائعة أيضاً.

يعتمد الاقتصاد المغربي على الزراعة والسياحة والفسفات (المغرب أكبر مصدر للفسفات في العالم). وحوالي 40% من القوة العاملة موظفة في الزراعة والصيد. وأصبحت صناعة النسيج مهمة بنحو متزايد، وقد ازداد عدد عمال النسيج ثلاثة أضعاف منذ الثمانينيات¹². ويبلغ قطاع النسيج حوالي 42% من الوظائف في المغرب (فوق 60% في بعض المناطق)¹³.

إن المغاربة ودودون ومضيافون ويهتمون عادة بالتعرف على الأجانب. وتتعامل النخبة بارتياح مع الأجانب بسبب تأثرها بالثقافتين الأوروبية والفرنسية. وهناك على الأقل ثلاثة برامج للدراسة في الخارج للشبان الأميركيين لتعلم العربية في المغرب.

الجزائر

الجزائر دولة اشتراكية ثورية يُشدد فيها كثيراً على التعريب، جزئياً كرد فعل على تجربة الجزائريين مع الاستعمار الفرنسي وحربهم الطويلة المؤلمة. تحقق الاستقلال في عام 1962، بكلفة باهظة: قُتل مليون جزائري و28,000 فرنسي¹. وبالرغم من حقيقة أن العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، فإن الفرنسية ما تزال تستخدم على نطاق واسع، وخاصة لأهداف مهنية. وتُعلم اللغتان في المدارس، والواقع أن الجزائريين الأصغر يريدون اللغة العربية الفصحى المكتوبة.

إن القومية العربية قوية، تشجعها الحملات السياسية للحكومة، والإعلام، والمناهج الدراسية. وتمرّ الجزائر الآن في أزمة سياسية وإنسانية تبعث على اليأس، وقد تواصلت الحرب المفتوحة لسنوات

بين الحكومة وعدد كبير من الناشطين الإسلاميين المتطرفين، وأكبر تنظيم هو جبهة الإنقاذ، التي اعترفت بها رسمياً من قبل الحكومة في سنة 1989. وفي سنة 1990 فاز مرشحو جبهة الإنقاذ الإسلامي في الانتخابات البلدية والحاكمية (54% من الأصوات)، ولكن الحكومة ألغت الانتخابات في كانون الثاني 1992 وحظرت التنظيم خشية انتصاره الكلي وما يزال محظوراً إلى الآن. نتيجة لذلك، وفي أثناء التسعينيات، دخلت الجزائر في دورة متصاعدة من العنف، والذي كان كثير منه عشوائياً؛ كان يُقتل أحياناً من 300 إلى 400 شخص في الأسبوع. وفي النهاية وصل الرقم إلى 150,000². إن عمليات القتل هذه جوبهت برد حكومي قاس. ولأن 120 أجنبياً قُتلوا في التسعينيات، فإن معظم الأجانب تقريباً غادروا البلاد. وما يزال السكان يعيشون مستقطبين بين الجماعات الإسلامية والعلمانية، وبين المتطرفين والمعتدلين.

إن معظم الجزائريين تقريباً هم من أصل إثني بربري، ولكن حوالي 69% يعتبرون أنفسهم عرباً و30% يعتبرون أنفسهم بربراً. اللغة العربية هي اللغة المحلية لـ 80% من الشعب؛ أما الآخرون فيتحدثون البربرية أو ثائيو اللغة. وتتألف الطبقات الاجتماعية في الجزائر من نخبة مهنية تكنوقراطية صغيرة، وطبقة وسطى متنامية، وعدد كبير من الفقراء. ونتج عن حرب الاستقلال الطويلة نزوح كبير من أراضي الأسلاف والجماعات الاجتماعية، سيُشعر بنتائجها السيكولوجية لوقت طويل جداً.

إن الجزائر ضخمة، أكبر من ولاية تكساس بأربع مرات، ولكن 85% منها يقع في منطقة صحراوية، و فقط 3% منها ملائم للزراعة، على طول الساحل الشمالي المعتدل. يبلغ عدد سكان الجزائر 32 مليون نسمة، نسبة نموها من أعلى النسب في العالم؛ 70% من سكانها تحت سن الثلاثين³. المدارس تعمل في مناوبات، تسهيلات الرعاية الصحية ومقدموها لا يكفون، ويبعث الوضع السكني على اليأس بحيث إن بعض العائلات الفقيرة تنام حتى بالتناوب. ومن المتوقع أن يصل عدد السكان إلى 52 مليون في 2025، وهو ازدياد بلغ خمسة أضعاف منذ 1950⁴.

وفي 2004، كان حوالي مليوني جزائري يعملون خارج البلاد، 700,000 منهم في فرنسا⁵. وبالرغم من أن البطالة في المدن هي 30%، يواصل الناس الانتقال من الجنوب القليل السكان إلى المدن الشمالية المكتظة باحثين عن العمل.

إن الجزائر هي أكبر منتج للغاز الطبيعي المميع في العالم وتحصل على دخل إضافي من النفط والتعدين والزراعة، ولكنها تظل فقيرة بسبب النمو السكاني السريع. وبالرغم من جهود الحكومة لتنويع الاقتصاد وتصنيعه (95% من الكسب الخارجي هو من النفط والغاز)، فإن الجزائر التي أنتجت 73% من طعامها الخاص في 1969، صارت تستورد 75% من طعامها في 2004⁶.

حين حصلت الجزائر على استقلالها في سنة 1962، كان هناك قلة من الجزائريين المدربين جيداً، واستغرق الأمر جيلين للانتعاش بسبب فقدان الطبقة الإدارية الفرنسية. ولكن الآن، على أي حال، يدخل عدد

متنام من الجزائريين المتعلمين جيداً الميادين المهنية والتقنية. وبالرغم من أن نصف المتخرجين الجزائريين تقريباً من الجامعات هم من النساء فإنهن لا يشكّلن سوى 12% من القوة العاملة، والسبب الممكن لهذا هو أن نسبة البطالة العالية لا تعمل لصالحهن.

إن الأسرة والعادات الاجتماعية محافظة، وترتدي المزيد من النساء الحجاب في الجزائر أكثر من البلدان الشمال إفريقية الأخرى. وقد شاركت النساء الجزائريات بنشاط في أثناء الصراع من أجل الاستقلال، وهكذا شعرت كثيرات منهن بالتعرض للخيانة حين سنّت الحكومة في سنة 1984 قوانين الأسرة، التي تحدّ من حقوق النساء. سيُصلح هذا في الحال (البعض يدعو إلى استفتاء). ستقيّد الإصلاحات أوضاعيات الرجال من أجل الطلاق، وتمنح دعماً مالياً للمطلقات، وتجعل تعدّد الزوجات صعباً. وقد جعل الرئيس بوتفليقة هذا أولوية في الانتخابات الأخيرة في نيسان، 2004⁷.

الجزائريون يتكيفون ولكنهم متحفّظون. وبالرغم من أن الإسلام المتطرّف حوّل بعض الناس ضد الغرب، فإن الكثير من الشبان مستعدون للصدّاقة مع الغربيين حين يزورون البلاد.

تونس

تونس صغيرة ولكنها متنوّعة وحصلت على استقلالها من فرنسا في سنة 1956. منذ ذلك الوقت، حكمها حزب علماني واحد. أزيح الرئيس حبيب بورقيبة، الذي قاد البلاد إلى الاستقلال، في 1987؛

وخلفه الرئيس زين العابدين بن علي. ولأن التونسيين كانوا دوماً على صلة معتبرة مع الأجانب، فإن مجتمعهم كوزمبوليتي، على الأقل في جميع المدن، وكثير من التونسيين متمرسون بالأسفار.

ينحدر التونسيون من نسل عربي وبربري، ولكنهم يتحدثون العربية جميعاً، وهي اللغة الرسمية. المتعلمون ثنائيو اللغة، يتحدثون العربية والفرنسية، ويتحدث كثير من أشباه المتعلمين قليلاً من الفرنسية. تُدرّس الفرنسية في المدارس إلى جانب العربية، ولكن يوجد حالياً حملة تعريب في التعليم.

ونظراً لأن الحكومة التونسية تشجّع التجارة الحرة فإن حوالي 60% من الناس هم طبقة عليا ووسطى. فتونس هي البلد الأكثر تقدماً في العالم العربي من ناحية الحقوق المتساوية، وتخطيط العائلة، والتعليم، والرعاية الصحية، وتُعد نموذجاً للنجاح في الإصلاح الاقتصادي. وفي الوقت نفسه، تعرّضت الحكومة التونسية لنقد لاذع كمنتهكة لحقوق الإنسان، بما أنها تتعامل بقسوة مع منتقديها ولا تسمح بالمعارضة السياسية¹. إن الحكومة قلقة من التهديد المتنامي للإسلام المتطرف وهي مشاركة بارزة مع دول أخرى في الحملة ضد التطرف.

يعتمد الاقتصاد التونسي بنحو رئيس على صناعة السياحة الضخمة التي تؤمن 35% من الدخل السنوي. يعمل حوالي ثلث السكان الذين يبلغ عددهم عشرة ملايين نسمة في الزراعة، التي تنتج

12% من دخل البلاد. تقوم الدولة بتشجيع التنويع والصناعة الخفيفة، التي أصبحت بسرعة مصدراً مهماً للتوظيف؛ وفي سنة 2001 ولّدت الصناعة الخفيفة حوالي 30% من الدخل القومي. ويذهب أكثر من ثلاثة أرباع صادرات تونس إلى أوروبا، وحوالي النسبة نفسها من وارداتها هي من أوروبا³. وبالرغم من أن الحكومة أنشأت تعاونيات زراعية وبدأ الإنتاج يرتفع فإن الناس ما يزالون ينتقلون إلى المدن، حيث ينضمون إلى فقراء المدن، ويعيشون في أماكن مكتظة. ويعمل حوالي 610,000 تونسي خارج البلاد، وخاصة في فرنسا وليبيا.

تخصص الحكومة التونسية أكثر من 20% من ميزانيتها القائمة للتعليم الابتدائي والثانوي، وهو رقم بين الأعلى في العالم. وفي سنة 2001، كان 92-99 من الأطفال المؤهلين في مدارس ابتدائية⁴. ولسوء الحظ، لا يضمن التعليم الجيد عملاً بعد التخرج. إن عدداً كبيراً من المتعلمين الشبان هم عاطلون عن العمل؛ وكانت نسبة البطالة 16% في 2004. وفي الوقت نفسه، هناك نقص في العمال الماهرين.

كانت تونس في مقدمة الدول العربية في جهودها لتحرير المجتمع. والنساء التونسيات هن بالتأكيد بين الأكثر تحراً في العالم العربي؛ فهن متعلّمات جيداً ونشيطات في أماكن العمل في ميادين مثل التربية، والخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية وإدارة المكتب، والنظام القضائي. وقد سنّت القوانين التي تفيد النساء في الخمسينيات. تمتلك النساء حقوق الطلاق نفسها كالرجال. ويُعدُّ تعدد الزوجات خروجاً على القانون، والحد الأدنى لسن زواج المرأة هو 17.

وقد دُعِمَت حقوق المرأة أكثر من ذلك في 1992 و1993، وخاصة فيما يتعلق بالوصاية على الأطفال والدعم المالي. وقد تم توضيح القوانين أكثر في 1995-1996 وفي 1998⁵.

وبينما ترتدي معظم النساء اللباس الغربي، فإن النساء الأكبر في السن أو التقليديات يرتدين عباءات خارجية فضفاضة، يسحبنها إلى الأعلى كي تغطي جزئياً وجوههن حين يكن في الأجواء العامة. وقد حظرت الحكومة ارتداء الحجاب في مكاتب الحكومة وفي المدارس⁶.

98% من التوانسة مسلمون. ولم يبق من اليهود إلا 1800 شخص، بقي نصفهم في العاصمة تونس والنصف الآخر في جزيرة جربا الجنوبية. تسمح الحكومة بحرية العبادة وتدفع راتب كبير الحاخامات وتموّل جزئياً كلف استعادة وصيانة الكنس اليهودية.

ليبيا

ليبيا هي الدولة الوحيدة في شمال إفريقيا التي استعمرتها إيطاليا. وقد استعيد الحكم الكامل إلى الملكية الليبية في سنة 1949. ومنذ أن أطيح بالملكية في سنة 1969، حكم ليبيا نظام يساري عسكري بقيادة العقيد معمر القذافي الذي أدخل برامج اشتراكية راديكالية وتنمية اقتصادية، وشن حملة قوية لتعليم وتسييس الناس، ووضع برامج للحث على التغيير الاجتماعي السريع. وبسبب دعمه للحركات الثورية المتطرفة، صارت ليبيا دولة منبوذة.

وإلى وقت متأخر، كان معظم الليبيين خارج المدن مزارعين وشبه بدو قبليين، غير متعلمين ويعيشون ببساطة. وفي سنة 1951 اعتبرت ليبيا من أفقر البلدان في العالم. وحين اكتُشف النفط في 1959، كان تأثيره في الاقتصاد فورياً. وفي سنة 1969 كانت عائدات البلاد أكبر بعشر مرات مما كانت عليه في 1962¹. مؤخراً، فُرضت قيود على الاقتصاد بسبب العقوبات الأميركية، والتي صارت نافذة في 1986 (وقد رُفع معظمها في نيسان 2003)، واستمرت عقوبات الأمم المتحدة من 1992 إلى أيلول 2003. ورفعت عقوبات الاتحاد الأوروبي في تشرين الأول 2004. وبالرغم من أن الاقتصاد يتحسن الآن، فإن نسبة البطالة حوالي 30%.

ليبيا دولة رفاه، وجرب الناس (الطبقتان الوسطى والدنيا بخاصة) ارتفاعاً درامياً في مستوى معيشتهم، بالرغم من أنه ما يزال هناك نقص في بعض البضائع الأساسية. وهناك تحسن مطرد في برامج الصحة والغذاء، والنقل والاتصالات. وقبل أن يُسوّق النفط، كان 25% من السكان متمدينين؛ ارتفعت النسبة إلى 88% في 2001، وكما في أمكنة أخرى، تتواصل الهجرة من المناطق الريفية إلى المدن.

الليبيون جماعة إثنية متجانسة وهم خليط من أصل بربري وعربي، ويتحدثون العربية جميعاً. القبلية مصدر مهم للهوية، وخاصة بين الريفيين. وبالرغم من أنه ليس هناك نظرياً طبقات اجتماعية بسبب سياسة الحكومة في المساواة الصارمة وحكم «الشعب»، فإن الحكم في الحقيقة استبدادي، وفقط قلة من الناس هم جزء من الطبقة العليا النخبوية.

تعتمد قابلية النمو الاقتصادي في ليبيا بنحو كامل على النفط؛ فتربتها فقيرة، ومصادرها الطبيعية وماؤها نادران (90% منها صحراء)، و 75% من طعام البلاد مستورد. ولأن ليبيا بحاجة ماسّة إلى العمال المدربين والمهجرين (عدد سكانها 6 مليون) فإن أعداداً كبيرة من الأجانب عاشت وعملت في ليبيا، ووصل العدد تقريباً من مليون إلى مليون ونصف في 1995، قبل أن يطرد القذافي أعداداً كبيرة منهم، وهم بنحو رئيس مصريون وسودانيون وفلسطينيون. كان التقدير الرسمي لعدد العمال الأجانب في 2004 مليوناً، بالرغم من أن العدد غير الرسمي يمكن أن يصل إلى مليونين².

كان التعليم العام متاحاً منذ السبعينيات، والآن 82% من الشعب متعلمون. وتمتلك ليبيا تاريخاً من إرسال طلاب الجامعة إلى الخارج، وخاصة إلى الولايات المتحدة وأوروبا. وفي سنة 1978، كان أكثر من 3000 طالب يدرسون في الولايات المتحدة وحدها. وفي 2002 نزل الرقم إلى 33 نتيجة للعقوبات والقيود على السفر التي فرضت في 1986³. وتشكّل النساء الليبيات الآن 21% من قوة العمل، ويشجّعن على العمل في التعليم والتمريض والخدمات المكتبية، والمصانع.

وفي أواخر 2003 تعهّدت الحكومة الليبية بإنهاء دعمها للإرهاب الدولي وجهودها للحصول على السلاح النووي. وتخطط البلاد لتحرير اقتصادها الاشتراكي والتقدم بطلب للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية. وتقوم الولايات المتحدة بإعادة علاقاتها الرسمية ببطء مع ليبيا، وعقدت الاجتماعات مؤخراً لمناقشة زيادة عدد

التبادل بين الطلاب⁴. ووقع المجلس البريطاني اتفاقية ثقافية مع ليبيا في نهاية 2003. وهناك حالياً أكثر من 3,000 طالب ليبي مسجلين في مؤسسات التعليم العالي البريطانية، 90% منهم بمنح من الحكومة الليبية⁵.

الليبيون محافظون و99% منهم مسلمون، وتتبع ليبيا الشريعة الإسلامية بعامة، مع بعض التعديلات. وتشجّع الحكومة على إسلام ممتزج برسالة ثورية قويّة من أجل توجيه التغيير الاجتماعي والسيطرة على المعارضة. وتُعظّم القومية العربية والوحدة العربية. ولا يُشجّع الليبيون على التفاعل مع الأجانب ويترددون في إظهار حسن الضيافة العربي المعتاد. نتيجة لهذا، كان للناس احتكاك قليل نسبياً مع الأجانب.

شمال شرق إفريقيا

مصر

أنتج تاريخ مصر الطويل وتقاليد العريقة مجتمعاً متجانساً متميزاً يتمتع بثقافة فريدة. ويتحدث جميع المصريين العربية، ما عدا النوبيين في أقصى الجنوب، والإنكليزية هي اللغة الثانية الأكثر شيوعاً. ويتحدث كثيرون الفرنسية أيضاً.

إن عدد السكان في مصر الآن هو الأعلى بين الدول العربية، ووصل تقريباً إلى 76 مليون نسمة في 2005. وكما في كثير من البلدان العربية إن نسبة الشبان مرتفعة: 32% تحت سن الخامسة عشرة في

2005 (أقل من 40% في 1990). وقد تضاعف عدد السكان بين 1947 وأوائل الثمانينيات. ونتيجة لحملات الحكومة القويّة، تراجعت النسبة إلى 1,7% في 2001. ولأن 3 إلى 4% من أرض مصر قابلة للسكن (ما تبقى هو صحراء) فإن كثافتها السكّانية هي بين الأعلى في العالم. يعيش 95% من الناس في 5% من الأرض.

إن حوالي 10% من المصريين هم من الطبقة العليا النخبوية، التي تهيمن على البلاد سياسياً واقتصادياً. أما الطبقة الوسطى فهي تتوسّع، وما يزال حوالي 55% من السكان مزارعين أو قرويين، وثمة كثير من سكان المدن الفقراء.

وبسبب التراث التعليمي الطويل للطبقة العليا والوسطى، تمتلك مصر وفرة من المواطنين المدربين مهنيّاً. ففي أي وقت هناك حوالي 2.5 مليون مصري يعملون في الخارج كمدرّسين وأطباء ومحاسبين وعمال¹. وحتى منتصف الثمانينيات كانت النسبة المئوية الأكبر من المغتربين المصريين تعمل في شبه الجزيرة العربية وليبيا. ومنذ ذلك الوقت أُجبر كثيرون على العودة بسبب الانحدار في صناعة النفط في الدول المضيفة. البطالة هي بين 15 و20% إجمالياً، وفي المجموعة العمرية من 15 سنة إلى 25 وصلت البطالة إلى 70%، وهي مشكلة خطيرة متنامية.

كانت الزراعة المكثّفة محورية دوماً للاقتصاد المصري. وتشجّع الحكومة الصناعة والتصنيع؛ أما مصادر الدخل الرئيسيّ فهي من النفط والقطن والمنتجات الزراعية الأخرى. وتعد السياحة أهم من كل

شيء. إن فقر مصر النسبي يجعلها معتمدة بنحو كبير على المساعدة من الولايات المتحدة. فمصر التي كانت مرة مصدرة للطعام (منذ العصور القديمة وحتى 1960) لا تنتج الآن إلا 22% من طعامها. ولا تقدم الزراعة إلا 32% من الدخل القومي.

البؤس يزداد. وارتفعت كلفة الحياة 20% في 2004، وفي أيار 2004، أعادت الحكومة إدخال الدفاتر التموينية كي تدعم 25 سلعة رئيسة غذائية، متخلية عن نيتها بإلغاء الدعم بسبب المعارضة الشديدة. وتقدر الحكومة أن 88% من السكان سيحصلون على الدفاتر التموينية².

كانت الحكومة المصرية اشتراكية منذ 1952، حين استولى النظام الحالي على السلطة مطيحاً بالملكية. وبالرغم من أن الحكومة مستقرة، فإنها تواجه تحدياً خطيراً من عدة حركات إسلامية متطرفة، الأكثر بروزاً بينها الإخوان المسلمون، الجماعة الإسلامية، والجهاد الإسلامي. وهذه الجماعات غير قانونية، وهي تنظيمات سياسية تستند على الدين أو الإثنية، ويتعرض أعضاؤها للاعتقال³. وقد حصلت التنظيمات الإسلامية المتطرفة على الدعم الشعبي لأنها تقدم خدمات اجتماعية لا تؤمنها الحكومة؛ وكان هذا ملحوظاً بخاصة في أوقات الكوارث. وقد حصلت عدة هجمات إرهابية، ضد الحكومة بنحو رئيس وضد السياح أيضاً. ردت الحكومة بقسوة وتواصل الاعتقالات واسعة النطاق، وتحاكم الإسلاميين المتطرفين، وتحتجز الآلاف. ويقدر أنه في 1999 كان في مصر 16,700 سجين سياسي،

معظمهم إسلاميون متطرفون، سُجِنَ منهم 7,891 دون محاكمة. أطلقت الحكومة سراح 1,000 منهم كلفتة مصالحة، بعد وقت قصير من شجب الجماعة الإسلامية للعنف ودعوتها إلى تقارب سلمي مع المجتمع برمته⁴. إن مناقشة هذه المسألة مستمرة في الصحافة المصرية. وقد شجب مفتي مصر العام الفلسفة الإسلامية المتطرفة؛ وكان هذا موقفاً شجاعاً⁵. وتخضع جميع المساجد تقريباً، التي يبلغ عددها 35,000، لقوانين الدولة⁶.

إن الحكومة المصرية استبدادية وقامت مؤخرًا بحملة ضد جماعات المعارضة التي كانت تقوم بمحاولات لمنع الرئيس مبارك من إطالة مدة حكمه إلى ست سنوات أخرى (هناك اشتباه أيضاً بأنه يخطط لتسليم الحكم لابنه)⁷ كان نقد الرئيس واسع الانتشار. وتحت الضغط، أعلن مبارك في شباط 2005 أنه سيطلب من البرلمان تعديل الدستور والسماح بانتخابات شعبية متعددة الأحزاب⁸. لُفَّتَ خطط التغيير ولم تكن الانتخابات حرة بنحو كامل.

تحسّنت الصحة درامياً بسبب برامج الحكومة التي وضعت في الستينيات، ولسوء الحظ لم يتحسّن التعليم كذلك. وبالرغم من حقيقة أن التعليم المجاني كان متاحاً لجميع الأطفال منذ الستينيات، فإن نسبة معرفة القراءة والكتابة ما تزال 56%.

تمتعت النساء المصريات بحرية شخصية معتبرة في ملاحقة مصالحهنّ ودُمجن في القوة العاملة على جميع المستويات لسنوات كثيرة. إن نصف طلاب الجامعة نساء. وكانت مصر في الحقيقة أول

دولة عربية سمحت للنساء بدخول الجامعات، في 1928، وكان التعليم مختلطاً. وفي 1957 كانت امرأتان مصريتان أول من دخلتا البرلمان، وفي 2004 صار في مصر وزيرتان، وقاضية (عيّنت في 2003 وحظيت بكثير من الشهرة)، و14 امرأة سفيرة. وهناك أكثر من 300 منظمة نسائية في مصر. وكشفت دراسة حديثة أن 28% من أساتذة الجامعات نساء، بالمقارنة مع 24% في الولايات المتحدة⁹.

أصلحت الحكومة حقوق النساء باستمرار، كما تبين، مثلاً، في قوانين الطلاق. وفي 1979 عدّل قانون الطلاق وأعلن أنه غير دستوري في 1985 وفي سنة 2000 عدّل قانون الطلاق مرة أخرى، ومنح النساء أسساً أكثر اتساعاً للطلاق. على أي حال، في 2004 أظهرت دراسة وعياً شعبياً قليلاً للتغييرات¹⁰. وفي 2005 كان ما يزال حق الطلاق متحيزاً في الجنس¹¹. وبالرغم من أنه في الحقيقة لم تغط أية امرأة شعرها في الستينيات فإن 80% من النساء قررن الآن فعل ذلك. وترتدي الكثيرات أيضاً اللباس المحافظ.

إن حوالي 94% من المصريين مسلمون وحوالي 6% مسيحيون، معظمهم أقباط (تقدر الكنيسة القبطية أن نسبة المسيحيين هي 15%). الإسلام هو دين مصر الرسمي، ولكن التسامح الديني مورس طويلاً. وحدثت صدامات خطيرة مع المتطرفين الإسلاميين وخاصة في أوائل التسعينيات، وهذه مسألة تسبب قلقاً متتامياً للمسيحيين وللحكومة. إن المجتمع المصري، الذي كان من بين الأكثر تحراً في الوطن العربي في الستينيات والسبعينيات، صار أكثر محافظة بسبب التوجهات الاجتماعية وضغط المتطرفين الإسلاميين.

تعجّ مصر بالطاقة الثقافية وهي قائد الدول العربية في ميادين كصناعة الأفلام والصحافة. كانت دوماً نفوذاً سياسياً وثقافياً مهيماً في العالم العربي، جزئياً بسبب عدد سكّانها الضخم، الذي يشكّل 40% من العرب ككل. وفي أي وقت يدرس في مصر 400 طالب أميركي ويحسّنون عربيّتهم. ويرغب معظمهم بالعودة إلى مصر حالما يقدرّون، ويرغب كثيرون بالعيش فيها. إن القاهرة، التي يبلغ عدد سكانها 14 مليون نسمة كبيرة وحارة وملوثة وفقيرة، وبالرغم من ذلك حين تعرفها تحبّها.

إن الشعب المصري شعب محبّ ويتمتع بحس فكاهة جيد، وهو ودود جداً مع الأجانب.

السودان

السودان هي أضخم بلد إفريقي، وتبلغ مساحتها مليون ميل مربّع. وهي قبلية ومتنوعة، بتأثير تحصراوي إفريقي معتبر على بنيتها الاجتماعية ومركبها الإثني. وتمتلك السودان أكثر السكان تنوعاً على المستوى الإثني في العالم، وأكثر من 400 لغة، و19 مجموعة إثنية محورية، و597 مجموعة فرعية، ومعظمها في الجنوب غير العربي¹. إنها واحدة من البلدان الخمس وعشرين الأكثر فقراً في العالم، حيث 90% من السكان يعيشون تحت خط الفقر².

تقسم المنطقة إلى منطقتين متميزتين: الشمال العربي والجنوب غير العربي. السودانيون الشماليون عرب (في اللغة، وجزئياً فقط في الأصل الإثني). القبلية مهيمنة في الشمال وكذلك في الجنوب، حيث

يعلّم الرجال بندوب على الوجه، كما هو شائع في إفريقيا التحصراوية. العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة، ولكن لا ينطق بها إلا حوالي 60% من السكان، بالرغم من أن برنامج تعريب استمر عقوداً. إن حوالي 70% من السودانيين مسلمون سنّة، و5% منهم مسيحيون، وخاصة في الجنوب، ويتمسك ما تبقى بأديان محلية أصلية. إن بعض القبائل في الجنوب، التي تجمعها قرابة ثقافية وتاريخية مع شعوب شرق إفريقيا، ما تزال تعيش مستقلة، بالكاد تؤثر بها الحكومة، وما تزال بعض المناطق لا تمتلك اقتصاداً نقدياً. طبّقت الحكومة السودانية الشريعة الإسلامية في سنة 1983، ومنذ 1989 كان في السودان الحكومة الإسلامية (الأصولية) الوحيدة المعترف بها في العالم العربي (الحكومة في المملكة العربية السعودية محافظة ولكنها ليست إسلامية متطرفة).

نشبت حرب أهلية مستمرة بين الشمال الإسلامي العربي وبين الجنوب الإفريقي عملياً منذ استقلال السودان عن المملكة المتحدة في سنة 1956. تفاقم الصراع، والذي كان الطور الأول منه بين 1955 و1972، منذ 1983، وبالرغم من اتفاقية رسمية تم توقيعها في كانون الثاني 2005 تواصل الجماعات المتمردة في الجنوب مقاومتها. كانت الحرب مدمّرة: كان هذا أسوأ صراع مستمر في العالم منذ الحرب العالمية الثانية. حلّت المجاعة والأمراض غير المكتشفة باستمرار في الجنوب؛ ومات حوالي 2 مليون ونزح من 4 إلى 5 مليون من منازلهم، معظمهم مدنيون (أكبر عدد للنازحين في العالم)^{3,4}. وأتّهمت الحكومة

(أو الجماعات التي تدعمها) مراراً بارتكاب المجازر،* وانتهاكات حقوق الإنسان، والسماح بالعبودية؛ وينظر العالم إلى الموقف كأزمة إنسانية رئيسية. فآلاف البشر، وبينهم الميتمون أو الأطفال المهجورون، يعيشون في مخيمات للاجئين. وهناك الكثير من وكالات الغوث الدولية، وهي في الجنوب وبين الناس في المخيمات وفي الخرطوم.

ومنذ 1989، وبعد انقلاب عسكري قاده الرئيس عمر البشير كانت الحكومة السودانية استبدادية. وفي 1993 وُضعت السودان على القائمة الأميركية للدول التي ترعى الإرهاب الدولي. وفرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية شاملة في 1997 وقد وُسِّعت في تشرين الثاني 2001.⁶ وهددت الأمم المتحدة بفرض عقوبات منذ منتصف 2004.

أغلقت السفارة الأميركية في 1996 وفي 1998 شنت الولايات المتحدة هجوماً بصواريخ كروز، دمرَ معملًا للأدوية. جاء أسامة بن لادن إلى السودان بعد أن نُفي من المملكة العربية السعودية، وهناك أسس تنظيم القاعدة.

على عكس كثير من السكان العرب المتمدنين، هناك 80% من السكان في السودان يعيشون في مناطق ريفية ويعملون في الزراعة، وبالرغم من ضخامة هذه البلاد فإن 7% فقط من أراضيها قابلة للزراعة. أما المنطقة الجنوبية، فتمتلك قوة اقتصادية ضخمة بنفطها ومعادنها وأخشابها النادرة ومصادر مياهها، هذا إذا طُورت⁷.

* دعته محكمة العدل الدولية انتهاكاً، لا مجزرة⁵.

إن الكثافة السكانية منخفضة في السودان، وعدد سكانها حوالي 36 مليون نسمة في كامل البلاد، 75% منهم يعيشون في الشمال. عدد سكان الخرطوم 6 إلى 7 مليون نسمة. 44% من سكان السودان هم بعمر أربعة عشر عاماً أو أصغر.

شجعت الحكومة الريّ وإصلاح الأراضي كي تطوّر القوة الزراعية الضخمة في أنحاء البلاد (تستطيع السودان أن تُطعم إفريقيا كلها تقريباً إذا تطورت). إن حوالي 65% من الناس قرويون أو مزارعون صغار أو رعاة قطعان. كان يمكن أن تكون السياحة مصدراً قوياً، الآن، بالرغم من أن كثيراً من اللعبة الكبيرة التي ازدهرت منذ جيل تلاشى.

ولأن التعليم كانت متاحاً للطبقتين العليا والوسطى لعقود، فإن هذه المجموعة متعلمة بنحو رفيع؛ النسبة هي 60% في البلاد ككل. وبالرغم من أن هناك مجموعة كبيرة من المهنيين السودانيين المتعلمين جيداً، فإن كثيراً منهم يعملون في الخارج وخاصة في شبه الجزيرة العربية بسبب الرواتب المتدنية في بلادهم. سبّب هذا نقصاً في قوة الرجال المدربة في البلاد؛ وفي الوقت نفسه، كانت نسبة البطالة الإجمالية 19% في 2002.

وبالرغم من أن تعليم المرأة في ازدياد، فإن 28% فقط من النساء السودانيات يعملن خارج المنزل، وخاصة كمدرسات وعاملات اجتماعيات. السودان بلد محافظ جداً في نظرتة إلى حقوق المرأة (معدل الولادة هو 5 أولاد لكل امرأة). النساء لا يتحجّبن، ولكنهن يرتدين عباءات طويلة وفضفاضة.

السودانيون معروفون في كل أنحاء الوطن العربي بودّهم، وصدقهم وإخلاصهم، وهم فخورون بسمعتهم.

المشرق

تستخدم كلمة المشرق Levant، وهي مصطلح فرنسي، للإشارة إلى بلدان شرق المتوسط: لبنان، سوريا، وفلسطين (وربما الأردن والعراق). والصفة هي Levantine أي مشرقية.

إن شعوب المشرق في لبنان وسوريا وفلسطين هي بنحو رئيس من أصل سامي، وقد انحدرت من السكان المحليين للمنطقة (من العصر النيوليثي). وهم يشكّلون وحدة ثقافية ولغوية ويتماهون مع بعضهم بعضاً. أما الأردنيون فهم من أصل بدوي، من شمال شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية الآن). إن كثيراً من العراقيين هم عرب أيضاً، لأن العراق أُفرغ من سكانه بنحو خطير ثم سكنته قبائل بدوية من شبه الجزيرة العربية (إن محكية بغداد محكية بدوية).

لبنان

لبنان بلد صغير، في مساحته وسكانه (حوالي 4 مليون)، يتمتع بجغرافيا متنوّعة وتاريخ طويل مهم على المستوى التجاري والملاحي. ينحدر سكان لبنان من النسل السامي (غير العربي) نفسه، بنحو رئيس الفينيقي والكنعاني. كان التنوع الديني والطبقة الاجتماعية سببين للتقسيم وخلقاً حواجز في وجه الاندماج الاجتماعي. ويشعر جميع اللبنانيين بولاء كبير لطائفتهم ومجموعتهم الدينية.

عانى لبنان من سنة 1975 إلى 1991 من حرب أهلية كارثية، هُجّرَ في أثناءها 25% من السكان وعلى الأقل قُتل 130,000. كان التوتر الديني هو السبب جزئياً: فقد كان المسيحيون (30%) يتمتعون، تقليدياً، بثروة وسلطة أكبر مما كان يتمتع به المسلمون الأكثر عدداً (70%) والذين ينقسمون بدورهم إلى سنة وشيعة (وعدد الشيعة أكبر بقليل من السنة). إن الطائفة الثالثة المؤثرة هي الطائفة الدرزية، والتي نشأت في لبنان في القرن الحادي عشر وهي منحدره من الإسلام الشيعي. هناك خمس طوائف إسلامية و14 مسيحية معترف بها، وثمة 19 نمطاً مختلفاً من القوانين الدينية¹. إن التأثيرات الاجتماعية والسياسية لاختلاط الأديان هذا يمكن تصوّرها جيداً؛ وقد أثرت على استقرار الحكومة.

يتحدث اللبنانيون العربية، ويتحدّث المتعلمون منهم الفرنسية أيضاً، والإنكليزية، أو كليهما. وتتحدث بعض الأقليات (خاصة الأرمنية) لغتها الخاصة ولكنها تتحدث العربية أيضاً.

قبل بداية الحرب الأهلية كانت الحكومة اللبنانية مؤيدة للغرب وللرأسمالية، وكانت البلاد قائداً في الصناعات الخدمية كممثل الصرافة والتجارة. وكان اللبنانيون يتمتعون بأعلى مستوى معيشة في العالم العربي وبالطريقة الأكثر كوزمبوليتية في الحياة، على الأقل في بيروت. بدأ هذا يعود بسرعة (ولكن دول الخليج سباقه). ومن المزعج أن العنف والاعتقالات لم تنته بنحو كامل.

بعد أن انتهت الحرب، أعاد لبنان بناء بنيته التحتية وأنعشها بنحو كبير. وقد أصلح كثيراً من الخدمات التي كان يشتهر بها، وعاد كثير من الناس الذين فرّوا في أثناء الحرب إلى أوروبا والولايات المتحدة. الرخاء واضح في كل مكان، ولكن جاءت معه كلفة حياة عالية، وهي الآن الأعلى في العالم العربي.

إن الطبقات الاجتماعية محددة بنحو واضح في لبنان، فيه طبقة عليا قليلة العدد، وطبقة وسطى متنامية، وطبقة دنيا متدنية مشكّلة من نصف السكان تقريباً. الطبقات الدنيا فقيرة جداً، وتعيش الأغلبية في مناطق مدنية. يقتصر الإنتاج الزراعي على مصادر طبيعية غير ملائمة، وتتجاوز الواردات الصادرات بكثير. إن نسبة البطالة هي من 15 إلى 20%.² ويبلغ عدد السكان حوالي 3,5 مليون نسمة، بما فيه 400,000 لاجئ فلسطيني³.

هاجر اللبنانيون إلى الخارج في أعداد كبيرة منذ أواخر القرن التاسع عشر (والذين يعيشون خارج البلاد أكثر من الذين يعيشون فيها)، وقد أثرت الصلات المتواصلة مع هؤلاء المهاجرين في جميع أنحاء العالم على المجتمع والاقتصاد. ويعمل كثير من اللبنانيين في بلدان عربية أخرى كمديرين ومهنيين.

يتمتع اللبنانيون بتعليم جيد جداً. وكانت التعليم العام المجاني متاحاً لوقت طويل، ونسبة معرفة القراءة والكتابة هي 86%، وهي من النسب الأعلى في العالم العربي. وفي منتصف القرن التاسع عشر،

أسست البعثات التبشيرية الفرنسية والأميركية مدارس وجامعات في لبنان. وكان للبعثات التبشيرية أثر قوي في المجتمع، ودربت كثيراً من القادة المستقبليين ومفكري العالم العربي. إن معايير الرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية عالية، كما كانت قبل الحرب.

إن النساء المدينيات اللبنانيات، وخاصة المسيحيات، ناشطات في المهن، والتجارة، والمنظمات الاجتماعية. وتشكّل النساء 29% من القوة العاملة، ربعهن في القطاع المهني. وهن يرتدين عادة اللباس الغربي ويختلطن بحرية في المجتمع. أما النساء في المناطق الريفية فتقيدهن القيم الاجتماعية السائدة.

حصلت النساء على حق الاقتراع في انتخابات 1952. وأنشأت الحكومة خطة عمل قومية لتحسين وضع المرأة من 1997 إلى 2000. وأنشأت هيئة قومية تهتم بقضايا المرأة⁴. وفي 2004 تم تعيين امرأتين في الحكومة، واحدة وزيرة للصناعة والأخرى وزيرة دولة. وثمة منظمات ناشطة تسعى إلى وضع المزيد من النساء في مناصب القيادة واستبدال بعض القوانين الإسلامية بأخرى مدنية.

إن الشعب اللبناني متمرس بالأسفار ومثقف، ومسيس ووطني جداً. ويعتقد البعض (المسيحيون)، أن لبنان يجب أن يكون أكثر غربية من العرب ويجب أن يتماهى مع أوروبا؛ ويتماهى آخرون، وخاصة المسلمون، مع المشاعر القومية العربية ويريدون التقليل من التأثيرات الغربية.

لكن المجتمع في لبنان يبقى مقسماً. ولم يتم لبنان بإحصاء رسمي منذ 1932 لأن هذا يمكن أن يزعج التوازن الديني الحساس. إن المناصب الثلاثة الأعلى في الحكومة مخصصة لمسيحي ومسلم سني ومسلم شيعي؛ وقد استند هذا إلى إحصاء 1932، حين كان المسيحيون يشكلون 56% من السكان. وفي البرلمان عدد مساو من المسيحيين والمسلمين، ولكن المسيحيين يسيطرون على البلاد. (أنشئ لبنان من إقليم سوريا الكبرى كملاذ للمسيحيين، الذين عانوا من مجازر على يد الدروز والأتراك في ستينيات القرن التاسع عشر. وحدث هذا من خلال اتفاق بين قوى أوروبا العظمى - وحتى فرنسا أرسلت القوات - والسلطات العثمانية). ولا يريد المسيحيون في لبنان أن يتغيّر هذا. إذا صار لبنان ديمقراطية، يمكن أن تحكم الأغلبية الشيعية، مما سيقوّي من دور حزب الله.

ثمة خلاف داخلي حول مسائل مهمة: ففي آذار 2005 جرى استطلاع للرأي قال فيه نصف المسيحيين الموارنة إنهم يريدون خروج الجيش السوري من لبنان، بينما لم يوافق إلا ثلث السكان في الجماعات الأخرى (الأرثوذكس، السنة، الشيعة، والدروز). وفي ما يتعلق بنزع سلاح الميليشيات اللبنانية، قال 60% من الدروز نعم، بينما 5% فقط من الشيعة وافقوا، و13% من السنة، و17% من الموارنة، و16% من الأرثوذكس⁵. وهناك حزبان ضخمان مؤيدان لسوريا تدعمهما أغلبية من اللبنانيين⁶. وفي استطلاع للرأي جرى في تشرين الثاني 2004، عارض 58% من اللبنانيين القرار الدولي الذي

استصدرته الولايات المتحدة وفرنسا والداعي إلى سحب القوات السورية (وقد وافقوا على التدخل السوري في أثناء الحرب الأهلية لأن الجيش السوري أمّن الاستقرار في لبنان)⁷. كانت خلافات طائفية من هذا النوع هي التي سبّبت الحرب الأهلية الطويلة.

بُنيت بيروت وحُدثت على نحو استثنائي، وهي جميلة؛ وثمة طريق طويل على طول ساحل المتوسط، والجبال ليست بعيدة. وتُعرف بيروت باسم «باريس الشرق الأوسط». فالحياة في هذه المدينة ليبرالية (حتى الآن الأكثر تحرراً في العالم العربي) ومترفة واجتماعية جداً، وثمة حياة ليلية ناشطة. وقد درس كثير من الطلاب الأوروبيين والأميركيين في الجامعة الأميركية في بيروت، وكذلك في عدة جامعات أخرى. ويشعر الغربيون بالراحة في هذه المدينة.

سوريا

وصلت حضارة سوريا إلى مستويات عليا في تاريخها الطويل، ولكنها خضعت كذلك لغزوات متكررة وفتوحات وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي. إن سكان سوريا متنوعون. فمن بين سكانها البالغ عددهم 18 مليون نسمة، حوالي 90% مسلمون (74% سنة؛ ما تبقى ينتمون إلى طوائف إسلامية أخرى). وتشمل الأقليات في سوريا المسيحيين الذين يشكلون من 5 إلى 10% من السكان، والدروز، حوالي 3% من بين المسلمين السنة، العشر أكراد. إن الطائفة الإسلامية الأبرز هي الطائفة العلوية (وهي فرع من الشيعة) وتؤلف 14% من السكان

ولكنها سيطرت على الحكومة منذ 1970 حين استولى النظام الحالي على السلطة. لم يعد اليهود جزءاً مهماً من السكان؛ لم يبق إلا 85 يهودياً في 2004، معظمهم في دمشق.¹ وما يزال هناك 300,000 لاجئ فلسطيني في البلاد.

إن السلطة الاشتراكية في سوريا استبدادية، علمانية، وقومية وحذرة في علاقاتها مع الغرب. وبعد وفاة الرئيس حافظ الأسد في سنة 2000، استلم الرئاسة ابنه بشار، ويبدو أنه يبذل جهوداً كي يحرر البلاد ويصلح الاقتصاد؛ مع ذلك، يبقى من الصعب التنبؤ بالمستقبل. فالحكومة تجد نفسها في موقف دفاعي، وتتهم بدعم الإرهاب الدولي، مما أثر على سياحتها وتجارها. فرضت الولايات المتحدة عقوبات على سوريا في أيار 2004 وكانت تفكر بزيادتها، ولكنها أعلنت تأجيل ذلك في شباط 2005. غير أن التهديد بفرض عقوبات جديدة يحوم في الأفق، بالرغم من أن تأثيراتها ستكون سياسية أكثر مما ستكون اقتصادية. وتتواصل الشائعات بأن الولايات المتحدة ترغب بحدوث تغيير في النظام في دمشق*.

حاولت الحكومة السورية لمدة طويلة السيطرة على الإسلاميين المتطرفين. وفي سنة 1982 تم قمع تمرد إسلامي متطرف بقسوة، وفي أثناء ذلك قُتل 20,000 مدني. الإسلام المتطرف ينبعث من جديد، جزئياً كرد فعل على الحرب في العراق. ويخشى كثير من السوريين

* في 1990، كانت سوريا أول بلد عربي شجب الغزو العراقي للكويت، وأسهمت بإرسال 20,000 جندي أثناء حرب الخليج الأولى في 1991.²

الإسلام السياسي والانبعاث الديني، ولكن يمكن أن تقرر الحكومة منح القادة الدينيين مناصب في الحكومة بحيث تظهر أكثر إسلامية. وبينما يصبر رجال الدين على أن الحكومة العلمانية لم تعمل، فقد تحدث كثير من المفكرين وأبناء الطبقة الوسطى ضد التوجّه الديني³. وقد قال ناطق باسم حزب البعث العربي الاشتراكي مؤخراً: «إن الموقف الأساسي لحزب البعث العربي الاشتراكي هو علماني كلياً وضد التدخل الديني»⁴. إذا سقطت حكومة سوريا العلمانية من المرجح جداً أن تحل مكانها حكومة دينية. ويدر رجل سني أضخم مؤسسة خيرية وتربوية في البلاد⁵. وقد قدم أحد الصحفيين تقييمه: «سيكون هناك قليل من الأسف العام إذا انهار النظام. مع ذلك قلة في المعارضة تريد الأمر بهذه الطريقة. فهم يخشون من أن تشب الحرب الأهلية بسبب التوترات الإثنية الطائفية على غرار ما حدث في العراق»⁶.

إن سوريا من أكثر البلدان العربية كثافةً سكانيةً. فحوالي نصف أراضيها قابلة للسكن. إن النمو السكاني يبيّن أن 40% من سكانها تحت سن الرابعة عشرة. وتشكل الطبقة العليا والوسطى 35% من السكان. التعليم والرعاية الصحية متاحان على نطاق واسع، ووصلت نسبة معرفة القراءة والكتابة إلى 83%.

إن الإنتاج الزراعي عامل مهم في الاقتصاد، على غرار النفط والفوسفات والنسيج. وقاد إصلاح الأراضي وإنشاء التعاونيات الزراعية إلى تحسين وضع المزارعين الصغار الذين يشكّلون حوالي

ثلث السكان. ويواصل مستوى المعيشة تحسُّنه في المناطق المدينية. ووُضِعَت سياسات حكومية جديدة لجذب الاستثمار الأجنبي وتجديد الاقتصاد. وكانت نسبة 25% من القوة العاملة عاطلة عن العمل في أواخر 2004.

يتماهى كثير من السوريين بقوة مع القومية العربية ومع تراثهم العربي الإسلامي، وهم محافظون جداً. وزارت قلّة من السياح الأجانب سوريا في العقود الأخيرة، وهكذا فإن الاتصال حديث وقد بدأ لتوّه. والفرنسية في سوريا أكثر انتشاراً من اللغة الإنكليزية.

كانت النساء السوريات من الطبقة العليا متعلّقات جيداً في الجيلين الأخيرين وكن يعملن لوقت طويل، وخاصة في التعليم والطب؛ وتشغل النساء 39% من المناصب في نظام الجامعة القومية؛ وتؤلّف النساء 28% من قوة العمل. وتلبس معظم هؤلاء النساء على الطريقة الغربية. وفي 2001، كانت 26 امرأة أعضاء في البرلمان، من بين 250، وفي 2003 كنّ 24. وهناك امرأتان في الحكومة.

والسوريون ودودون ومرحبون بالغربيين والأميركيين. وهناك برامج للدراسة في الخارج للشبان الأميركيين لتعلّم العربية، وهناك المزيد في مرحلة التخطيط. وحالياً، هناك بضعة مئات من الطلاب الغربيين يعيشون ويدرسون في دمشق، حوالي 50 منهم أميركيون. وقد استمتع الطلاب الغربيون بتجاربيهم في سوريا.

الأردن

الأردن بلاد جديدة نسبياً. وقد أنشئت تحت الانتداب البريطاني في نهاية الحرب العالمية الأولى كمملكة كي يحكمها الهاشميون (والذين هم من منطقة الحجاز في غرب المملكة العربية السعودية، حيث قاتلوا ضد الأتراك في الثورة العربية في أثناء الحرب العالمية الأولى). استقلت الأردن عن بريطانيا في 1946. حدودها مصنوعة: فحدود الأردن هي جوهرياً البقايا التي تركت بعد أن انتهى ضم البلدان من قبل البريطانيين (من أجل مصالحهم الخاصة). اقتطعت الأردن الضفة الغربية (من نهر الأردن، الذي احتلته إسرائيل منذ 1976) للسلطة الفلسطينية في 1988.

إن حوالي 60% من سكان الأردن الذين يبلغ عددهم من 4 إلى 5 مليون نسمة هم فلسطينيون (الأرقام تتنوع من 20 إلى 70%)، وصل معظمهم بعد أحداث 1948 و1967. ومعظمهم جيدو التعليم وكثير منهم أثرياء. وقد مُنح الفلسطينيون الجنسية الأردنية والحقوق الاقتصادية التي يتمتع بها الأردنيون.

هناك فرق مهم بين الفلسطينيين (الذين يتماهون باستعداد أكبر مع السوريين واللبنانيين) والأردنيين. اللهجة الفلسطينية مهيمنة في المراكز المدنية، ولكن في أمكنة أخرى يتحدث الأردنيون لهجتهم الخاصة، القريبة من اللهجات البدوية. وقد تم تشجيع ودعم اللغة العربية في البرامج التلفزيونية. إن حوالي 65,000 من الأردنيين ما

يزالون بدأً؛ وبتشجيع من الحكومة صاروا أكثر استقراراً مع مرور الأعوام. ويحتل الأردنيون (وليس الفلسطينيون) معظم المناصب الإدارية في البلاد.

في الأردن 950,000 لاجئ فلسطيني مسجل، 18% منهم يعيشون في ثلاثة عشر مخيماً للاجئين، تدير عشرة منها الأونروا (وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة). وقد صارت خدمات الغوث المؤقتة التابعة للأمم المتحدة دائمة. ومرّ الأردن في حرب أهلية مؤلمة في 1970، حين حاول الفلسطينيون (دون نجاح) الاستيلاء على الحكم. معظم الأردنيين مسلمون سنة، ولكن 5 إلى 8% من السكان مسيحيون. ولم يكن الدين عامل تقسيم في هذا المجتمع. إن 86 إلى 90% من السكان يعرفون القراءة والكتابة، والإنكليزية واسعة الانتشار. وبعد وفاة الملك حسين في شباط 1999، ورث العرش ابنه عبد الله وبذل جهوداً من أجل الانفتاح الاقتصادي والسياسي. إن الأردن هي على الأرجح أكثر البلدان العربية ديمقراطية.

هناك معارضة في الأردن؛ ذلك أن الإخوان المسلمين فازوا بأغلبية المقاعد في الانتخابات البرلمانية في 1989، وبعده ضخم في 1993، وبربع المقاعد في 2003 (وقد قاطعوا انتخابات 1997). وبالرغم من سياسات الحكومة المؤيدة للغرب نسبياً، ما يزال عليها الصراع مع نتائج استطلاع مشروع بو للمواقف العالمية في 2003، والذي كشف أن 99% من السكان يعتبرون الولايات المتحدة غير مفضلة¹.

إن الأردن فقير في الموارد الطبيعية، وبالرغم من العديد من المبادرات الاقتصادية، فإن الدولة تعتمد بنحو كبير على المساعدات الأجنبية. هناك نقص خطير في المياه، يزداد سوءاً. وفقط 6% من الأراضي قابلة للزراعة، و20% من السكان مزارعون. وكان من المشاريع البارزة والناجحة برنامج تمويلي صغير يقرض مبالغ صغيرة من النقود للنساء ذوات الدخل المتدني. وقد تأسس في 1996 وقدم أكثر من 61,000 قرض بحلول 2001².

إن موقع الأردن بين إسرائيل والعراق كان مضرراً؛ ذلك أن الأردن عانى بسبب الجارين. فقبل حرب الخليج في 1991، كان 75% من التجارة مع العراق (بليون دولار سنوياً)؛ وقد خفض هذا إلى ربع هذا المبلغ³. وعاد حوالي 380,000 شخص من وظائفهم في الخارج، وخاصة من الخليج العربي، وارتفعت البطالة إلى 30%؛ وكانت ما تزال نسبتها بين 25 و 30% في 2001⁴. وسببت حرب الخليج الثانية أزمة أكبر من ناحية التزود بالطاقة، بما أن النفط كان يتم استيراده من العراق بأقل من السعر العالمي. ومؤخراً، استؤنف النمو الاقتصادي، جزئياً بسبب اتفاقية التجارة الحرة بين الأردن والولايات المتحدة في 2001. وانضمت الأردن إلى منظمة التجارة العالمية في نيسان 2000.

يعتمد الاقتصاد الأردني على السياحة والتعدين والصناعة والزراعة. وقد تعرضت السياحة لضربة قوية نتيجة لحربي الخليج. وقد عانى معظم الناس من تراجع في الدخل في العقد الأخير. ويعيش الآن 40% من السكان تقريباً في حال من البؤس⁵.

إن النظام التعليمي في الأردن ممتاز، وينفق 21% من الإنفاق الكلي للحكومة على التعليم. وقد سعدت نسبة التعلّم إلى 87% في 1998؛ وهي الآن 91%. ثمة برنامج صحي ممتاز أيضاً يشمل الدولة كلها. يتحدث جميع الأردنيين العربية، ويتحدث كثيرون الإنكليزية كلغة ثانية لهم.

النساء الأردنيات جيدات التعليم ويعملن في ميادين كثيرة؛ وحوالي 20% منهن منخرطات في القوة العاملة. وكانت النساء يصوّتن منذ 1974 وترعى الملكة رانيا علناً قضية حقوق المرأة. وفي الانتخابات البرلمانية في حزيران 2003 ربحت النساء 5,5% من المقاعد في المجلس الأدنى و 12,7% من المقاعد في المجلس الأعلى⁶.

إن الأردنيين جذابون شخصياً وودودون ومرحّبون. يستمتعون بالصدافة مع الأجانب. ويختار كثير من الطلاب الأميركيين الدراسة في الأردن، والسفر إليها. وهم مجمعون في مديحهم للأردنيين.

العراق

ما الذي يمكن قوله عن العراق؟ فهو على غرار سوريا، له تاريخ يُفتخر به، وكان مهد خمس حضارات رائعة. ولكن الغزوات والفتوحات المتكررة أرهقت العراق. وعلى عكس مصر ذات الكثافة السكانية، ما يزال عدد سكان العراق (بلاد الرافدين) قليلاً (حوالي 25 مليون)، بالرغم من أن أرضه خصبة وتاريخه قديم كتاريخ مصر، نتيجة حروب متكررة ودمار. كان موقع العراق دوماً يجعله ميدان معركة استراتيجي للمنطقة.

إن حوالي 75% من سكان العراق هم عرب ، و 20% أكراد، يتحدثون العربية والكردية. (تنويه: الأكراد ليسوا عرباً وإنما آريون). ما تبقى مجموعات إثنية أقلوية كالتركمان والآشوريين والأرمن وأقوام أخرى من أصل إيراني. إن العربية هي اللغة الرسمية والإنكليزية واسعة الانتشار في الأوساط المتعلمة. إن 97% من العراقيين مسلمون، 60% منهم شيعة؛ 3% مسيحيون. لقد تأثر العراق بقوة بتراته الإسلامي لأن عدة مواقع مقدسة للشيعة موجودة فيه وكانت دوماً مزاراً للحجاج الشيعة.

تأسست حكومة العراق الاشتراكية الثورية بعد الإطاحة بالملكية الهاشمية في 1958، وحدثت أربعة انقلابات منذ ذلك الوقت. استولى نظام صدام حسين على السلطة في 1968.

تعرض العراق لضربة قاسية من حربين، تفصل بينهما عشر سنوات (هذا دون أن نذكر الحرب مع إيران التي استمرت ثماني سنوات قبل هاتين الحربين). كانت المرحلة الأولى حرب الخليج الأولى، والتي جاءت بعد حظر دولي فُرض في 1991 (والذي يشير إليه العراقيون والعرب الآخرون بـ«العقوبات الأميركية»)؛ في عشر سنوات تراجع مبيع النفط من تأمين 95% من العملة الأجنبية إلى 10%. وتدهورت الخدمات الاجتماعية بحدّة، وحوّل المال الذي كان مخصّصاً للطعام والدواء في برنامج النفط مقابل الغذاء إلى أتباع الحكومة. وبحلول 2001 توفي بين 800,000 إلى 1,2 مليون شخص بسبب الحظر الاقتصادي، نصف مليون منهم من الأطفال تحت سن الخامسة¹. وبسبب الندرة، صار الناس أكثر اعتماداً على الحكومة من أجل الضروريات، وبينها مياه الشرب.

ثم جاءت حرب الخليج الثانية، الغزو الأميركي في آذار 2003. النتائج الفوضوية معروفة جيداً، وما تزال مستمرة. وبالرغم من أن 8 مليون عراقي صوّتوا وبيّنوا بحماس حبهم للحرية والديمقراطية في انتخابات كانون الأول 2005، فإن 92% منهم أرادوا في الوقت نفسه خروج الأميركيين.

يتألف معظم سكان العراق تقريباً من الأطفال. وفي 2003 كان حوالي 15% من أطفال العراق يعانون من سوء التغذية، وصعدت النسبة إلى 73% منذ 1991. وتجاوزت وفيات الأطفال الضعف بين أواخر الثمانينيات وأوائل 2000. وفي 2001 صارت حوالي 133 في كل 1000 ولادة (بالمقارنة مع 4 إلى 5 في أوروبا الغربية و6,7 في الولايات المتحدة)² وقال تقرير للأمم المتحدة: «إن وقوع البلاد تحت مؤشر الأمم المتحدة للتنمية البشرية من 96 إلى 127 يعكس أسرع حالة انحدار في الرفاه البشري في التاريخ الحديث»³. وقال تقرير لليونيسيف إنه في منتصف 2005، كان 4000 طفل تحت سن الخامسة يموتون يومياً⁴.

وانخفض التسجيل في المدارس الابتدائية من 100% في 1980 إلى 85% في 1996، ثم إلى 76% في 2003. كان 92% من السكان يعرفون القراءة والكتابة وقد انخفض هذا إلى 40% في 2003⁵.

إن 12% من أراضي العراق محروث فقط، وكانت الجهود تبذل طويلاً لاستصلاح المزيد من الأراضي (كانت مروية وخصبة في الأزمنة القديمة). ويعمل حوالي 30% من العراقيين في الزراعة.

كانت نساء العراق دوماً من بين الأكثر تحرراً في الشرق الأوسط، وكن مندمجات بنحو كامل في القوة العاملة كمهنيات. وفي فترة 20 سنة، صارت آلاف النساء محاميات، وأستاذات، ومهندسات، وكاتبات وفنانات. وفي 1959 صار العراق أول بلد في الشرق الأوسط فيه وزيرة أنثى وأربعة قضاة إناث، وكذلك عالمات وسياسيات. ومنح قانون الأحوال الشخصية لعام 1959 النساء حقوقاً اقتصادية وسياسية مساوية وحماية قانونية موسّعة⁶. كان حزب البعث الحاكم علمانياً، ووضع قوانين تهدف إلى تحسين مكانة المرأة. وقد أسس الاتحاد العام للنساء العراقيات، الذي كان ينسّق بين أكثر من 250 مركزاً ريفياً ومدينياً للتدريب على العمل، والتعليم، والبرامج الاجتماعية. وقد مُنحت النساء فرصاً متساوية في قطاع الخدمة المدنية، وإجازة الأمومة، والحرية من التحرش في أمكنة العمل. وفي 1976 شكلت النساء 38% من الذين يعملون في التعليم و15% من الموظفين المدنيين.

ساءت مكانة المرأة درامياً بسبب حربي الخليج. فبعد حرب الخليج الأولى قرر صدام اعتناق التقاليد القبلية الإسلامية كأداة سياسية كي يدعم سلطته⁷. وألغى خطوات كثيرة اتخذت لتطوير وضع المرأة. وأدخلت تعديلات إلى قانون الأحوال الشخصية وقوانين العمل. وفيما كان الاقتصاد يسوء، أخرجت النساء من القوة العاملة لضمان الوظيفة للرجال. وطلب من جميع وزراء الدولة فرض قيود على عمل المرأة. وقيدت حرية السفر إلى الخارج، وحوّلت الثانويات المختلطة إلى أحادية الجنس.

يفضّل معظم الغربيين نظاماً يفصل بين الدين والدولة، ويرى الكثيرون أن هناك فرصة لتعزيز نظام كهذا. لسوء الحظ، صار الأمر أكثر صعوبة حين صار الاتجاه السائد في الولايات المتحدة هو الجمع بين الإيمان والسلطة⁸.

كان معظم العراقيين علمانيين حتى وقت متأخر. ولم يكن هناك توتر طائفي؛ وفي الحقيقة، كان الناس يتزوجون عبر الخطوط السنية الشيعية. والآن هناك شك بحصول العراق على حكومة علمانية مرة أخرى.

ما تزال بغداد مدينة جميلة، بحدائقها وجاداتها العريضة المضاءة إزاء نهر دجلة في الليل. لقد صممت في القرن الثامن، وسكنها الملايين في القرن العاشر، وكانت قلب الحضارة الإسلامية في في أثناء عصرها الذهبي من القرن الثامن إلى الحادي عشر. وما يزال هناك آثار لخطة المدينة الهندسية الدائرية الداخلية.

كان في العراق مرة أعلى مستويات المعيشة في الشرق الأوسط. وكان فيه سكان متعلمون، وعدد صغير نسبياً من السكان، وكثير من النقود. غصّت بغداد بالجامعات والمتاحف والمكتبات العامة والمطاعم وصلالات الفنون. كان العراق مركزاً كوزمبوليتياً للثقافة والفن والفكر. ولكنه لم يعد كذلك.

شبه الجزيرة العربية

إن شبه الجزيرة العربية هي موطن الشعب العربي السامي، بالمعنى الإثني الدقيق. كان لهذه المنطقة أقل اتصال مع الأجانب وهي الأكثر

محافظة في تقاليدھا. وفي شبه الجزيرة (التي تدعى غالباً بالجزيرة) كان القانون يفرض على الرجال ارتداء العباءات الطويلة وأغطية الرأس (اللباس القومي) في المناسبات الرسمية وفي العمل. وكانت معظم النساء يرتدين الفساتين الطويلة ويضفن عادة عباءة خارجية. الحجاب شائع في المنطقة، ولكنه ليس عاماً. ويفرض القانون الحجاب في المملكة العربية السعودية.

يمكن تقسيم شبه الجزيرة العربية إلى ثلاث مناطق متميزة: المملكة العربية السعودية، اليمن، ودول الخليج العربي. المملكة العربية السعودية غنية (بالرغم من أنه أقل من قبل، اليمن فقيرة، وبلدان الخليج العربي غنية بنحو خرافي، ومجتمعاتها تتغير بسرعة). يحب معظم الأجانب بخاصة دول الخليج: فالناس فيها ودودون ومضيافون، والمدن حديثة ومزدهرة بنحو صاحب، يتوفر فيها كل شيء، ومع ذلك هناك سحر عربي صحراوي وبساطة في القيم تتخلل كل شيء. ويحاول كثير من الأجانب الذين يأتون إلى دول الخليج من أجل العمل تمديد إقامتهم قدر الإمكان.

المملكة العربية السعودية

كانت المملكة العربية السعودية دائماً بارزة في الأنباء بسبب ثروتها، وحجمها، وموقعها. فهي دولة حديثة نسبياً، معظمها صحراء، وعدد سكانها 25 مليون نسمة (كان 6 مليون في 1970). إن نسبة نمو السكان هي 2,4% كل عام، و60% من السكان هم تحت سن الثامنة عشرة¹. وقد بلغ عدد السكان الشبان ثلاثة أضعاف منذ 1980.

قبل توحيدها في 1935 على يد الملك عبد العزيز بن سعود، كانت المنطقة التي هي الآن المملكة العربية السعودية تحكمها وتسكنها قبائل بدوية عديدة. كان الهاشميون يسيطرون على منطقة الساحل الغربي، مع ميناء جدة وأماكنه المقدسة، مكة والمدينة. غزا ابن سعود المنطقة في سنة 1924 (ومناطق أخرى في العشرينيات)، ما تزال سلالته هي التي تحكم. وتطورت المملكة العربية السعودية إلى دولة قابلة للحياة منذ تأسيسها الرسمي في سنة 1932، ويمتلك معظم الناس هوية سعودية.

هناك عنصران مهمان يثران في المجتمع السعودي: حقيقة أن شبه الجزيرة العربية هي مسقط رأس الإسلام، واكتشاف النفط، الذي قاد إلى ثروة مفاجئة. إن النزعة الدينية، والنزعة المحافظة والثروة والعمال الأجانب - كل هذه العوامل - موجودة في السعودية وتؤدي إلى مواقف وسياسات اجتماعية دائمة التغير.

يشكل الحجاج المسلمون إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، في أثناء العام وخاصة في موسم الحج السنوي، مصدراً مهماً للدخل والهيبة بالنسبة للدولة؛ وأحد أسماء الملك هو «خادم الحرمين الشريفين». وفي أثناء الحج، تغصّ البلاد بالحجاج، بمليوني حاج من كل أنحاء العالم. وهناك مطارات خاصة، ومناطق تخييم، وتسهيلات صحية. ويشار في غالب الأحيان إلى المملكة العربية السعودية بالأرض المقدسة؛ ذلك أن تاريخها الإسلامي محوري لهويتها.

إن المملكة العربية السعودية هي المنتج والمصدر الأول للنفط في العالم. وبالرغم من أن النفط أنتج في البداية في سنة 1938، فإن التأثيرات الحقيقية للثروة لم يشعر بها حتى الستينيات والسبعينيات. وقد جعلت هذه الثروة الهائلة السعوديين مؤثرين في العالم الإسلامي، وصارت السعودية في المقدمة في تعزيز الإسلام. يمتلك السعوديون كثيراً من الصحف المؤثرة وشركات البث الإذاعي والتلفزيوني وهم مهتمون بتشجيع التحديث، ولكن في إطار القيم الإسلامية المحافظة. وتوازن اقتراحات دعاة التحديث في السعودية دوماً بمتطلبات السلطات الدينية.

كان معظم السكان بدوياً أو شبه بدو حتى الستينيات؛ وبسبب النمو الاقتصادي والمدني السريع، صار أكثر من 95% من السكان مستقرين الآن. وتصل الكثافة السكانية في بعض المدن والواحات إلى 1,000 شخص في الكيلومتر المربع الواحد.

وفي 2005 كان هناك على الأقل 5,6 مليون عامل أجنبي في المملكة العربية السعودية، وهم عمال ومهنيون. وجاء كثير من هؤلاء العمال الأجانب من بلدان عربية أخرى، مع كثيرين من آسيا، وخاصة من الهند وباكستان وبنغلادش وإندونيسيا والفلبين. وهناك حوالي 100,000 غربي، 40,000 منهم من الولايات المتحدة، و30,000 من بريطانيا². وسيتناقص العدد حين تحقق المملكة العربية السعودية هدفها في خفض عدد الأجانب إلى أقل من 20% من سكانها الكليين، أو إلى مليونين بحلول 2013³. وتهدف الخطة إلى استبدالهم بسعوديين، وخاصة في المناصب الإدارية والمهنية.

ويجد خريجو الجامعات الشبان، الذين طُمنّوا مرة بالحصول على مناصب جيدة، أن الوظائف والارتقاء إلى الأعلى غير مؤكدين؛ وقد تراجع الدخل القومي بنحو سيئ منذ أوج السبعينات. وفي الحقيقة، كانت المملكة العربية السعودية تخوض عبر التراجع الاقتصادي وقد قلّصت بعض المشاريع العامة. إن نسبة البطالة هي من 20 إلى 30%⁴. أما الديمغرافيا السكانية في السعودية فمتخالفة جداً (غير متماثلة)، ذلك أن 70% من السكان هم تحت سن الثلاثين⁵. ويدخل إلى القوة العاملة السعودية مائتا ألف شخص كل عام.

تراجعت أسعار النفط بنسبة 80% بين 1982 و1990. وتراجع الدخل الشخصي من 26,000 دولار في 1981 إلى 6,800 دولار في أوائل 2002⁶. كان 4,511 دولاراً في 2005 ولكن عائدات النفط (90 إلى 95% من دخل التصدير الكلي) ارتفعت بحدة في 2004 ومن المتوقع أن تبقى مرتفعة في 2005 و2006⁷.

إن المملكة العربية السعودية دولة رفاه. فالحكومة تدعم الغذاء والماء والكهرباء ومنتجات استهلاكية أخرى، وتقدم قروضاً حرة من الفوائد. وفي نيسان 2000، زادت الدولة تعرفه الكهرباء ولكن هذا ألغى في تشرين الأول بسبب المعارضة الشعبية الواسعة⁸. وما تزال الحكومة تخطط كي تخفّض المعونات وتزيد الضرائب، ولكن بسبب الارتفاع الأخير في دخل النفط، يمكن أن تتحرك ببطء أكبر.

إن برامج الصحة، التي وُضعت أولاً في الستينيات، حققت أهدافاً بعيدة المدى. وارتفع متوسط العمر المتوقع من 40 إلى 68 في جيلين (1955-2000) وأغدقت النقود على وسائل الصحة العامة: هناك

تقريباً 400 مستشفى، افتتح 26 في 2004، وهناك خطة لبناء 88، و2000 مركز رعاية صحية أولي سيتم بناؤها في 2010. ويجب أن تخطط الحكومة لعدد سكان متوقع سيصل إلى 37 مليون في 2020⁹. ولسوء الحظ، لم يلبّ التدريب الطلب؛ ذلك أن 65% من الأطباء والمرضات أجانب.

وقد أظهر التعليم زيادة درامية بنحو مساو. ففي 1960، سجل 22% من الفتيان و2% من الفتيات في المدارس الابتدائية. وفي 1981 وصلت نسبة التسجيل إلى 81% للفتيان وإلى 43% للفتيات (التعليم مجاني ولكنه ليس إلزامي). والآن، نصف السكان فتيات. وتقف نسبة معرفة القراءة الآن عند 95%، بالمقارنة مع أقل من 3% في أوائل الستينيات!

وعلى مستوى الجامعة، ازداد عدد الطلاب الذكور إلى 95% بين 1983 و1989، وازداد عدد الطالبات الإناث إلى 132%. وفي 2003 كان 56% من خريجي الجامعات نساء (وهي نسبة أعلى من عدد كلي بلغ 70 امرأة في 1965)، وازداد تسجيل النساء في المدارس التقنية عشرة أضعاف بين 1994 و2001^{10,11} ثمة سبع جامعات في السعودية و50 معهداً نسوياً.¹²

إن النظام الطبقي في المملكة العربية السعودية رباعي: الأسرة الملكية (8,000 أمير و40,000 عضو آخر من الأسرة الملكية)¹³، نخبة متعلمة متنامية، طبقة وسطى متوسّعة، وطبقة دنيا، غير متعلّمة. ويمكن أن تكون الأخيرة فقيرة ولكنها معزولة عن الخدمات الاجتماعية وتعيش حياة تقليدية. إن 87% من المملكة العربية السعودية متمدّن الآن¹⁴.

في هذه البلاد الوهابية السنية المتزمتة، 5 إلى 15% من السكان شيعة (يقدر عددهم رسمياً من 200,000 إلى 400,000)، وهم يشكلون ثلث سكان المنطقة الشرقية الغنية بالنفط* .

يملك الشيعة فرص عمل محدودة جداً؛ فنادرًا ما يُقبلون في مناصب الأمن القومي، كالجيش ووزارة الداخلية. ولا يوجد أي شيوعي في الحرس القومي. ويعمل معظم الشيعة في أعمال من النوع المدني. ثم إن عدد الشيعة الذين يُسمح لهم بدخول الجامعات محدود أيضاً، على غرار بناء الجوامع والمدارس الشيعية (لقد حُظر بناء المساجد الشيعية لمدة 30 عاماً)¹⁷. وليس هناك وزراء شيعة في الحكومة ولا يوجد سوى اثنين في المجلس الاستشاري المؤلف من 120 عضواً¹⁸.

إن كثيراً من موظفي شركة أرامكو السعوديين الماهرين وشبه الماهرين (الشركة الأميركية العربية للنفط) هم شيعة، فقط لأن المنطقة الشرقية هي مصدر ثروة البلاد النفطية. وفي 1979 قام الشيعة بأعمال الشغب، مطالبين بحصة مساوية من النقود. وفي 2003 أطلقت الحكومة «حواراً قومياً» كي تسمع المجموعات الدينية الأقلوية. إن الشيعة متناقضون بعمق حيال هويتهم السعودية ويشعرون بأنهم اكتسبوا قوة أكبر من تقدم الشيعة في العراق¹⁹.

* يقدر تقرير وزارة الخارجية الأميركية «تقرير الحرية الدينية» لعام 2004 عدد الشيعة بمليونين، أو 40 إلى 50% من سكان المنطقة الشرقية¹⁵. ويقدر مشروع «الأقليات المهتدة» العدد بثلاثة ملايين، أو 15% من العدد الكلي للسكان في السعودية¹⁶. وهذه مسألة حساسة جداً، ولم يجر أي إحصاء أبداً.

ليس هناك حرية دينية في السعودية. وتمنع الحكومة الممارسة العلنية للأديان الأخرى، وليس هناك أمكنة عبادة غير إسلامية (ويلتقي المسيحيون عادة في منازل خاصة). فالمملكة العربية السعودية فريدة حقاً في العالم الإسلامي في هذا الصدد. ولسوء الحظ، عمل آلاف الأجانب في السعودية، وغالباً ما ينظر الغربيون إلى المجتمع السعودي وقوانينه كممثل لكل العرب والحكومات الإسلامية. ولكن المملكة العربية السعودية فريدة في قيودها.

إن الكحول ولحم الخنزير والصور الخلاعية (اللوحات التي فيها عري أو تماثيل أو صور نساء بشياب قليلة، وصور دينية غير إسلامية) وأشياء دينية كالأناجيل والصلبان أو تماثيل بوذا كلها ممنوعة. والمواد المطبوعة القادمة من الخارج خاضعة للرقابة. حتى المسلمون الذين من بلدان أخرى يحتاجون إلى وقت للتكيف مع التحكم الاجتماعي القاسي.

هناك عدة فصائل دينية معارضة في المملكة تعارض حكم العائلة الملكية وتريد فرض شريعة إسلامية أكثر تشدداً، والحكم من خلال «دولة إسلامية». إن جماعة ابن لادن هي إحدى هذه الفصائل. وكان الإسلاميون المتطرفون مؤثرين لبعض الوقت: ففي تشرين الثاني 1979 سيطر المتعصبون الإسلاميون لوقت قصير واحتلوا الحرم المكي في مكة، وقد تم التخلص منهم بالقوة العسكرية. وتأتي الضغوط من أجل الإصلاح أيضاً من المفكرين الليبراليين والتكنوقراطيين والنساء²⁰.

وفي 2003 شُنّت حملة أمنية لمدة ستة أشهر لم تشهد لها البلاد مثيلاً. وفي هذه المدة اعتقلت السلطات أكثر من 600 إسلامي متطرف، وقتلت دزينات منهم في غارات ليلية شنتها الشرطة²¹. وقد قال وزير الخارجية مؤخراً: «تهدف جهودنا إلى استئصال هذا البلاء من المنطقة»²².

إن التحرير يجري ببطء. فللمرة الأولى في أكثر من 40 عاماً، أجريت الانتخابات المحلية في شباط 2005 وقد انتخبت نصف المقاعد في المجلس البلدي الذي أنشئ حديثاً؛ وعيّنت الحكومة النصف الآخر²³. وقد حقق الناشطون الإسلاميون انتصاراً ساحقاً، وكان كثير منهم مهنيين جيدي التعليم²⁴. وكان النقاد يدعون إلى نظام قضائي مستقل ومجلس وطني منتخب؛ ويقولون إن المجالس البلدية لن تمتلك أي سلطة²⁵. ولم يسمح للنساء بالتصويت أو بالترشح للمناصب.

إن المجلس التشريعي، المجلس الاستشاري (أو مجلس الشورى) معيّن، ولكن كثيراً من الليبراليين يأملون أن يُنتخب المجلس ديمقراطياً يوماً ما. إن ثلثي أعضائه درسوا في أميركا. ويقلق بعض المصلحين من أنه إذا دفعت أميركا السعوديين إلى التغيير بسرعة كبيرة، فإن هذا سيؤدي إلى حركة ارتجاعية²⁶.

تفرض المملكة العربية السعودية حتى الآن أشد القيود على النساء في الشرق الأوسط، إن لم يكن في العالم. فالنساء يتحجبن بشكل كامل في الأماكن العامة، بعباءة سوداء طويلة. يمكن ألا يسمح لهن بالسفر وحدهن، أو بمغادرة البلاد دون إذن من الأقرباء الذكور، أو أن

يقدن السيارات (ذلك أن كثيراً من المسلمين في البلدان العربية وأمكنة أخرى يجدون هذا فاضحاً) . وفي كانون الأول 2001 أُصدرت للنساء بطاقات هوية مستقلة، بحيث أنهن يمتلكن الآن هوية قانونية كاملة.²⁷ وتعمل قلة من النساء خارج المنزل (فقط حوالي 5.5% من النساء المؤهلات)؛ وتعمل النساء في بيئة نسائية كالمدارس والجامعات وحتى في «المصارف النسائية» (تم تسهيل هذا المطلب لعمال الصحة)²⁸. وخففت الحكومة من القيود على النساء في الحصول على التراخيص التجارية، وتملك الكثير من النساء أعمالهن التجارية، وحتى شركات حسابات ومخازن بيع بالتجزئة. وفي جدة تملك النساء ربع الأعمال التجارية الخاصة²⁹.

فضّل 60% من الرجال في الرياض منع النساء من حق التصويت تماماً قبل الانتخابات الأخيرة³⁰. وقد كتب أحد الصحفيين السعوديين: «يجب أن يدرك المجتمع السعودي أنه لا يستطيع الاستمرار دون مواهب سكانه ومقدراتهم إذا كان يريد التطور والازدهار»³¹.

إن صورة المملكة العربية السعودية للزائر أو المقيم هي صورة عن مدن حديثة بأبنية شاهقة، وطرق رئيسة ضخمة، وأسواق كبيرة مترفة تغصّ بالناس، وحوانيت طعام سريع وحوانيت لبيع العطور. ويحب السعوديون البضائع الأميركية الاستهلاكية وخاصة الموسيقى، ويعبّر كثير من السعوديين عن إعجابهم بالحرريات وطريقة الحياة الأميركية³².

إن السعوديين متحفّظون، وليسوا سريعين في الترحيب بالأجانب. ولكن حالما تُبنى الصداقة، فإن السعوديين يبدون كرمهم وحسن ضيفاتهم بالطريقة العربية التي شرفّها الزمن.

اليمن

إن اليمن، التي عُرِزَتْ لوقت طويل عن الاحتكاك والتأثيرات الخارجية، هي من أكثر البلدان تلوّناً وتقليدية في العالم العربي. فقد دعاها الرومان آرابيا فيليكس وعُرِفَتْ بأنها المصدر الرئيس للبخور.

تغيّرت الممارسات الاجتماعية نسبياً ببطء منذ إدخال برامج التحديث في أواخر الستينيات. إن جزءاً كبيراً من البلاد وعر المسالك، وفي خارج المدن هناك أرض قبائل وبنادق. ويعيش كثير من سكان اليمن البالغ عددهم 20 مليوناً في قرى بعيدة؛ فقط 25% إلى 40% من الناس متمدنون. إن فن العمارة في اليمن تقليدي ومميّز، ويتألّف بنحو رئيس من أبنية من الحجر والطين ترتفع عالياً مزينة بتصميمات هندسية بيضاء. وتُعد اليمن أحد أفقر البلدان في الشرق الأوسط، ولكن مناظرها الطبيعية جميلة، بجبالها وأوديتها ومنحدرات تلالها ذات المصاطب. وعلى عكس بقية شبه الجزيرة، تتمتع اليمن بمناخ معتدل وكثير منها أخضر.

قسمت اليمن طيلة ثلاث مئة عام إلى دولتين منفصلتين: اليمن الشمالي واليمن الجنوبي (عدن سابقاً). أُطيح بملك اليمن في سنة 1962؛ وفي الشمال، كان النظام الحالي في السلطة منذ 1976؛ وقد

حكم عدن ماركسيون مؤيدون للاتحاد السوفييتي في بداية 1971. وفي 1990 وُحِدَ البلدان في ظل حكومة اشتراكية. ومنذ الوحدة، حصلت عدة صدامات، واندلعت حربٌ أهلية في منتصف 1994، حين حاول الجنوب الانفصال عن الشمال.

وفي سنة 1993 أجرت اليمن أول انتخابات حرة سبق أن جرت في شبه الجزيرة العربية¹. انتُخب الرئيس على عبد الله الصالح رئيساً في 1999، لفترة رئاسية مدتها سبع سنوات. وأجريت الانتخابات البرلمانية في نيسان 2003 وتعرضت الحكومة للضغط من أجل إنهاء الإرهاب، وخاصة بعد تفجير المدمرة الأميركية كول في سنة 2000. ولكن سيطرة الحكومة محدودة، بالرغم من أنه يوجد آلاف الأميال من الساحل الذي بدون دوريات، وألف ميل آخر من الحدود العريضة المفتوحة².

إن المشكلة الرئيسية في محاولة السيطرة على المتطرفين والإرهابيين (فقد عدّ اليمن ملاذاً لهم) هو أن القيام بهذا الفعل لا يحظى بقبول شعبي. مع ذلك، رحلت الحكومة كثيراً من المسلمين الأجانب، وأغلقت 1,300 مدرسة دينية، وبدأت بحملة عامة ضد التطرف³.

إن اليمنيين مسلمون عرب. وفي الشمال، إن التقسيم الأكثر تمييزاً هو بين المسلمين السنة والزيديين (الشيعة)، والذي يعود إلى القرن الثالث عشر؛ وتمتلك كل مجموعة حدوداً جغرافية محددة جيداً. أما في الجنوب فمعظم السكان سنة وقد تزاجوا على نطاق واسع مع الأفارقة والهنود (ذلك أنه من اليمن ذهب المسافرون الأوائل إلى إندونيسيا وماليزيا، واللتين هما الآن دولتان مسلمتان).

يتحدث اليمنيون اللغة العربية، وبعض اللهجات غير العادية المعزولة في مناطق بعيدة، ويتحدث المتعلمون اليمنيون الإنكليزية كلغة ثانية. يرتدي الرجال اليمنيون لباساً مميزاً، قميصاً كالسارونغ وحزاماً عريضاً يضعون فيه الخنجر التقليدي.

جعل مناخ اليمن الزراعة المكثفة ممكنة، ويتم معظمها في الأراضي التي كالمصاطب في السفوح، ولكن فقط 2,7% من الأرض في البلاد محروثة⁴. إن البنّ والقطن مصدران رئيسان للعائدات (وقد استورد البن الأول في أوروبا من اليمن، على الأرجح من خلال ميناء مُخَا*). وتشتمل المهارات التقليدية على البناء وقطع الأحجار والنجارة وشغل المعادن. وقبل حرب الخليج الأولى في 1991، كان الآلاف من اليمنيين يعملون في الخارج، وكانت أجورهم تقوّي اقتصاد الدولة. وبعد الحرب طردت المملكة العربية السعودية أكثر من مليون يمني (لأن الحكومة اليمنية دعمت العراق)، وكان لهذا عواقب اقتصادية خطيرة. إن 37% من القوة العاملة هم عاطلون عن العمل الآن، وأكثر من 40% من الشعب يعيش في البؤس⁵.

في اليمن الجنوبي مناخ شبه قاحل، وكان الناس تقليدياً صيادين وتجاراً (في المنطقة الساحلية) ومزارعين ورعاة. وكان موقع الجنوب الجغرافي مفيداً للتجارة مع بلدان المحيط الهندي. وتُستمد حصة كبيرة من دخل المنطقة من التوسّط وتوزيع منتجات البترول.

* مدينة في الجزء الجنوبي الغربي من اليمن. تقع على ساحل البحر الأحمر وتُعتبر أهم مركز لتصدير البن في شبه الجزيرة العربية. (المترجم).

إن أمل اليمن العظيم من أجل المستقبل هو النفط، الذي بدأت بتصديره في 1993. وفي عام 2000 شكّلت صادرات النفط تقريباً 97% من الصادرات الكلية؛ وفي 2004 تراجعت النسبة إلى أعلى من 90% بقليل⁶. إن 60% من دخل البلاد هو نقود يرسلها الذين يعملون في الخارج. وتعتمد اليمن أيضاً على المساعدة الأجنبية. وهي تواجه مشكلة تلوح في الأفق وهي نقص المياه، وخاصة في العاصمة صنعاء. ستجف المياه الجوفية في صنعاء بعد عشر سنوات؛ وهي مشكلة موجودة في أمكنة أخرى بحيث أن الاقتصاد الريفي يمكن أن يختفي في جيل⁷.

وقد تأثرت الإنتاجية والرخاء أيضاً بالعادة الاجتماعية السائدة بين الرجال، وهي مضغ ورقة تُدعى القات، والتي تنتج شعوراً خفيفاً من النشوة. يُمضغ القات كل يوم، ويبدأ الأمر في أوائل الأصيل. ولسوء الحظ، يُخصص كثير من الأراضي الخصبة لزراعة هذه النبتة.

تطوّرت البرامج الصحية؛ وبالرغم من ذلك فإن التجهيزات الصحية اليمينية هي من بين الأقل تطوراً في العالم العربي، فوفيات الأطفال ما تزال مرتفعة جداً (36 من بين كل 1000 مولود)، ومتوسط العمر المتوقع هو 61 فقط. وعلى العموم، الصرف الصحي سيئ والوعي الصحي العام متدن جداً. وتعاني الرعاية الصحية أيضاً من نقص حاد في المهنيين المؤهلين، وخاصة في المناطق الريفية.

تواجه اليمن مشكلة حادة في النمو السكاني. وقد قُدّر النموّ بنسبة 3,4% في 2004، حين كانت نسبة الخصوبة 6,75 أطفال لكل امرأة⁸. و48% من سكان اليمن هم تحت سن الرابعة عشرة.

التعليم يتحسن. أنفقت الحكومة 22.3% من دخلها القابل للإنفاق على التعليم في 2001⁹. ووصلت نسبة تسجيل الأطفال المؤهلين إلى 76% في المدارس الابتدائية و37% في الثانوية. وكانت نسبة معرفة القراءة والكتابة 46% في 2002. وقد أطلقت الحكومة برنامجاً ضخماً (يشمل البالغين)، يشدد على العلم، والهندسة، والتكنولوجيا.

تتحجب النساء في شمال اليمن بشكل كامل وكثير منهن غير متعلّقات: مع ذلك 27% يعملن خارج المنزل، بسبب الحاجة المادية. صوّتت النساء في الانتخابات الوطنية في 1993، وكن النساء الأوائل في شبه الجزيرة العربية اللواتي أعلن ذلك. وقد دعم مشاركتهن بحماس القادة القبليون والحزب السياسي الإسلامي. هناك نساء في البرلمان، ووزيرة لحقوق الإنسان، ولليمن امرأة سفيرة¹⁰. وفي جنوب اليمن، التي دعيت سابقاً عدن، مُنحت النساء مكانة مساوية بحسب القانون في ظل الحكومة الماركسية في ذلك الوقت (الحكومة الشيوعية الوحيدة في الشرق الأوسط) ودخلت إلى القوة العاملة في ميادين كالمحاسبة والميكانيكا، أو في المصانع. والنساء في اليمن الجنوبي أكثر اندماجاً في المجتمع منهنّ في أي بلاد أخرى في شبه الجزيرة العربية.

في اليمن خمس جامعات، وهي مختلطة. وفي 1995 مثلت النساء 28% من المهنيين في حقل الطب، و13% في ميدان القضاء، و6% في السياسة¹¹.

ثمة برامج ذات نوعية جيدة في صنعاء لتدريس اللغة العربية للطلاب الأجانب. ويجد الأجانب البلاد ساحرة ومبهجة.

يثير اليمينيون الإعجاب بسبب اجتهادهم ومهاراتهم. وهم ودودون وفضوليون حيال العالم الخارجي، ولطيفون جداً مع الأجانب.

دول الخليج العربي*

إن دول الخليج العربي الخمس: الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان تقع على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية. وكان معظمها تحت الإدارة البريطانية حتى 1971.

إن هذه البلدان، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية، هي أعضاء في مجلس التعاون الخليجي، الذي يشجّع التكامل الاقتصادي في المنطقة. الدخل عال في هذه البلدان وعدد السكان قليل، ولكنه يزداد بسرعة. لا يدفع المواطنون ضرائب دخل أو ضرائب صادرات، وبالنسبة للمواطنين ضرائب الشركات غير موجودة أو منخفضة جداً. وتستطيع معظم البلدان أن تدعم بكرم كثيراً من كلف معيشة الناس.

وهذا خروج درامي من بؤس الماضي. كانت المصادر التقليدية للدخل هي التجارة، والرعي، وصيد السمك، وتجارة اللؤلؤ والقرصنة. وقد قلب كل شيء رأساً على عقب في الخمسين سنة الماضية.

الكويت

بالرغم من أن الكويت صغيرة، إلا أنها دولة مهمة، ويعود السبب في ذلك إلى ثروتها النفطية الهائلة، والتي هي أساس نفوذها الاقتصادي والسياسي بين الدول العربية. وقد حصلت على استقلالها

* لا يستخدم العرب مصطلح الخليج الفارسي.

عن بريطانيا في 1961 ومنذ ذلك الوقت حكمتها أسرة الصباح الملكية. في الكويت مجلس وطني وانتخابات برلمانية تتوقف وتتواصل منذ 1962، وقد جرت مؤخراً في 2003 أما السلطة فهي في يد الحاكم، الأمير، الذي علّق البرلمان من 1976 إلى 1981، ومرة ثانية من أيار إلى تموز 1999.

مثّلت انتخابات 2003 انتصاراً رئيساً للإسلاميين؛ الذين يهيمنون هم والممثلون القبليون الموالون للعائلة الملكية على البرلمان¹. وكان هناك الكثير من القيود بحيث إنه لم يسمح بالتصويت إلا لـ 15% من 800,000 إلى 900,000 مواطن مؤهل للتصويت².

يشبه المجتمع الكويتي مجتمع المملكة العربية السعودية في نواح كثيرة. فكلاهما قبلي وديني ومحافظ، وتجمع بين البلدين علاقات طويلة ووثيقة. إن الكويتيين مسلمون عرب؛ حوالي 65% سنة و35% شيعة. لكن ممارسة الكويتيين للإسلام ليست متممّة كما هو الأمر في المملكة العربية السعودية، بالرغم من حظر الكحول.

يبلغ عدد سكان الكويت حوالي 2,4 مليون، 45% كويتيون وما تبقى عمال أجنبي. وقد جاء كثير من العمال الأجانب إلى الكويت بحيث أنهم شكّلوا مرة 80% من القوة العاملة. وقد أجبر كثير من الفلسطينيين وغيرهم على المغادرة بعد حرب الخليج في 1991، ومنذ ذلك الوقت صار من أولويات الحكومة استبدال العمال الأجانب بكويتيين في وظائف مهنية وإدارية. وبالرغم من ذلك بقي 70% من القوة العاملة أجنبي في 2004.

إن حقيقة الحياة المهيمنة في الكويت هو ثروة البلاد الضخمة المستندة إلى النفط؛ وتشكّل مبيعات النفط 85% من العائدات العامّة. أما دخل الفرد فهو من بين الأعلى في العالم، بالرغم من أنه انخفض بنحو ضئيل. بدأ إنتاج النفط في 1946، وفي غضون 15 عاماً تم استئصال البؤس³. وعلى غرار المملكة العربية السعودية الكويت دولة رفاه. ولها سمعة أيضاً بأنها الأكثر ذكاءً وحنكة من كل العرب في الاستثمار الخارجي.

كان العامل الآخر الذي هيمن على الشؤون الكويتية لسنوات كثيرة هو الغزو العراقي في 1990، والذي تبعته حرب الخليج. وبالرغم من أنه تم التغلب على التأثيرات الاقتصادية بنحو كبير فإن التأثيرات السيكولوجية ستستمر لوقت طويل، وخاصة بالمقارنة مع بقية العالم العربي.

تعاونت الكويت مع الولايات المتحدة في الحرب على العراق، غزو 2003، وكانت المسرح الرئيس للتحضيرات العسكرية. وفي بداية 2005 كان هناك حوالي 30,000 جندي أميركي في البلاد. إن الكويتيين هم الأكثر تأييداً لأميركا في العالم العربي؛ إذ إنهم ما يزالون يشعرون بالامتنان لتحريرهم في حرب الخليج الأولى. لقد هزّتهم الأحداث الأخيرة وبدأ الكثيرون يعيدون التفكير بدعمهم السياسي المفرط.

إن التمييز الطبقي والوعي الطبقي قويان في الكويت، حتى بعد أن صارت الثروة أكثر انتشاراً. وغير التقدم في الصحة والتعليم والتنمية الاقتصادية طريقة الحياة الكويتية بشكل كامل في الخمسين سنة الأخيرة. وكانت نسبة معرفة القراءة 83% في 2002. أما متوسط

العمر المتوقع، 78، فهو الأعلى في العالم العربي. ويمتلك الناس هناك كل ما تستطيع النقود شراءه. وفي الحقيقة، تأتي مياه الكويت من تحلية مياه البحر، وهذا إنفاق مستحيل لحكومات بمال أقل وبشر أكثر⁴. وتُشجّع الحكومة العائلات الكبيرة، والمعدل المتوسط للعائلة الكويتية التقليدية هي 8,2 أعضاء⁵.

ترتدي النساء الكويتيات الحجاب عادة في العلن، بالرغم من أن هذا بدأ بالتغيير. وكثيرات منهن ناشطات في حقل التعليم والتجارة، وتمتلك البعض أعمالهن الخاصة. وعلى عكس المملكة العربية السعودية، النساء الكويتيات غير ممنوعات من العمل في البيئة نفسها مثل الرجال. وتحرز النساء تقدماً في التعليم أيضاً، ويتلقين حالياً ثلثي شهادات البكالوريا التي تُمنح كل عام. ووصل عدد النساء العاملات في 2004 إلى 34%⁶.

مُنحت النساء في الكويت الحقوق السياسية الكاملة، وبينها حق الاقتراع والترشيح للمناصب، وذلك في إصلاح برلماني لقانون الانتخاب في البلاد، والذي سُنَّ على أساس «طلب ملح»، في منتصف أيار 2005. جاء هذا بعد أعوام من الصراع والمظاهرات التي قامت بها النساء الكويتيات. وقد اقترح الحاكم حقوقاً كاملة في 1999، ولكنها عُرقلت على نحو متكرر من قبل البرلمان. اعتُبر هذا انتصاراً رئيساً وعلامة على أزمنة متغيرة⁷.

إن الكويتيين ودودون جداً مع الأجانب ولكنهم ليسوا سريعين في بناء علاقات شخصية قوية. فهم يفضلون الدوائر العائلية والاجتماعية الخاصة.

البحرين

إن البحرين، الجزيرة التي في الخليج العربي، هي الأكثر حداثة بين دول الخليج. كانت أول من أنتج النفط، والذي يؤمن لها حوالي 60% من دخل الدولة، ولكن المخزون يتناقص. وقد وظّفت الدولة أموالها في خدمات أحواض السفن، وإنتاج الألمنيوم، والهندسة الخفيفة. وكان تطوّر البحرين كمركز مالي محوري المظهر الأكثر ترحيباً في جهودها التمويلية؛ وفيها أيضاً تسهيلات سياحية ممتازة. وقد كانت مركزاً تجارياً منذ 5,000 سنة حين كانت حضارة دلمون القديمة.

كان عدد سكان البحرين 660,000 في تموز 2003، بما فيه 235,000 أجنبي. إنها أحد أكثر البلدان كثافة سكانية في الشرق الأوسط، ويعيش 86% من السكان في مدينتين رئيسيتين. وعدد سكان المنامة، العاصمة، 144,000 (بالمقارنة مع 62,000 في 1960). العربية هي اللغة الرسمية والإنكليزية واسعة الانتشار كلغة ثانية.

تستورد البحرين تقريباً معظم غذائها؛ وتشكّل الزراعة أقل من 1% من دخلها. فالأراضي معظمها صحراوية، وقد كسب الناس معيشتهم دوماً من العمل البحري.

كانت البحرين محمية بريطانية منذ عام 1861 إلى أن حققت استقلالها في 1971. يحكم البحرين أمير وقد انتخبت برلمانها الأول في 1973. وفي 1975 حاول المجلس الوطني أن يشرّع إنهاء حكم

عائلة آل خليفة وأن يطرد أيضاً البحرية الأميركية. لكن الأمير حلّ المجلس القومي، وعيّن في 1992 مجلس شوري، يضم الآن 40 عضواً. حدثت بعض حوادث العنف السياسي في التسعينيات بسبب سخط الأغلبية الشيعية¹.

وفي شباط 2002 أعلن الحاكم الحالي، شيخ حمد، البحرين ملكية دستورية (بدلاً من إمارة وراثية) وغير وضعه من أمير إلى ملك. وقد أُجريت الانتخابات الأولى في غضون ثلاثين سنة في ذلك الوقت، وقد سُمح للنساء بالاقتراع وبالترشيح للمناصب².

أسهم حجم البحرين الصغير وسكانها في تحديثها السريع. ويبلغ متوسط العمر المتوقع 74 سنة. برامج التعليم والصحة شمولية، وكانت نسبة معرفة القراءة والكتابة 89% في 2004 وتعمل البحرين كي تجعل نفسها مركزاً إقليمياً للتعليم العالي وتباهى مسبقاً بجامعتين.

لكن البحرين لا تخلو من المشاكل. إن 70% من سكانها شيعة، و 30% سنة. العائلة الحاكمة سنية. نسبة البطالة 15% وهي أكبر بمرتين بين الشيعة. ويسيطر السنة على الحكومة والجيش والشركات. وقد دعت جماعات حقوق الإنسان إلى الإصلاحات في التعامل مع المعارضين³.

وتشكّل النساء البحرينيات، المتعلمات جيداً، حوالي 24% من القوة العاملة، وقد كانت النسبة 17% في 1991.

إن البحرين وجهة سياحية مفضّلة في الخليج. وهي متحررة جداً وفيها حياة ليلية نشيطة. وهي مرتبطة بالمملكة العربية السعودية بممر مرتفع.

قطر

قطر شبه جزيرة صغيرة، غنية على نحو خرافي بالنفط والغاز. ويعيش 80% من السكان في العاصمة، الدوحة. ومنذ اكتشاف النفط في 1949 انفجر عدد السكان في قطر: 100,000 في 1970، 350,000 في 1991؛ و840,000 في 2004، منهم 170,000 هم مواطنون.¹ يؤلف الأجنبي حوالي 75% من السكان، و80 إلى 90% من القوة العاملة.²

كان سكان قطر قبل اكتشاف النفط يعملون في الصيد، وصيد اللؤلؤ، والتجارة، وكان الكثيرون يعيشون في فقر مدقع. وقّعت الأسرة الحاكمة اتفاقية مع إنكلترا في 1868 وصارت محمية بريطانية منذ 1916 إلى أن حصلت على استقلالها في 1971.

يشكل النفط والغاز 85% من دخل قطر السنوي. وبالرغم من أن أكثر بقليل من 1% من الأراضي قابل للزراعة، فإن قطر تنتج نصف الخضار التي تستهلكها. ويربي معظم الناس قطعاناً كبيرة من الماعز والخراف والجمال والماشية، وما يزال الصيد دعامة رئيسة.³

إن البرامج الصحية كثيرة وممولة بسخاء؛ متوسط العمر المتوقع هو 73 سنة. وفي قطر نموّ سكاني هائل وصل إلى أكثر من 6% بين 1990 و1998 وتشجّع الحكومة العائلات الكبيرة. 24% من القطريين هم تحت سن الخامسة عشرة ونسبة النمو السنوي هي الآن 2.75%.

إن القطريين مسلمون عرب؛ يتحدثون العربية ويستخدمون الإنكليزية كلفة ثانية لهم. 15% من السكان شيعة، ممنوعون من العمل في مناصب تتعلق بالأمن القومي.⁴

يحكم البلاد أمير بالوراثة (هو الآن ملك)، والمجتمع محافظ. إن البلاد صغيرة ولهذا يدير الأمير الحكومة كأن الأمر عمل عائلي ويحكم عبر صلة مع مجلس استشاري. تمت الموافقة بأغلبية ساحقة على دستور قطري في استفتاء أُجري في نيسان 2003 وصار ساري المفعول في تشرين الأول من العام نفسه. ويضمن الدستور حرية التعبير والاجتماع والدين.⁵ وفي 1998 ألقى الأمير وزارة الإعلام منهيماً بذلك الرقابة على الإعلام المطبوع والمداع.⁶ وقطر هي مقر لفضائية الجزيرة التي حققت نجاحاً هائلاً، والتي هي مصدر مهم وأحياناً مثير للجدل للأنباء والبرامج الأخرى في الشرق الأوسط. ولا تراقب الحكومة ما تبثه الجزيرة.

وقد أعلنت قطر مؤخراً عن اتفاقيات مع الجيش الأميركي. وحين سمحت قطر للولايات المتحدة بأن تتخذ لها قاعدة لمركز قيادتها الرئيس في الخليج في 2002، كان القرار مثيراً للجدل ولكنه كان مفضلاً لدى جميع القطريين. ثم استضافت قطر مقر قوات التحالف في أثناء غزو العراق في 2003. إن الحكومة والشعب مؤيدان بعامة للغرب؛ مع ذلك، نظراً للأحداث المتغيرة، نُصح الجنود بتجنّب الدوحة، وخاصة في مجموعات كبيرة.

خطا التعليم خطوات عديدة إلى الأمام وله الأولوية في التمويل. نسبة معرفة القراءة والكتابة 85%. وتبذل قطر جهوداً لجذب الطلاب الأجانب لدراسة العربية في جامعة قطر، وتقدم المنح لهذا الهدف. ومن خلال مبادرة من المؤسسة القطرية، ترعاها زوجة

الحاكم، تم توقيع اتفاقيات تبادلية مع خمس جامعات أميركية حتى الآن: جامعة تكساس إي آند إم، كلية كورنيل للطب، جامعة كارنيجي ميلون، جامعة جورج تاون، وجامعة فرجينيا كومونوليث. توجد كذلك بعض برامج التبادل الصغيرة. وقد خُصصت منطقة ضخمة لمجمع سيُدعى مدينة التعليم⁸.

ما تزال البنية الاجتماعية لقطر قبلية؛ ويعيش كثير من الناس في مجتمعات فيها عدة عائلات تجمعها القرابة. وبدأ الشبان المتعلمون بشغل المناصب الإدارية والمهنية. وتؤلف النساء القطريات حالياً 13% من قوة العمل، ولكن كثيرات منهن صرن متعلمات. والآن أكثر من نصف موظفي وزارة التربية نساء، وكذلك الوزير. يُسمح للنساء القطريات بقيادة السيارات وارتداء الجينز والبنطلونات⁹. وقد صوّتت النساء لأول مرة في 1999 وشاركن في السياسة منذ هذا التاريخ. إن قطر والبحرين هما الدولتان الخليجيتان الوحيدتان اللتان تسمحان للنساء بالترشح للمناصب.

القطريون ودودون ومحبون للأجانب، وقد عاش كثير من الأجانب في قطر لسنوات.

الإمارات العربية المتحدة

إن الإمارات العربية المتحدة هي اتحاد لمناطق صغيرة أنشئت كدولة مستقلة بين 1971 و 1972 عبر توحيد سبع دول (سمتها بريطانيا دول الهدنة لتغيير الاسم السيئ، ساحل القراصنة). إن عدد السكان

مجتمعين هو 2,6 مليون نسمة (وتذهب بعض التقديرات إلى أنه 4 مليون)¹. ويؤلف مواطنو الإمارات العربية المتحدة 20% من السكان، ويعيش 40% منهم في أبو ظبي. وتبلغ نسبة التمدن في هذه البلدان 87%. وهناك كثير من العمال الأجانب بحيث أن 71% من عدد السكان ذكور. وتعمل الحكومة على زيادة عدد مواطنيها في القوة العاملة.

إن أبو ظبي هي أكبر الأراضي في البلاد، وتؤلف 87% من مساحة الإمارات العربية المتحدة. أبو ظبي هي العاصمة. ودبي هي الميناء الرئيس وصارت مركزاً تجارياً ضخماً ومزدهراً لمنطقة الخليج كلها. أنشأت المدينة مركز دبي المالي العالمي، مما جعلها مركزاً مالياً إقليمياً يوازي نيويورك ولندن².

لقد انعكس توحيد الإمارات بشكل جيد على الإمارات كلها، ويدرك حكام الدول الأصغر أنهم حققوا درجة عالية من النفوذ والفائدة الاقتصادية من خلال التحالف مع جيرانهم الأكبر وهذا لن يكون ممكناً بطريقة أخرى. إن السكان مسلمون عرب ويشكل السنة حوالي 80% منهم والشيعية 20% ويحكم السنة الدول السبع.

بدأت أبو ظبي بإنتاج النفط في 1962، والشارقة في 1973. وقد طرأ تحول جذري على الحياة: صارت قرى الصيد الصغيرة السابقة مدناً حديثة مليئة بالأبنية الشاهقة والطرق السريعة العملاقة. أما الإمارات الأربع الأخرى الصغيرة (عجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة) والتي في كل منها عدد سكان قليل، فإنها لا تملك نفطاً وتتغير ببطء أكبر. وقد تغيرت البلاد برمتها.

إن دخل الفرد في الإمارات العربية المتحدة هو ثاني أعلى دخل في منطقة الخليج. ويشكّل النفط 88% من عائدات الحكومة. وفي السابق، كان الناس يكسبون رزقهم من الصيد وتجارة اللؤلؤ والزراعة في الواحات وتربية الماشية. إن أبو ظبي ودبي هما الإماراتان الوحيدتان اللتان تسهمان بتمويل الإمارات العربية المتحدة³. وتكسب كل الإمارات النقود من خلال بيع طوابع بريدية غرائبية!

تم وضع برامج طموحة في التعليم والصحة والإنتاج الزراعي (لم يكن هناك أراضٍ صالحة للزراعة، فقط الواحات). إن نسبة معرفة القراءة والكتابة هي 79% ومتوسط العمر 77 سنة. وما يزال المجتمع تقليدياً جداً ومحافظاً (على الأقل خارج المدن). النساء محجبات وتشارك معظمهن قليلاً في الحياة العامة. لكن هذا يتغير بعد أن تم تشجيع تعليم المرأة بقوة من قبل الحكومة على المستوى الجامعي؛ 70% من النساء المؤهلات يسجلن في الجامعة. وتشكل النساء حوالي 12% من قوة العمل و65% من المدرّسين. لا يمتلكن حتى الآن حق الاقتراع.

هناك على الأقل سبع جامعات (وهذا يعتمد على كيفية تأويل مصطلح جامعة)، بما فيه الجامعة الأميركية في دبي والجامعة الأميركية في الشارقة⁴. ويمتلك الجيش الأمريكي برنامجاً لتدريس العربية، ويدرس عدد متنامٍ من الطلاب الغربيين هناك.

إن سكان الإمارات العربية المتحدة أغنياء وتم استتصال الفقر في هذه البلاد، وهم مشهورون بأنهم أكبر المنفقين للنقود في العالم العربي⁵. إن كثيراً منهم وديون ولطيفون، والبعض الآخر متحفّظ.

عُمان

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية، في موقع استراتيجي مهم جداً عند مدخل الخليج العربي. وهي أكبر من بلدان الخليج الأخرى ولكنها ليست غنية مثلها. يحكم عمان سلطان، حكمت أسرته البلاد منذ 1744 (بعد الحصول على الاستقلال من إيران).

كان عدد سكان عُمان تقريباً 3 مليون في 2004، 20% منهم أجنبي (أكثر من نصفهم من شبه القارة الهندية وأجزاء أخرى من آسيا). إن 85% من المواطنين العمانيين عرب، والبقية زنجباريون وبلوش أو من أصل جنوب آسيوي. يتحدث الجميع تقريباً العربية؛ وما تزال بعض اللغات السامية غير العربية تُنطق في أقصى الجنوب. وما تزال القبلية المصدر الرئيس للهوية بالنسبة للشعب العماني.

إن حوالي 70% من العمانيين ينتمون إلى طائفة الإباضيين (وهي فرع من المسلمين الشيعة)، والتي أسهمت في اتجاه انعزالي في الماضي. 25% سنة. والهندوس الهنود هم الأقلية الرئيسة غير المسلمة؛ وقد استقروا في عمان لقرون.

أجبرت عمان على أن تصبح محمية بريطانية في 1891 بسبب القرصنة؛ وفي الحقيقة، إن كلمة musketeer (المسكيتي)* كانت تشير بالأصل إلى شخص ما من مسقط. وحصلت عمان على استقلالها في 1971.

* جندي مسلح بمسكيت، والمسكيت بندقية قديمة الطراز خاصة بالمشاة كانت تُستخدم في القرن السادس عشر. (المترجم).

فاقم اكتشاف النفط في 1967 فقدان الصبر من السلطان العجوز الذي كان رجعيًا وظالمًا، والذي أجاز العبودية، وفرض البؤس والمرض والامية والقيود الاجتماعية على المواطنين العمانيين (منع التدخين والسفر داخل البلاد). كل هذا جعل 600,000 شخص يذهبون إلى المنفى. أنفق دخل النفط على الدفاع فقط. وفي 1970 أُطيح بالسلطان على يد ابنه قابوس المتعلم في بريطانيا، والذي ما يزال يحكم وهو مشهور جداً. وقد بدأ بالتحديث الشامل للبلاد.

شهدت عمان، في عهد قابوس، تغييراً درامياً في الصحة والتعليم والتطور التجاري. أدخل الكهرباء والهواتف والإذاعة والتلفزيون والتعليم العام والطرق والمستشفيات وبرامج الصحة العامة منذ 1970. إن 78% من دخل عمان يأتي من النفط، ولكن 40% من السكان ما يزالون يعملون في زراعة الواحات وفي الصيد. وبالرغم من أن عمان تملك كمية معتبرة من الأراضي الصالحة للزراعة فإنها تفتقر إلى اليد العاملة والماء. وفي مناطق الداخل البعيدة تجمع الناس صلة قليلة مع بقية البلاد.

وبسبب هذا التطور، بدأت الحياة تتحسن، بنحو كبير. ووصلت نسبة معرفة القراءة والكتابة إلى 76% (من 18% في 1970)، بسبب برامج محو الأمية للكبار. إن 63% من الأطفال المؤهلين هم في المدارس. وبسبب الرعاية الصحية المتحسنة كانت نسبة النمو السكاني مذهلة. فبين 1965 و 1990 بلغت ثلاثة أضعاف، وهي الآن حوالي 3.5% سنوياً. 42% من السكان هم تحت سن الرابعة عشرة. معدل الأطفال هو 6 لكل امرأة، ومتوسط العمر 73 سنة¹.

يعد السلطان أكثر الحكام تجديداً في الخليج. وقد شجّع مجالين بنحو خاص: التعليم العالي ومشاركة النساء في المجتمع. إن جامعتي عمان، وكليات الطب والهندسة والأعمال وغيرها برهان على التزام السلطان بهدفه الأول. والهدف هو إخراج العمال الأجانب تدريجياً بحيث يكون جميع أفراد قوة العمل في 2010 عمانيين². وقد انضمت عمان إلى منظمة التجارة العالمية في 2000.

كان قابوس ناجحاً أيضاً في هدفه الثاني: في 2004، كان 70% من طلاب الجامعات نساء. 18% منهن في القوة العاملة، وهذا يزداد بسرعة. تستطيع النساء التصويت؛ وقد منح الحاكم حق الاقتراع لكل من هم في سن الواحد والعشرين وما فوق، منهيماً القيود التي لم تكن تسمح إلا لربع السكان بالتصويت³.

إن عمان قائد في الخليج من زاوية وجود النساء في الحكومة. وفي أواخر 2004 عيّنت امرأة وزيرة للتنمية الاجتماعية؛ وهي ثالث امرأة تحتل حقيبة وزارية والرابعة بمرتبة وزارية. هناك تسع نساء في البرلمان واثنان في المجلس الاستشاري. هناك سفيرة أنثى واحدة في الخارج⁴.

العمانيون ودّيون جداً ودافئون. ويستمتع الأجانب كثيراً بالحياة في هذا البلد.

خاتمة

كلما ازداد تواصلك الاجتماعي وتفاعلك مع العرب تخلّيت بسرعة عن انطباعاتك المستتدة إلى صور نمطية عنهم بسرعة. يتصرف الأفراد على نحو مختلف، ولكن النماذج تبرز إذا بحثت عنها. ستتمكّن في الحال من فهم أفعالهم وردود أفعالهم والتنبؤ بها، وبعضها يمكن أن يكون مختلفاً عما تتوقّعه. إن مهمتك هي أن تكون واعياً لكيفية حدوث الأمور من أجل أن تشعر بارتياح مع النماذج الاجتماعية الجديدة بالسرعة الممكنة.

إن الثقافة العربية معقدة ولكنها ليست غير قابلة للسبر أو غرائبية كلياً؛ ويجدها كثير من الناس مشابهة للحياة في منطقة المتوسط وأميركا اللاتينية*. والعرب واضحون، وعاطفيون، ومليئون بالحماس للحياة، بينما في الوقت نفسه مقيدون بقواعد صارمة وتوقعات اجتماعية. ولا يحتاج الغربيون إلى الشعور بأنهم ملزمون بمحاكاة العرب من أجل أن يُقبلوا. فكل ما هو ضروري للعلاقات المنسجمة هو أن لا يُطلق المرء أحكاماً وأن يتجنب أي أفعال مهينة أو صادمة. إن الغربيين، وخاصة الأميركيين، معتادون على الانفتاح والجره بالمعتقدات والمشاعر. يجب أن تخفف من هذه المباشرة قليلاً حين تعمل مع ثقافة تقيدها التقاليد كما في الشرق الأوسط.

* وهذا يعود جزئياً إلى حقيقة أن العرب حكموا إسبانيا لسبعة قرون قبل اكتشاف العالم الجديد.

إن العرب معتادون على التعامل مع الأجانب ويتوقعون منهم أن يتصرفوا ويلبسوا بنحو مختلف ويمتلكوا أفكاراً مختلفة عنهم. يُسامح الأجانب كثيراً؛ وحتى المحافظون يصفحون، وخاصة حين يثقون بدوافعك. إن الأمر الجوهرى هو القيام بمحاولة مخلصنة حسنة النية للتكيف والفهم. وهذا الموقف واضح بنحو مباشر وسوف يساعدك كثيراً في بناء علاقات العمل المريحة والصدقات. إذا فعلت ذلك، ستُقدم لك التلميحات البارعة: أصغ إليها.

يهتمُّ معظم العرب بالأجانب ويستمتعون بالحديث وتطوير الصداقات معهم. ولكن موقفهم من الغربيين هو خليط من الروع وحسن النية والحذر المدهش. فهم يعجبون بالتعليم الغربى والخبرة، ومعظمهم سمع تقارير جيدة عن الآخرين الذين زاروا البلدان الغربية. ويعبّر كثير من العرب عن الرغبة بزيارة الغرب والدراسة فيه، وفي بعض البلدان، السفر والهجرة إلى البلدان الغربية شعبان.

وفي الوقت نفسه، يشعر العرب أن المجتمعات الغربية متحررة جداً بطرق كثيرة أو الغربيين غير حريصين بما يكفي على مظهرهم الشخصى والاجتماعى. يشعر العرب بفخر كبير وتُجرح مشاعرهم بسهولة؛ وهكذا، هم حساسون لأي إظهار للعجرفة من قبل الغربيين أو النقد الضمنى. وهم لا يوافقون أيضاً على السياسات الرسمية الغربية في العالم العربى ويستأوون منها.

إن الانتقال إلى بلد عربي أو التفاعل مع العرب يجب ألا يكونا مصدراً للقلق. إذا استخدمت الحس العام، وقمت بجهد كي تكون متفهماً، وطبقت معرفتك للعادات والتقاليد العربية، سيكون من السهل أن تتصرف بطريقة تعكس خلفيتك وبلدك بشكل جيد. وفي الوقت نفسه، ستمر في تجربة غنية ومكافئة.



الملحق: اللغة العربية

إن تعلّم العربية جوهريٌّ من أجل فهم حقيقي للمجتمع وللثقافة العربية. إذا نويت أن تدرس العربية يجب أن تختار النمط الذي يناسب حاجاتك بنحو أفضل.

يربط العرب متعلّمي اللغة العربية الغربيين بالباحثين، الذين (في الماضي) مالوا إلى التركيز على اللغة العربية الكلاسيكية، وهكذا إذا سألت عربياً أن يشرح لك دروساً في العربية، سيرغب عادة بالبداء بالأبجدية والتشديد على القراءة. أما إذا كنت مهتماً فقط بتعلّم المحكية فيجب أن توضح هدفك من البداية.

حين تتحدث العربية، ستجد أن استخدامك حتى لأبسط العبارات، مهما كان لفظها سيئاً، ينتج ابتسامة فورية وتعليق إعجاب. ولقد مررت في مئات المناسبات التي قادت فيها رغبتني بالتحدث بالعربية إلى تجربة ممتعة. والمثال على ذلك هو أنني مرة كنت أتسوّق في بلدة صغيرة في لبنان وأمضيتُ حوالي نصف ساعة أتحدّث مع مالك أحد المحلّات. حين كنت على وشك المغادرة أصرّ على منحي جملاً نحاسياً صغيراً: «لأنك تتحدّثين العربية».

يشعر العرب بالإطراء من جهودك لتعلم لغتهم (بالرغم من أنهم مقتنعون أنه لا أجنبي يستطيع أن يتقنها)، وسيفعلون أي شيء لتشجيعك. إن التحدث بقليل من العربية أداة مفيدة لبناء الصداقات وإظهار النية الحسنة.

اللهجات المحلية

تقع اللهجات العربية في خمس فئات جغرافية

تأثير محلي أو تأثير لغة أخرى	اللهجات	الفئة
البربرية	المغربية الجزائرية التونسية الليبية الموريتانية	1. شمال إفريقيا (العربية الغربية)
التركية، القبطية، النيلية	المصرية السودانية	2. المصرية/السودانية
اللغات السامية المحلية (الآرامية، الفينيقية، الكنعانية)	اللبنانية السورية الفلسطينية	3. المشرقية

4. الخاصة بشبه الجزيرة العربية	الأردنية السعودية اليمنية الكويتية البحرينية القطرية الإماراتية العمانية	الفارسية (في دول الخليج)، اللهجات البدوية، اللغات العربية الجنوبية.
5. العراقية*	العراقية	اللغات السامية المحلية (الآشورية والكلدانية والفارسية والتركية)

ينحصر متحدثو اللهجات في فئتين: المصرية/ السودانية والمشرقية، وتواجههم صعوبة قليلة نسبياً في فهم بعضهم بعضاً. أما اللهجات الشمال إفريقية، العراقية، والخاصة بشبه الجزيرة العربية، فيجد العرب الآخرون صعوبة في فهمها.

إن الفروق الأكثر تبيداً تحصل في المفردات، بالرغم من أن هناك اختلافات نحوية أيضاً. يجب وضع هذه التنوعات في الحسبان حين تختار لهجة كي تدرسها، بما أنه من غير المفيد دراسة لهجة مختلفة عن تلك التي تُتطرق في البلاد التي أنت ذاهب إليها.

* إن العراقية لهجة غير مدنية، ولها ثلاث تنوعات متميزة، على غرار الكويتية والأردنية.

تتنوع العبارات والكلمات البسيطة كالتحيات بشكل كبير بينما الكلمات التقنية والمعرفية هي نفسها عادة. ويتخلص المتعلمون العرب من هذه المشكلة باستخدام كلمات كلاسيكية، ولكن من المرجح أكثر بالنسبة للأجنبي أن يجرب كل لهجة كلغة مختلفة. ما يلي أمثلة على فروق بين اللهجات:

مختلفة قليلاً				
المغربية	السعودية	المصرية		
werqa	waraga	Wara'a		ورقة
المصرية	المغربية	الأردنية		
gameela	jmila	jameela		جميلة
اللبنانية	التونسية	السعودية		
Ti'eel	thaqeel	tageel		ثقيل
مختلفة بنحو كامل				
التونسية	العراقية	المصرية	اللبنانية	
شنيا	شلونك؟	إزايك؟	كيفك؟	كيف حالك؟
حوالك				
السعودية	الأردنية	المصرية	المغربية	
داحين	هلاً	دلوقت	دابا	الآن
المصرية	المغربية	الكويتية	اللبنانية	
كوييس	مزيان	زين	منيح	جيد

المواقف من اللهجات

يميل العرب إلى النظر إلى لهجتهم على أنها الأنقى والأقرب إلى العربية الكلاسيكية؛ وقد شهدت دفاعاً قوياً عن هذا الزعم من المغرب

إلى العراق. وفي الحقيقة، حين تكون لهجة أكثر قرباً إلى الكلاسيكية في إحدى السمات، فإن لهجة أخرى تكون أكثر قرباً في سمة أخرى. لا يمكن الدفاع عن لهجة واحدة بنجاح على أنها نقية إلا ربما اللهجة النجدية السائدة في وسط شبه الجزيرة العربية، والتي كانت أكثر عزلة عن اللهجات غير العربية.

ينظر العرب إلى اللهجات البدوية على أنها شبه كلاسيكية وبالتالي مثيرة للإعجاب، بالرغم من أنها عتيقة الطراز قليلاً. ويجد معظم العرب أن المحكية المصرية هي الأكثر استساغة بسبب جزالة لفظها. ويميل العرب الشرقيون إلى التقليل من أهمية العربية الغربية (الشمال إفريقية، وذلك بسبب صعوبة فهم المحكية، الأمر الذي يعزونه، خطأً، إلى استعمال الألفاظ البربرية). إن معظم الفروق بين العربية الشرقية والعربية الغربية تنشأ من تغييرات في اللفظ والتشديد على الكلمة.

ونظراً لأن العرب ينظرون إلى محكيّتهم على أنها الأفضل، فإنهم يسرعون في نصح الأجانب بأن لهجتهم هي الأكثر فائدة، ولكن الفائدة تعتمد بنحو كامل على المكان الذي أنت فيه في العالم العربي.

بنية العربية

إن بنية العربية هي مثل جميع اللغات السامية. وسمتها الأبرز هي الطريقة التي تُشتق بها الكلمات، والتي تُدعى الاشتقاق من «المصدر». المصدر هو مجموعة من ثلاثة أحرف ساكنة تحمل معنى الكلمة.

الأحرف الصائتة في الكلمة تشكل نماذج، وبحسب تداخلها مع الساكنة، تحدد النوع الصرفي للكلمة. للأحرف الساكنة والصائتة وظائف مختلفة في الكلمة، وسوية، أي امتزاجهما يقدم مفردات غنية. إليكم بعض الأمثلة من العربية الكلاسيكية، جذور مميزة ونماذج (يمكن أن تحتوي النماذج على لواحق - مقاطع صوتية إضافية تضاف في البداية، والوسط، أو في نهاية الكلمات).

المعنى		
كتب	K - t - b	الأصول
ركب	R- K- B	
(فعل منجز، الماضي)	-A-(A)-A	النماذج
وسيط	(i)	
	-AA-I-	
مكان (حيث تم الفعل)	MA-A-	
	كلمات	
	كتب	
	ركب	
	كاتب	
	راكب	
	مكتب	
	مركب	
	مركبة	

فيما أنت تتعلم المفردات، ستلاحظ أن الكلمات التي لها المعنى الجوهري نفسه تأتي في صيغ متنوعة، ولكنها كلها تقريباً يمكن اختزالها إلى قاعدة ثلاث أحرف ساكنة. مثلاً، إن الكلمات التي فيها الأحرف الساكنة: الكاف والتاء والباء:

كتاب

كتابة

مكتبة

مكتوب

إن أسماء الأشخاص في العربية لها معنى عادة. إليكم مجموعة من الأسماء من نفس قاعدة الأحرف الساكنة الثلاثة: الحاء والميم والdal، والتي تعني حمد:

محمد حمدي

محمود حمادي

حميد حمود

حامد أحمد

لهذا ترى أن الأجانب يجدون الأسماء العربية مشوشة.

إن اللفظ العربي يُستخدم كثيراً من الأصوات التي لا توجد في الإنكليزية، ومعظمها أحرف صامتة تُنتج في أعلى الحلق والحنجرة. تظهر بعض هذه الأحرف الساكنة في التهجئة الإنكليزية للكلمات، مثل

GH (بغداد)، KH (الخرطوم)، Q (قطر) و DH (الرياض). في اللغة العربية الكلاسيكية هناك 28 حرفاً ساكناً، وثلاثة صائتة طويلة، وثلاثة صائتة قصيرة. وفي المحكيات العربية، أسقطت بعض الأحرف الساكنة أو اختلطت بأخرى، أضيفت بعض الأحرف الساكنة والصائتة - وهذه سمات تميّز لهجة عن أخرى.

الكتابة العربية

في الأبجدية العربية ثمانية وعشرون حرفاً وتُكتب من اليمين إلى اليسار، وتُكتب الأرقام من اليسار إلى اليمين. وتتصل معظم الحروف مع ما قبلها وما بعدها في الكلمة نفسها. أحياناً يُكتب صوتان أو ثلاثة بالحرف نفسه؛ وفي هذه الحالة تُفَرِّق عن بعضها بترتيب النقاط، مثلاً:

ب b	ر r	س s
ت t	ز z	ش sh
ث th		

ولأن الأحرف الساكنة تحمل معنى الكلمات، فإن الأبجدية العربية (على غرار الأبجديات السامية) تشتمل فقط على الأحرف الساكنة والأحرف الصائتة الكبيرة (على سبيل المثال aa، الذي هو حرف صائت مختلف عن a يطول لفظه أكثر). لا تظهر الأحرف الصائتة القصيرة في الأبجدية لأنها تأتي في صيغ قابلة للتنبؤ. إن الإشارات الإضافية (العلامات الصوتية المميّزة) تحدد الأحرف الصائتة

القصيرة، الأحرف الساكنة المضاعفة، وما شابه، ولكن هذه لا تُستخدم إلا في نصوص للمبتدئين . وهي متضمنة في النص القرآني من أجل ضمان القراءة الصحيحة.

من السهل تعلم الأعداد في العربية. نشير إلى أعدادنا بأنها «أعداد عربية» لأن نظام استخدام رمز واحد للأعداد من 0 إلى 9 وإضافة قيمة منزلية* للعشرات، والمئات، وإلى ما هنالك، استعير من العرب ليحل مكان نظام الأعداد الرومانية.

مع ذلك، وبالرغم من أن أعدادهم تُستخدم بنفس الطريقة كأعدادنا، فإنها ليست متشابهة (خاصة 5 و6 اللذان يبدوان مثل الصفر و7 لدينا).

			0 0	6 6
			1 1	7 7
			2 2	8 8
			3 3	9 9
			4 4	10 10
79	790	100	345	1963
97	790	100	345	1963

هناك أساليب عدة من الكتابة اليدوية، وتختلف في كل منها أشكال الأحرف الفردية بنحو ضئيل. فالفرق بين الكتابة الشمال إفريقية أو الغربية، على سبيل المثال، والكتابة الشرقية ملحوظ بخاصة.

* القيمة المنزلية هي القيمة التي يكتسبها الرقم، في عدد ما، في حكم وجوده في منزلة بعينها من منازل ذلك العدد. (الترجم).

فن الخط كشكل فني

إن فن الخط الزخرفي، كما يمكن أن تخمّن، هو أحد أعلى التعبيرات الفنية في الثقافة العربية. فمعظم أحرف الأبجدية مليئة بالمنحنيات المزهّرة، بحيث أن الفنان يستطيع أن يصوغها بسهولة في تصميمات محكمة. ويجسّد فن الخط غالباً الآيات القرآنية أو الأمثال المفضّلة، والصيغ هي غالباً موازنة بنحو جميل ومعقّدة. فالتصميمات الخطيّة تُستخدم على نطاق واسع لتزيين المساجد والنصب التذكارية والكتب والأشياء المنزلية كالصينيات النحاسية.

تطوّر فن الخط والتصميمات الهندسية الأرابيسكية بسبب الحظر الإسلامي للوحات والتمائيل في أمكنة العبادة. وهذا التشديد واضح جداً في العمارة الإسلامية.

التحيات الاجتماعية

يستخدم العرب كثيراً من التحيات والمباركات الواضحة والجميلة وفي جميع المواقف. ومعظم هذه التعبيرات يمكن توقعها - فكل موقف يستدعي كلماته واستجاباته الخاصة. إن التعبيرات الخاصة بالمواقف توجد في الإنكليزية، وهي قليلة، على غرار: «كيفك؟ شكراً لك/ أهلاً بك»، و«طاب يومك». أما في العربية فهناك على الأقل ثلاثون موقفاً يستدعون تعبيرات مصممة مسبقاً. وبالرغم من أن هذه صعبة الحفظ على طلاب العربية فإن من المريح معرفة أنك تستطيع أن تشعر بالأمان حيال ما تقوله في جميع المواقف الاجتماعية تقريباً.

هناك صيغ للسلام في الصباح والمساء، للقاء بعد طول غياب، للقاء لأول مرة، وللترحيب بشخص عاد من رحلة. وهناك صيغ للإقرار بالإنجازات، والصفقات، والزواج، أو الموت وللتعبير عن أطياب الأمنيات حين ينخرط شخص في مهمة، ويخلق شعره. تقتضي جميع هذه المواقف ردوداً وتُجَمَّل في التعبير وهي عادة دينية المحتوى. إليكم ببعض الأمثلة:

الترجمة العربية (السلام/الرد)	الإنكليزية (السلام/الرد)
صباح الخير/صباح النور	Good morning\Good morning
مع السلامة/الله يسلمك	Good- bye\ Good-bye
الحمد لله على سلامتك/الله يسلمك	Happy to see you back\Thanks
الله يقويك/قواك الله	تقال حين يكون الشخص في حالة عمل
أله يسهّل عليك	تقال أثناء مناقشة خطط مستقبلية
تصبحوا على خير/وأنتم من أهله	Good night\ Good night
سلامتك	I'm making a trip.What can I bring
	you?\What would you like?

أتمنى أن تكون جيدة إنشاء الله
تُستخدم تعبيرات الحديث الطقسية كثيراً في العربية. فأحياناً يمكن أن يستمر التبادل لمدة خمس أو عشر دقائق، وخاصة بين الناس الأكبر والأكثر تقليدية.

للعرب عادة ساحرة في مخاطبة الغرباء بمصطلحات قرابة، توحى بالاحترام والنية الحسنة في الوقت نفسه. وقد صُعق كاتب غربي من استخدام هذه المصطلحات مع الغرباء في المجتمع اليمني (وهي تُستخدم على نطاق واسع في أمكنة أخرى)

«يا أخ، هل أستطيع مساعدتك؟»

«خذي هذه التاكسي، يا أختي، سأجد أخرى.»

«يا أمي، هذا أفضل ما أستطيعه.»

«أنت محق، يا عمي»¹.

تقتضي آداب السلوك كلمات طقسية كهذه في مواقف كثيرة. فمقابلة الطفل الصغير تستدعي المديح الحريص له مع الدعاء: «ليحفظك الله» أو «هذا ما يشاء الله». تطمئن أقوال كهذه الوالدين أنك لست حسوداً (وبالتأكيد لن تضيف: «أتمنى أن يكون عندي طفل مثله»). إن المباركة يجب أن تستخدم حين ترى شيئاً له قيمة كسيارة جديدة أو منزل جديد. حين يشتري شخص شيئاً ما، حتى ولو كان صغيراً، فإن الكلمة المعتادة هي مبروك. وفي ما يلي أكثر العبارات شيوعاً:

العربية	الإنكليزية
مرحبا/مرحبتين	Hello\Hello
صباح الخير/صباح النور	Good morning\Good morning
السلام عليكم/وعليكم السلام	Peace be upon you\And upon you peace
مع السلامة/الله يسلمك	Good bye\Goodbye\Go with safety\May God make you safe.
شكراً/عفواً	Thank you\you're welcome
مبروك/الله يبارك فيك	Congratulations\Thank you (Blessed\May God bless you)

Welcome\Thanks (Welcome\Welcome to you)

أهلاً وسهلاً/أهلاً ببيك

If God wills

إنشاء الله (تقال حين تتحدث عن أمر مستقبلي)

What God wills

ما شاء الله.(تقال حين ترى طفلاً أو تطري صحة شخص ما).

Thanks be to God

الحمد لله

Thanks be to God for your safety الحمد لله على السلامة (تقال حين يعود شخص من رحلة أو يشفى من مرض)

تبدو بعض التعبيرات العربية مفخمة بحيث لا يمكن استخدامها في الإنكليزية بنحو مريح. إذ ليست هناك حاجة لاستخدامها بدقة إذا كنت تتحدث الإنكليزية، طالما أنك تعبر عن آمنيات طيبة.

حول المؤلفة

إن مارغريت ك. نايدل باحثة محترمة على نطاق واسع، وهي أستاذة اللغة العربية الفصحى وكثير من اللهجات العربية. وهي الآن أستاذة زائرة في قسم اللغة العربية بجامعة جورج تاون. عملت كمتخصصة في اللغة العربية لمؤسسة الخدمات الخارجية، وزارة الخارجية الأميركية، في واشنطن العاصمة، وأدارت مدرسة التدريب المتقدمة في تونس، العاصمة. وقد ترأست أيضاً مشاريع عديدة لتطوير المواد العربية وأدارت برنامجاً صيفياً حول اللغة العربية في طنجة المغربية.

وتشتمل أعمال الأستاذة نايدل المنشورة على ما يلي:

المنهج الرئيس في المملكة العربية السعودية (1975)

منهج تحديد اللهجة الدارجة العربية (1993)

اللهجة السورية من خلال الفيديو (1995)

وقد ألقت سلسلة من ستة كتب بعنوان من اللغة العربية الفصحى إلى العامية. والمحكيات في هذه السلسلة هي المشرقية، المصرية والعراقية والخليجية، والمغربية، والليبية. وتستخدم كثير من كتب الدكتوراة نايدل كمقررات.

عملت نايدل كمستشارة، وحاضرت حول اللغة العربية والتوجّه الثقافي العربي منذ 1969 لكثير من الوكالات الحكومية والمؤسسات الخاصة.

تحمل مارغريت نايدل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التطبيقية من جامعة جورج تاون كما تحمل شهادة الماجستير في العربية. وقد عاشت وعملت في المغرب والمملكة العربية السعودية وتونس، وأكملت دراسات ما بعد التخرّج في الجامعة الأميركية في القاهرة. وهي تعمل مستشارة الآن في مركز الدراسات اللغوية المتقدمة حول مشروع تسجيل وتحليل اللهجات الخليجية.



الهوامش

Preface

1. David Fromkin, *A Peace to End All Peace* (New York: Henry Holt, 1989), 306.
2. Raphael Patai, *The Arab Mind* (1973; reprint, Long Island, NY: The Hatherleigh Press, 2002).
3. David Bukay, "Islamic Fundamentalism and the Arabic Political Culture," *NATIV Online*, 3 April 2005, <<http://www.acpr.org.il/english-nativ/index.htm>>.

Introduction: Patterns of Change

1. "Primary School-Age Population" and "Total Secondary Enrollment," *Global Education Database*, U.S. Agency for International Development, Center for Development Information and Evaluation, 2001, <<http://www.esdb.cdie.org>>.
2. "Saudi Arabia: Education," *MapZones*, 2002, <<http://www.map-zones.com>>.
3. "Saudi Arabia: Population, Health and Well-Being," *EarthTrends*, World Research Institute, 2002, <<http://www.earthtrends.wri.org>>.

4. "Middle East and North Africa 2001," *Europa*, European Union, 2001, <<http://www.europa.edu.int>>.
5. "Tertiary Gross Enrollment Ratio," *Global Education Database*, U.S. Agency for International Development, Center for Development Information and Evaluation, 2002, <<http://esdb.cdie.org>>.
6. Elizabeth Fernea, "Islamic Feminism Finds a Different Voice," *Foreign Service Journal* (May 2000): 30.
7. "The World's Women 2004, Trends and Statistics," U.N. Statistics Division, Demographic, 2004, <<http://www.unstats.un.org>>.
8. "Countries in Order of People per Doctor," *World Development Indicators*, 2001, <<http://www.worldbank.org>>.
9. "Physicians per 1000 Population," *Human Development Report 2004, Commitment to Health*, U.N. Development Programme, 2004, <<http://hdr.undp.org/reports/global/2004>>, 159.
10. "Statistics and Indicators on Men and Women," U.N. Statistics Division, Demographic, 2005, <<http://www.unstats.un.org>>.
11. "Population Growth," *Human Development Report 2005*, U.N. Development Programme, 2005, <<http://hdr.undp.org>>.
12. Ibid.
13. "Middle East Population Set to Double," *Popline*, Population Institute, 25 April 2002, <<http://www.populationinstitute.org>>.
14. "Growing Urbanization," *Human Development Report 1999*, UN Development Programme, 1999, <<http://hdr.undp.org>>.
15. Mostafa Kharoufi, "Urbanization and Urban Research in the Arab World," UNESCO, 1996, <<http://www.unesco.org>>.
16. "1999 Revision: Key Findings," *World Urbanization Prospects, World Global Trends*, 1999, <<http://www.t21.ca>>.
17. Mostafa Kharoufi, "Urbanization and Urban Research."
18. "Internet Users per 1,000 People," *Human Development Report 2004*, UN Development Programme, 2004, <<http://www.hdr.undp.org>>.
19. Colum Lynch, "Report Urges Arab Governments to Share Power," *The Washington Post*, 6 April 2005.
20. Marina Ottaway, "Listen to Arab Voices," *The Washington Post*, 5 April 2005.

21. David K. Willis, "The Impact of Islam," *Christian Science Monitor*, weekly international edition, 18–24 August 1984.
22. Ahmad S. Mousalli, *Moderate and Radical Islamic Fundamentalism* (Gainesville: University Press of Florida, 1999), 181–86.
23. Benazir Bhutto, "Politics and the Modern Woman," in *Liberal Islam, A Sourcebook*, edited by Charles Kurzman (New York: Oxford University Press, 1998), 107.
24. Muhammad Sayyid Qutb, "The Role of Religion in Education," in *Aims and Objectives of Islamic Education*, ed. S. N. Al-Attas (Jeddah: King Abdulaziz University, 1979), 60.
25. Osman Bakar, *The History and Philosophy of Islamic Science* (Cambridge, England: Islamic Texts Society, 1999), 214.
26. Thabet Asim, "The Muslim Science Wars: Modern Muslim Discussion on Science," *Muslims Under Progress* (UK), 2005, <<http://www.underprogress.blogs.com>>.
27. "Current Religious Affairs Consultation Meeting, Final Communique," Higher Council of Religious Affairs, 18 May 2002, <<http://www.turkishpolicy.com>>.

Chapter One: Beliefs and Values

1. "Egypt," *Encarta Online Encyclopedia 2005*, Microsoft, 2005, <<http://uk.encyclopedia.msn.com>>.
2. Desmond Stewart, *The Arab World* (New York: Time Life Books, 1972), 9–10.
3. Halim Barakat, *The Arab World: Society, Culture, and the State* (Berkeley: University of California Press, 1993), 21.
4. Patricia Donovan, "The 'Illegitimacy Bonus' and State Efforts to Reduce Out-of-Wedlock Births," *Family Planning Perspectives* 31, no. 2, March/April 1999, <<http://www.agi-usa.org>>.

Chapter Two: Friends and Strangers

1. Recorded December 2004 in Doha, Qatar.
2. David K. Shipler, *Arab and Jew, Wounded Spirits in a Promised Land* (New York: Penguin Books, 1986), 387.

3. Ghada Karmi, *In Search of Fatima, A Palestinian Story* (London: Verso, 2002), 181.

Chapter Three: Emotion and Logic

1. George N. Atiyeh, *Arab and American Cultures* (Washington, DC: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1977), 179.

2. T. E. Lawrence, *The Seven Pillars of Wisdom* (New York: Doubleday, 1926), 24.

Chapter Four: Getting Personal

1. Edward T. Hall, *The Hidden Dimension* (New York: Doubleday, 1966), 15.

2. Anthony Shadid, "Hussein's Baghdad Falls," *The Washington Post*, 10 April 2003.

Chapter Five: Men and Women

1. Dina Ezzat, "Fortifying Women's Rights," *Al-Ahram Weekly*, 17–23 June 2004, <<http://www.weekly.ahram.org.eg>>.

2. Ibid.

3. Elizabeth Fernea, "Islamic Feminism Finds a Different Voice," *Foreign Service Journal* (May 2000): 27.

4. Julia Choucair, "Dates of Women's Suffrage and Current Ministerial Positions Held by Women in Arab Countries," Carnegie Endowment for International Peace, 2004, <<http://www.ceip.org>>.

5. Jim Hoagland, "The Unheralded Revolution," *The Washington Post*, 24 February 2005.

6. Julia Choucair, "Women in Parliament in the Arab World," Carnegie Endowment for International Peace, 2004, <<http://www.ceip.org>>.

7. Joelle Bassoul, "Iraqi Women Poised for Parliament," *The Monday Phenomenon*, 15 February 2005, <<http://www.iafrica.com>>.

8. "Enhancing Women's Political Participation through Social Measures in the Arab Region," *International IDEA*, National Council for Women (Egypt), U.N. Development Programme, 2005, <<http://www.ncwegypt.com>>.

9. Karen Armstrong, *Muhammad, A Biography of the Prophet* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1992), 198.
10. Ibid., 199.
11. Megan Stack, "The Many Layers of the Veil," *Los Angeles Times*, 12 January 2005.
12. Thomas Omstad, "The Casbah Connection," *U.S. News and World Report*, 9 May 2005, 28.
13. Theodore Bergstrom, "On the Economics of Polygyny," Centre on Economics Learning and Social Evolution (ELSE), 1994, <<http://www.netec.mcc.ac.uk>>.
14. Bernard Lewis, "Targeted by a History of Hatred," *The Washington Post*, 10 September 2002.
15. Donna Lee Bowen and Evelyn A. Early, eds., *Everyday Life in the Muslim Middle East* (Bloomington: Indiana University Press, 1993), 77.
16. "Quotation of the Day," *The New York Times*, 13 April 2005.

Chapter Six: Social Formalities and Etiquette

1. Aida Hasan, "Arab Culture and Identity—Arab Food and Hospitality," *Suite University Online*, 1999, <<http://www.suite101.com>>.

Chapter Eight: The Role of the Family

1. Thomas Collelo, ed., *Syria: A Country Study*, 3 ed. (Washington DC: Department of the Army, 1988), 81–82.
2. Alean Al-Krenawi, and John R. Graham, "Principles of Social Work Practice in the Muslim Arab World," *Arab Studies Quarterly* 25, no. 4 (Fall 2003): 85.
3. "Fatima Urges Protection of Arab Family," *UAE Interact*, Ministry of Information and Culture, 1999, <<http://www.uaeinteract.com>>.
4. Hanan Hamamy, "Consanguineous Marriages in the Arab World," National Centre for Diabetes, Endocrinology and Genetics, Amman, Jordan, *The Ambassadors*, July 2003, <<http://www.ambassadors.net>>.
5. Ibid.

Chapter Nine: Religion and Society

1. Ziauddin Sardar, *Introducing Muhammad* (New York: Totem Books, 1994), 48.
2. Thomas Lippman, *Understanding Islam, An Introduction to the Muslim World* (New York: Penguin Books, 1990), 13.

Chapter Ten: Communicating With Arabs

1. Leslie J. McLoughlin, *Colloquial Arabic (Levantine)* (London: Routledge and Kegan Paul, 1982), 2–3.

Chapter Eleven: Islamic Fundamentalism (Islamism)

1. Daniel Pipes, *Militant Islam Reaches America* (New York: W.W. Norton & Co., 2003), 247, 248.
2. Mark Clayton, "How Are Mosques Fighting Terror?" *Christian Science Monitor*, 12 August 2004.
3. Steven Emerson, *American Jihad, The Terrorists Living Among Us* (New York: Free Press, 2002), 41.
4. Eric Boehlert, "Terrorists under the Bed," *Salon.com*, 5 March 2002, <<http://www.salon.com>>.
5. Abdul Wahab Bashir, "Scholars Define Terrorism, Call for Joint Action to Defend Islam," *Arab News*, 12 January 2002, <<http://www.arab-news.com>>.
6. Karen Armstrong, *Muhammad, A Biography of the Prophet*, (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1992), 168.
7. Riad Saloojie, "The Nature of Islam," *The Globe and Mail* (Canada), 16 January 2000, <<http://www.theglobeandmail.com>>.
8. Daniel Williams, "Unveiling Islam: Author Challenges Orthodox Precepts," *The Washington Post*, 7 March 2005.
9. Peter Williams, "Fighting through Listening," *Al-Ahram Weekly*, 8–14 April 2004, <<http://www.ahram.org.eg>>
10. "Worldwide Suicide Rates," Suicide and Mental Health Association International, February, 2005, <<http://www.suicideandmentalhealthassociationinternational.org>>.

11. Jackie Spinner, "An Attack Burns Anguish into Kurdish Region," *The Washington Post*, 6 February 2005.
12. "Islam, Jihad, and Terrorism," Institute of Islamic Information and Education, 14 October 2004, <<http://www.iiie.net>>.
13. Jonathon Steele, "Terrorism Is Not an Enemy State that Can Be Defeated," *The Guardian* (UK), 23 November 2003, <<http://www.guardian.co.uk>>.
14. "Spanish Muslims Issue Fatwa against Usama," *U.S. and World*, Fox News.com, 11 March 2005, <<http://www.foxnews.com>>.
15. Deborah Caldwell, "Something Major Is Happening: Are We Witnessing the Beginnings of an Islamic Reformation?" *Beliefnet*, December 2001, <<http://www.beliefnet.com>>.
16. Mary Beth Sheridan, "Sensitizing Police Toward Muslims," *The Washington Post*, 6 October 2003.
17. "Report Instances of Extremism or Support of Terrorism," *Free Muslims Against Terrorism*, 2005, <<http://www.freemuslims.org>>.
18. Erica Simmons, "A Passion for Justice," *New Internationalist*, no. 210, August 1990, 9.
19. Robin Wright, "In Mideast, Shiites May Be Unlikely U.S. Allies," *The Washington Post*, 16 March 2005.

Chapter Twelve: Anti-Americanism

1. Khaled Dawood. "Arab Opinions," *Al-Ahram Weekly*, 30 July 2004, <<http://www.ahram.org.eg>>
2. James J. Zogby, *What Arabs Think* (Washington, DC: Zogby International, 2002), 64.
3. Jonathon Schell, "Iraq's Unpredictable Politics," *The Nation*, 11 February 2005, <<http://www.thenation.com>>.
4. Ussama Makdisi, "Anti-Americanism in the Arab World: An Interpretation of a Brief History," *Journal of American History* 89, no. 2 (September 2002): 538-39.
5. Mahmoud Al-Tohami, "The Reasons for the Enmity and Hatred," *Alam-al-Youm* (Egypt), 1 September 2002, <<http://www.worldpress.org>>

6. Shibley Telhami, *The Stakes* (Boulder, CO: Westview Press, 2002), 39.
7. Sheldon Richman, "Another Frankenstein's Monster," *Commentaries*, The Future of Freedom Foundation, 27 December 2002, <<http://www.fff.org/comment>>.
8. Rashid Khalidi, *Resurrecting Empire: Western Footprints and America's Perilous Path in the Middle East* (Boston: Beacon Press, 2004), xii.
9. Scott McConnell, "Why Many Arabs Hate America," Media Monitors Network, 12 September 2001, <<http://www.mediamonitors.net>>.
10. "CIA Insider: The Threat We Refuse to Get," *The Washington Post*, 11 July 2004.
11. Anthony Shadid, "Old Arab Friends Turn Away from U.S.," *The Washington Post*, 26 February 2003.
12. Larry Johnson, "Commentary," *Seattle Post Intelligencer*, 20 June 2004, <<http://www.seattlepi.nwsource.com>>.
13. M. Shahid Alam, "The Clash Thesis: A Failing Ideology?" Common Dreams News Center, 2004, <<http://www.commondreams.org>>
14. "Complete Text of President Bush's National Address," *Globe and Mail* (Canada), 12 September 2001, <<http://www.theglobeand-mail.com>>
15. Gilbert P. Blythe, "We Are All Jews Now," *The Last Ditch*, WTM Enterprises, 19 October 2003, <<http://www.thornwalker.com>>.
16. Donald Rumsfeld, "Rumsfeld on Message of 9-11," International Broadcasting Bureau, U.S. Government, 11 September 2002, <www.ibb.gov>.
17. Alam, "The Clash Thesis."
18. Ibid.
19. John McCain, "The Road to Baghdad," *Time*, 9 September 2002, 107.
20. Philip Kennicott, "An About-Face on America," *The Washington Post*, 24 August 2004.
21. Rime Allaf, "Dangerous Delusions," *The Daily Star* (Beirut), 3 October 2001, <<http://www.worldpress.org>>.

22. Ralph Peters, *Beyond Terror* (Mechanicsburg, PA: Stackpole Books, 2002), 35.
23. Ibid., 54.
24. "Why the Islamic World Has Such Hate for the U.S." *Hardball with Chris Matthews*, MSNBC, 19 October 2001, <<http://www.msnbc.msn.com>>.
25. "Hughes's Role To Be Outreach to Muslims," *The Washington Post*, 15 March 2005.
26. Robin Wright, "U.S. Struggles to Win Hearts, Minds in the Muslim World," *The Washington Post*, 20 August 2004.
27. Ibid.
28. Michael Holtzman, "Washington's Sour Sales Pitch," *The New York Times*, 4 October 2003.
29. Karin DeYoung. "Poll finds Arabs Dislike U.S. Based on Policies It Pursues," *The Washington Post*, 7 October 2002.
30. Ranae Merle, "Pentagon Funds Diplomacy Effort," *The Washington Post*, 11 June 2005.
31. Edward Djerejian (Chairman), "Changing Minds, Winning Peace," (submitted to the Committee on Appropriations, U.S. House of Representatives), 1 October, 2003, 5.
32. Barry Rubin, "The Real Roots of Arab Anti-Americanism," *Foreign Affairs*, (November/December 2002): 80.
33. Lee Smith, "Democracy Inaction: Understanding Arab Anti-Americanism," *Slate*, 23 April 2004, <<http://www.slate.msn.com>>.
34. Bernard Lewis, "The Roots of Muslim Rage," *The Atlantic Monthly* 266, no.3 (September 1990): 56.
35. _____, "Targeted by a History of Hatred," *The Washington Post*, 10 September 2002.
36. Samuel P. Huntington, "The Clash of Civilizations," *Foreign Affairs* 72, no. 3 (Summer 1993): 31-32.
37. _____, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: Simon and Schuster, 1996), 211.
38. Mary McGrory. "Nuancing the Mideast Dilemma," *The Washington Post*, 14 April 2002.

39. Dawood, "Arab Opinions."
40. "UN Report: Most Arab Youth Want to Emigrate to Europe, U.S.," *World Tribune.com*, 21 July 2002, <<http://www.worldtribune.com>>.
41. "Anti-Americanism: What's New, What's Next?," *World Economic Forum*, 2002, <<http://www.weforum.org>>.
42. Sharon Waxman. "I Love You, Now Go Away," (quoting Farouk Hosny, Egyptian Minister of Culture), *The Washington Post*, 17 December 2001.
43. DeYoung, "Poll Finds Arabs Dislike U.S."
44. Dafna Linzer, "Poll Shows Growing Arab Rancor at U.S.," *The Washington Post*, 23 July 2004.
45. Michael Dobbs, "Arab Hostility toward U.S. Growing, Poll Finds," *The Washington Post*, 4 June 2003.
46. "Views of Changing World," *Pew Global Attitudes Project*, June 2003, <<http://www.people-press.org>>.
47. Abdel Mahdi Abdallah, "Causes of Anti-Americanism in the Arab World: A Socio-Political Perspective," *Middle East Review of International Affairs* 7, no. 4 (December 2003): 68.
48. Rami Khouri, "For Arabs, A Cruel Echo of History," *The Daily Star* (Beirut), 21 March 2003, <<http://www.dailystar.com.lb>>.
49. Charles Krauthammer, "Why It Deserves the Hype," *Time*, 14 February 2005, 80.
50. _____, "What's Left? Shame," *The Washington Post*, 18 March 2005.
51. Fouad Ajami, "Bush Country," *The Daily Star* (Beirut), 23 May 2005, <<http://www.dailystar.com.lb>>.
52. _____. "The Meaning of Lebanon," The Foundation for the Defense of Democracy, 1 May 2005, <<http://www.defenddemocracy.org>>.
53. Charles Krauthammer, "Syria and the New Axis of Evil," *The Washington Post*, 1 April 2005.
54. Elizabeth Cheney, "U.S. Supports Democracy in Every Nation, Culture," U.S. Department of State, 14 June 2005, <<http://usinfo.state.gov>>.

55. Neil MacFarquhar, "Syria Reaches Turning Point, But Which Way Will It Turn?" *The New York Times*, 12 March 2001.
56. David Barsamian, interview: Robert Fisk, *The Progressive*, June 2005, 42.
57. Joshua Mitchell, "Not All Yearn to Be Free," *The Washington Post*, 10 August 2003.
58. "Unprecedented Opportunity," The Center for Public Integrity, interview with Rami Khoury, 16 March 2005, <<http://www.publicintegrity.org>>.
59. Ibid.
60. Huntington, "The Clash of Civilizations," 209, 217.
61. Nicholas Kristof, "Bigotry in Islam and Here," *The New York Times*, 9 July 2002.
62. Franklin Graham, "My View of Islam," *Covenant News*, 9 December 2001, <<http://www.covenantnews.com>>.
63. "A Conservative Christian Group Sues the U.N.C. for Assigning a Book on Islam," *Democracy Now*, 8 August 2002, <<http://www.democracynow.org>>.
64. Ralph Peters, *Beyond Terror* (Mechanicsburg, PA: Stackpole Books, 2002), 6.
65. "Islam Is Violent," *Jesus-Is-Lord*, <<http://www.jesus-is-lord.com>>.
66. Alexander Kronemer, "Understanding Muhammad," *Christian Science Monitor*, 9 December 2002.
67. Nassir M. Al-Ajmi, "Heart to Heart Talk—A Friend to Friend Discussion," The Ladah Foundation, 23 October 2003, <<http://www.ladah.org>>.
68. "Not at War against Islam," *Bush on Muslims*, 5 January 2002, <<http://www.muslimsforbush.com>>.
69. "Islam Is Love," *Bush on Muslims*, 10 September 2002, <<http://www.muslimsforbush.com>>.
70. Ian Buruma, "Lost in Translation," *The New Yorker*, June 2004, 186.
71. Kristof, "Bigotry in Islam."

72. Emily Wax, "Jihad Is Taught as Struggle to Heal," *The Washington Post*, 23 September 2002.

73. Rodrique Ngawi, "Rwanda Turns to Islam after Genocide," *Times Daily*, 7 November 2002, <<http://www.timesdaily.com>>.

74. Kofi Annan, "Confronting Islamophobia: Education for Tolerance and Understanding," Address to the DPI Seminar, Document SG/SM/9637, 7 December 2004, <<http://www.un.org>>.

Chapter 13: Arabs and Muslims in the West

1. Ray Hanania, "Failure to Understand Arab-Muslim Issues Exposes Nation to Attacks," 11 March 2005, <<http://www.hananiacreators.blogspot.com>>.

2. "Census 2000: Portrait of the Nation," *The Washington Post*, 5 June 2002.

3. Ibid.

4. Genaro Armas, "Census Bureau Says People of Arab Descent Doing Well in the United States," *Detroit Free Press*, 9 March 2005.

5. Helen Samhan, "Arab Americans," Arab American Institute, 2001, <<http://www.aaiusa.org>>.

6. Mazin Qumsiyeh, "100 Years of Anti-Arab and Anti-Muslim Stereotyping," *The Prism*, Arab-American Anti-Discrimination Committee, January 1998, <<http://www.ibiblio.org/prism>>.

7. Hanania, "Failure to Understand."

8. "Healing the Nation: Arab American Response to September 11 Attacks," Arab American Institute, 2001, <<http://www.aaiusa.org>>.

9. Jonah Blank, "The Muslim Mainstream," *U.S. News and World Report*, 20 July 1998, 22.

10. D'Vera Cohn, "Statistics Portray Settled, Affluent Mideast Community," *The Washington Post*, 20 November 2001.

11. Abdul Malik Mujahid, "Muslims in America: Profile 2001," SoundVision.com, 2001, <<http://www.soundvision.com>>.

12. Ihsan Bagby, Paul Perl, and Bryan Froehle, "The Mosque in America: A National Portrait," Washington D.C.: Council on American Islamic Relations, 26 April 2001, <<http://www.cair-net.org>>.

13. Abdul Malik Mujahid, "Profile of Muslims in Canada," *Toronto Muslims.com*, 20 April 2004, <<http://www.torontomuslims.com>>.
14. "How Many Muslims Are in the U.S. and the Rest of the World?" Ontario Consultants on Religious Tolerance, 2002, <<http://www.religioustolerance.org>>.
15. Mike Barber, "Muslims in the U.S. Military Are as Loyal as Any, Chaplain Says," *Seattle Post-Intelligencer*, 20 October 2001.
16. John Zogby, "American Muslim Poll, November-December 2001," Washington DC: Zogby International, 2001, <<http://www.amperspective.com>>.
17. Virginia Culver, "Many American Muslims Well-Off, College Educated, Poll Shows," *The Denver Post*, 18 January 2002.
18. Jane Lampman, "Muslim in America," *Christian Science Monitor*, 10 January 2002.
19. Ibid.
20. M. A. Muqtedar Khan, "American Muslims Push for Role in Policy Planning," The Brookings Institution, *Daily Times*, 25 December 2004, <<http://www.brookings.edu>>.
21. Ross Douthat, "A Muslim Europe?" *The Atlantic Monthly*, January/February 2005, 58.
22. "Intolerance and Discrimination against Muslims in the EU: Developments since September 11," International Helsinki Federation for Human Rights, March 2005, <<http://www.ihf-hr.org>>, 11.
23. Tamer Abul Einein and Ahmed Al-Matboli, "Austrian Muslims Score Big in 2004," *American Muslim Perspective*, Islam Online, 4 January 2004, <<http://www.islamonline.net>>.
24. Douthat, "A Muslim Europe?"
25. Charles Bremmer, "Stoned to Death: Why Europe Is Starting to Lose Its Faith in Islam," *Times Online (UK)*, 4 April 2004, <<http://www.timesonline.co.uk>>.
26. Robin Shepherd, "In Europe, Is It a Matter of Fear or Loathing?" *The Washington Post*, 25 January 2004.
27. Keith Richberg, "French President Urges Ban on Headscarves," *The Washington Post*, 18 December 2003.

28. Alaa Bayoumi, "Integrating European Muslims: Europe's Fearful Bid," Islam Online, 17 March 2004, <<http://www.islamonline.net>>.
29. Tracy Wilkinson, "Promise of Mosque Unfulfilled in Athens," *The Washington Post*, 17 March 2004.
30. "Intolerance and Discrimination," 11–12.
31. "Muslim Communities in Eastern Europe and Baltic Countries," Islam Online, February 2005, <<http://www.islamonline.net>>.
32. Jeffrey Fleischman, "Minarets Rise in Germany," *Los Angeles Times*, 17 March 2004.
33. "France Pledges Protection for Mosques." Islam Online, 9 March 2004, <<http://www.islamonline.net>>.
34. Ridwaan Jawdat, "Islam Fastest Growing Faith in Australia," *Arab News*, 25 October 2004, <<http://www.arabnews.com>>.
35. Wilkinson, "Promise of Mosque."
36. Omer Taspinar, "Europe's Muslim Street," *Foreign Policy* 135, (March/April 2003): 77.
37. Jim Hoagland, "In Europe, The Enemy Within," *The Washington Post*, 26 February 2004.
38. Taspinar, "Europe's Muslim Street."
39. "EU Opens Debate on Economic Migration." EurActiv, 14 January 2005, <<http://www.euractiv.com>>.
40. Yvonne Haddad and Jane Smith, eds., *Muslim Minorities in the West: Visible and Invisible* (New York: Altamira Press, 2002), xii.
41. Shelley Slade, "The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll of American Attitudes," *Middle East Journal* 35, no. 2 (Spring 1981): 143.
42. Brian Whitaker, "Why the Rules of Racism Are Different for Arabs," *The Guardian* (UK), 18 August 2000.
43. Kerstin Grimsley, "More Arabs, Muslims Allege Bias on the Job," *The Washington Post*, 12 February 2001.
44. Alan Cooperman, "September 11 Backlash Murders and the State of Hate," *The Washington Post*, 20 January 2002.

45. Caryle Murphy, "Distrust of Muslims Common in U.S., Poll Finds," *The Washington Post*, 5 October 2004.
46. William J. Kole, "Hostility and Discrimination toward Muslims Widespread in EU," *Al-Jazeera*, 14 September 2004, <<http://www.aljazeera.info>>.
47. "EU Laments Growing Hostility to Muslims since 9/11," *EU Business*, 22 May 2003, <<http://www.eubusiness.com>>.
48. "Intolerance and Discrimination," 11–12.
49. Dina Ezzat, "Rewriting the Textbooks," *Al-Ahram Weekly*, 16–22 December 2004, <<http://www.weeklyahram.org.eg>>.
50. Fleischman, "Minarets Rise in Germany."
51. "Majority of Europeans Unhappy with Muslims," *Euro-Islam.Info*, World Affairs Board, December 2004, <<http://www.worldaffairsboard.com>>.
52. "A Year after Iraq War," The Pew Research Center, 16 March 2004, <<http://www.people-press.org>>.
53. Peter Ford, "What Place for God in Europe?" *Christian Science Monitor*, 22 February 2005, <<http://www.people-press.org>>.
54. Tariq Ramadan, *Western Muslims and the Future of Islam* (Oxford: Oxford University Press, 2004), 143.
55. _____, "Muslims in Italy," in *Muslims in the West: From Sojourners to Citizens*, edited by Yvonne Haddad (New York: Oxford University Press, 2002), 161.
56. Dominic Casciani, "Rise in Muslim Discrimination," *Community Affairs*, BBC News, 16 December 2004, <<http://www.bbc.co.uk>>.
57. Jan Jun, "U.K.: Report Says Britain's Muslims Most Underprivileged Religious Group," Muslim Public Affairs Committee U.K., 25 October 2004, <<http://www.forum.mpacuk.org>>.
58. Dominic Casciani, "Islamophobia Pervades UK—Report," *Community Affairs*, BBC News, 2 June 2004, <<http://www.news.bbc.co.uk>>.
59. Vertovec, Steven, and Ceri Peach, eds. "Introduction," in *Islam in Europe, The Politics of Religion and Community* (London: Macmillan, 1997), 3–47.

60. Ray Furlong, "Germans Argue over Integration," *BBC News*, 30 November 2004, <<http://www.bbc.co.uk>>.
61. "Anti-Muslim Bias Spreads in EU," *BBC News*, 7 March 2005, <<http://www.bbc.co.uk>>.
62. "Germans Have Negative View of Islam," *Expatica*, BUPA International, 16 September 2004, <<http://www.expatica.com>>.
63. "Study Shows What Germans Think about Islam," *Deutsche Welle* (Broadcaster), 27 July 2003, <<http://www.dw-world.de>>.
64. Christopher Caldwell, "Allah Mode: France's Islam Problem," *The Weekly Standard* 7, no. 42, (15 July 2002), <<http://www.weeklystandard.com>>.
65. "Anti-Muslim Bias."
66. Jocelyne Cesari, "Islam in France: The Shaping of a Religious Minority," in *Muslims in the West: From Sojourners to Citizens*, edited by Yvonne Haddad (New York: Oxford University Press, 2002), 39.
67. "Situation of Muslims in Denmark: A Major Part of LWF Inter-religious Study on Conflict," Lutheran World Federation, 11 December 2003, <<http://www.lutheranworld.org>>.
68. Mustafa Abdel-Halim, "Denmark Imposes Restrictions on Imams," *Islam Online*, 18 February 2004, <<http://www.islamonline.net>>.
69. "Denmark Rejects Headscarf Plea," *BBC News Europe*, 21 January 2005, <<http://www.news.bbc.co.uk>>.
70. Shada Islam, "The Plot Thickens: Testing European Tolerance," *Yale Global Online*, 17 November 2004, <<http://www.yaleglobal.yale.edu>>.
71. Dan Bilefsky, "In Netherlands, Some Muslims Work to Convince Voters Islam Is Tolerant," *The Wall Street Journal*, 23 May 2002.
72. Tom Carter, "Tolerance Tested in Holland," *Washington Times*, 20 December 2004.
73. Ibid.
74. Hadi Yahmid, "Belgium Recognizes Muslim Executive Body," *Islam Online*, 2003, <<http://www.islamonline.net>>.
75. "Belgium Bans Popular Racist Party," *Dhimmi Watch*, November 2004, <<http://www.jihadwatch.org/dhimmiwatch>>.

76. Al-Amin Andalusi, "Spanish Muslims Renew Anti-Terror Stand," Islam Online, 9 March 2005, <http://www.islamonline.net>.
77. "When the Voiceless Speak," *Al-Ahram Weekly*, 1-7 April 2005, <<http://www.ahram.org.eg>>.
78. Ibid.
79. Daniel Williams, "Immigrants Keep Islam-Italian Style," *The Washington Post*, 24 July 2004.
80. "News from Italy: Immigrazione Pera," *Euro-Islam.info*, 29 December 2004, <http://64.207.171.242/pages/news_italy.html>.
81. Abdal-Hakim Murad, "Muslims and the European Right," *The American Muslim*, September/October 2000, <<http://www.theamericanmuslim.org>>.
82. Jim Hoagland, "The Word in Paris," *The Washington Post*, 21 July 2002.
83. Jawdat, "Islam Fastest Growing Faith."
84. Hanan Dover, "Siege Mentality: Current Australian Muslim Response," Forum on Australia's Islamic Relations (FAIR), 2 November 2003, <<http://www.fair.org.au>>.
85. Jayne-Maree Sedgman, "Discrimination Isolates Muslim Australians," *ABC News Online*, 17 June 2004, <<http://www.abc.net.au>>.
86. Robert Spencer, "Death Knell of the West," *FrontPageMagazine.com*, 22 December 2004, <<http://www.frontpagemag.com>>.
87. Sarah Wildman, "Third Way Speaks to Europe's Young Muslims," *International Reporting Project*, Johns Hopkins University School of Advanced International Studies, Spring 2003, <<http://www.journalismfellowships.org>>.
88. Ramadan, "Western Muslims," 6.
89. Martin A. Lee, "Not a Prayer," *Harper's Magazine*, June 2004, 77.
90. Ibid., 79.
91. Jeff Chu and Nadia Mustafa, "Her Turn to Pray," *Time*, 28 March 2005, 49.

Chapter 14: The Arab Countries—Similarities and Differences

1. Suleiman Al-Khaledi, "Iraqi Economic Recovery Seen in 2005—World Bank," *Global Policy*, 2004, <<http://www.globalpolicy.org>>.
2. "Tasks and Challenges of the Reconstruction of Iraq," *Baghdad Economic Research Center*, Center for International Private Enterprise, 2001, <<http://www.cipe.org>>.
3. "Libya: Economy," *ExxUN*, 2003 <<http://www.exxun.com>>.
4. "Qatar is the Richest Arab Nation; Among Top 20 in the World," *Qatar National Bank*, 2004, <<http://www.qnb.com.qa>>.
5. Ibid.

The Maghrib

6. "Berber Languages," *Columbia Encyclopedia*, 6th ed. 2005, <www.bartleby.com>.
7. "Berber Languages," *Wikipedia*, 2004, <<http://www.en.wikipedia.org>>.

Morocco

1. Nabil Oumimoun, "Teaching Berber in the Moroccan Primary Schools," *Amazigh World*, 2004, <<http://www.amazighworld.net>>.
2. Sebastian Usher, "The Berber Language Is Being Taught in Moroccan Schools for the First Time on Monday," *BBC News World Edition*, 15 September 2003, <<http://www.bbc.co.uk>>.
3. Craig Whitlock, "Moroccans Gain Prominence in Terror Groups," *The Washington Post*, 14 October 2004.
4. Ibid.
5. Thomas Omestad, "The Casbah Connection," *U.S. News and World Report*, 9 May 2005, 24.
6. "Working Conditions in Morocco," CCC, Spanish Clean Clothes Campaign, 2003, <<http://www.cleanclothes.org>>.
7. Elizabeth Fernea, "Islamic Feminism Finds a Different Voice," *Foreign Service Journal* (30 May 2000): 30.

8. "Morocco: Country Reports on Human Rights Practices 2004," U.S. Department of State, 28 February 2005, <<http://www.state.gov>>.
9. "Morocco: Husbands and Wives Now Equal," *Cairo Times*, 26 January-11 February 2004, <<http://www.cairotimes.com>>.
10. Susan Sachs, "Where Muslim Traditions Meet Modernity," *The New York Times*, 17 December 2001.
11. David Lamb, "In a Region of Hate, Morocco is the Land of Harmony," *Los Angeles Times*, 25 October 1995.
12. "Historical Ties Leave Trying Legacy," *Christian Science Monitor*, 27 January 1993.
13. "Working Conditions in Morocco."

Algeria

1. Historical Ties Leave Trying Legacy," *Christian Science Monitor*, 27 January 1993.
2. Craig Smith, "Voices of the Dead Echo across Algeria," *The New York Times*, 18 April 2004.
3. "Algeria: Agri-Food Country Profile," *Agri-Food Trade Service* (Canada), July 2004, <<http://atnriae.agr.ca>>.
4. "Where the North Meets the South, the Pollution Charges Fly," *Christian Science Monitor*, 27 January 1993.
5. "Algeria Election: Reluctant Youth," *Arab-American Journal* (23 December 2004), <www.arabamerican.com>.
6. "Algeria: Agri-Food Country Profile."
7. Paul DeBendern, "Algeria to Press Ahead with Women's Rights Bill," *Jordan Times*, 16 September 2004, <<http://www.jordantimes.com>>.

Tunisia

1. "Tunisia," *World Report*, Human Rights Watch, 2004, <<http://www.hrw.org>>.
2. Kamel Labidi, "The Wrong Man to Promote Democracy," *Los Angeles Times*, 21 January 2004.
3. "Tunisia: Economy," Travel Document Systems, 2005, <<http://www.traveldocs.com>>.

4. "Tunisia: Education," Tunisia Online, 2001, <<http://www.tunisiaonline.com>>.
5. "Tunisia: Women and Civil Rights," Tunisia Online, 2002, <<http://www.tunisiaonline.com>>.
6. "Tunisia: International Religious Freedom Report 2003," Bureau of Democracy, Human Rights and Labor, U.S. Department of State, 18 December, 2003, <<http://www.state.gov>>.
7. Ibid.

Libya

1. J. A. Allen, *Libya: The Experience of Oil* (Boulder, CO: Westview Press, 1981), 22.
2. "Human Trafficking in Libya," *The Villager* 74, no. 34 (December/January 2004), <<http://www.thevillager.com>>.
3. Nick Clark, "Education in Libya," *World Education News and Reviews*, July/August 2004, <<http://www.wes.org>>.
4. "Libya: Economy," *CIA World Factbook* 2004, 2004, <<http://www.cia.gov>>.
5. Ibid.

Egypt

1. "Egypt," *Encarta Online Encyclopedia*, Microsoft Corp., 2005, <<http://www.encyarta.msn.com>>.
2. Paul Mitchell, "Egypt Reintroduces Food Vouchers as Poverty Worsens," *World Socialist Web Site*, 5 May 2004, <<http://www.wsws.org>>.
3. Sharon Waxman, "I Love You, Now Go Away," *The Washington Post*, 17 December 2001.
4. Lee Smith, "Egypt's Islamist Dilemma," *The Nation* 227, no. 18 (1 December 2003): 23.
5. Willow Wilson, "The Show-Me Sheikh," *The Atlantic Monthly*, July/August 2005, 40.
6. "Distribution of the Islamic Ruling on Smoking in 53,000 Mosques across Egypt," *Tobacco Free Initiative*, World Health Organization, 2005, <<http://www.enro.who.int>>.

7. Daniel Williams, "Egypt Reins in Opponents of Longtime Leader," *The Washington Post*, 2 January 2005.
8. _____, "Egyptian President Says He Will Push Multiparty Elections," *The Washington Post*, 26 February 2005.
9. Louise Sheldon, "Reflections on the Status of Women in Islam," *Baltimore Chronicle and Sentinel*, 2 June 2004, <<http://www.baltimorechronicle.com>>.
10. Brian Katulis, "Women's Rights in Focus: Egypt," Freedom House, The Communication Initiative, 19 October 2004, <<http://www.comminit.com>>.
11. Charles Levinson, "Egyptian Women See Divorce as Religious Right," Women's e-News, 9 January 2005, <<http://www.womensenews.org>>.

Sudan

1. "Sudan: Population," *Encyclopedia Britannica Online*, 13 February 2005, <<http://www.britannica.com>>.
2. Tessa Morrod, "Too Little: The Vicious Circle of Drought in North Darfur," Intermediate Technology Development Group (UK), October 2003, <<http://www.itdg.org>>.
3. Irving Greenburg and Jerome Shestack, "Carnage in Sudan," *The Washington Post*, 31 October 2000.
4. William Finnegan, "The Invisible War," *The New Yorker*, 25 January 1999, 71.
5. Colum Lynch, "U.N. Panel Finds No Genocide in Darfur but Urges Tribunals," *The Washington Post*, 1 February 2005.
6. Karl Vick, "Sudan, Newly Helpful, Remains Wary of U.S.," *The Washington Post*, 10 December 2001.
7. John Daniszewski, "A Ray of Hope in a War-Torn Sudan," *The New York Times*, 18 October 1997.

Lebanon

1. "Gender: Lebanon," POGAR, *Programme on Governance in the Arab Region*, U.N. Development Programme, 2004, <<http://www.pogar.org>>.

2. Will Rasmussem, "LIA Chief Eager to Dabble in the Bigger Picture," *The Daily Star* (Beirut), 6 February 2005, <<http://www.dailystar.com.lb>>.
3. "The Forgotten: Palestinian Refugees In Lebanon," Ockenden International (UK), 6 February 2005, <<http://www.ockenden.org.uk>>.
4. "Gender: Lebanon."
5. "New Polling Shows Deep Fractures among Lebanese," Zogby International, 7 March 2005, <<http://www.zogby.com>>.
6. Scott Wilson, "Rallies Highlight Rifts in Lebanon," *The Washington Post*, 15 March 2005.
7. Scott Wilson, "Religious Surge Alarms Secular Syrians," *The Washington Post*, 23 January 2005.

Syria

1. "Syria, International Religious Freedom Report 2004," Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, U.S. Department of State, 15 September 2004, <<http://www.state.gov>>.
2. "Syria," *Columbia Encyclopedia*, The Free Dictionary.com, 2005. <<http://columbia.thefreedictionary.com>>.
3. Scott Wilson, "Religious Surge Alarms Secular Syrians," *The Washington Post*, 23 January 2005.
4. Ibid.
5. Ibid.
6. David Hirst, "Syria's Unpredictable Storm," *Los Angeles Times*, 7 June 2005.
7. "Great Hopes Pinned on Syria's Women and Education Forum," *Aman Daily News* (Jordan), 2 February 2003, <<http://www.amanjordan.org>>.

Jordan

1. "Arab Democracy," *Outpost*, Americans for a Safe Israel, July/August 2003, <<http://www.afsi.org>>.
2. Kimberley Harrington, "Microfund for Women: Building a Better Future for Women in Jordan," *Jordan Times*, 7 December 2001.

3. Neil MacFarquhar, "Syria Reaches Turning Point, but Which Way Will it Turn?" *The New York Times*, 12 March 2001.
4. "Economy: Jordan," *CIA World Factbook 2004*, 2004, <<http://www.cia.gov>>.
5. Yusuf Mansur, "Combating Poverty in Jordan," *Aman Daily News*, 14 February 2004, <<http://www.amanjordan.org>>.
6. "Women in Parliament in the Arab World," Carnegie Endowment for International Peace, 2003, <<http://www.ceip.org>>.

Iraq

1. "Half Million Child Deaths 1991–1998, Global Policy Forum, United Nations, 2000, <<http://www.globalpolicy.org>>.
2. "Health Situation in Iraq," World Health Organization, United Nations, 2003, <<http://www.who.int>>.
3. "Iraq: Briefing Paper on Health," Office for Coordination of Humanitarian Affairs, United Nations, 18 May 2002, <<http://www.ochaonline.un.org>>.
4. John Pilger, "Squeezed to Death," *The Guardian* (UK), 4 March 2005, <<http://www.guardian.co.uk>>.
5. "Literacy," *CIA World Factbook 2004*, 2004, <<http://www.cia.gov>>.
6. "Iraqi Women and Children's Liberation Act of 2004," S 2519, *The Orator*, U.S. Congress, 15 June 2004, <<http://www.theorator.com>>.
7. "Background on Women's Status in Iraq Prior to the Fall of the Saddam Hussein Government," *Human Rights Watch Briefing Paper*, Human Rights Watch, November 2003, <<http://hrw.org>>.
8. Susan Jacoby, "Sharia: Iraq's Dark Cloud," *Los Angeles Times*, 21 March 2005.

Saudi Arabia

1. Scott Wilson, "Saudis Fight Militancy With Jobs," *The Washington Post*, 31 August 2004.
2. Divya Pakkiasamy, "Saudi Arabia's Plan for Changing Its Workforce," *Migration Policy Institute*, 1 November 2004, <<http://www.migrationinformation.org>>.

3. "Saudi Arabia's Foreign Workforce," *BBC News World Edition*, 13 May 2003, <<http://news.bbc.co.uk>>.
4. Muhammad Ibrahim Al-Helwa, "Creating Civil Society: An Insider's View," *Al-Sharq Al-Awsat* (London), 9 December 2003, <<http://www.asharqalawsat.com>>.
5. Catherine Taylor, "Fundamentals of Democracy," *The Australian*, 1 December 2003, <<http://www.theaustralian.news.com>>.
6. Al-Helwa, "Creating Civil Society."
7. "Saudi Arabia," *Country Analysis Briefs*, U.S. Department of Energy, January 2005, <<http://www.eia.doe.gov>>.
8. Ibid.
9. "Healthcare in Saudi Arabia," *Mediwales*, 25 May 2004, <<http://www.mediwales.com>>.
10. Hugh Pope, "For Saudi Women, Running a Business is a Veiled Initiative," *The Wall Street Journal*, 2 January 2002.
11. Farzaneh Roudi-Fahimi and Valentine M. Moghadam, "Empowering Women, Developing Society: Female Education in the Middle East and North Africa," Population Reference Bureau, November 2003, <<http://www.prb.org>>.
12. Ali A. Mosa, "Pressures in Saudi Arabia," Center for International Higher Education, Boston College, 2000, <<http://www.bc.edu>>.
13. Robert Kaiser, "Enormous Wealth Spilled into American Coffers," *The Washington Post*, 11 February 2002.
14. Helen Chapin Metz, ed., *Saudi Arabia: A Country Study*, 5th ed. (Washington, DC: Library of Congress Federal Research Division, 1993), 62.
15. "Saudi Arabia, International Religious Freedom Report 2004," Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, U.S. Department of State, 15 November 2004, <<http://www.state.gov>>.
16. "Shi'i [Shia] in Saudi Arabia," *Minorities at Risk Project*, Center for International Development and Conflict Management, University of Maryland, 15 July 2004, <<http://www.cidcm.umd.edu>>.
17. Scott Wilson, "Shiites See an Opening in Saudi Arabia," *The Washington Post*, 28 February 2005.

18. Saudi Arabia, "International Religious Freedom Report."
19. Marian Douglas, "U.S. Support of Saudi Arabia? Mideast, Oil, Terror," *The Guardian* (UK), 5 June 2004, <<http://www.guardian.co.uk>>.
20. Neil MacFarquhar, "Under Pressure to Change, Saudis Debate Their Future," *The New York Times*, 23 November 2003.
21. Subhi Hadidi, "Can Saudi Arabia Save Itself?" *Al-Quds Al-Arabi* (London), 28 November 2003, reprinted in *World Press Review*, February 2004, <<http://www.worldpress.org>>.
22. Craig Whitlock, "Saudis Confront Extremist Ideologies," *The Washington Post*, 6 February 2005.
23. Scott Wilson, "Saudi Men Cast Ballots in First Election Since '63," *The Washington Post*, 11 February 2005.
24. Mohamed Bazzi, "After a Period During Which Change Seemed Impossible, Saudi Family Tightens Grip," *Newsday*, 26 October 2004 <<http://www.newsday.com>>.
25. David Kaplan, "Of Bedouins and Bombings," *U.S. News and World Report*, 24 November 2004, 28.
26. Pope, "For Saudi Women."
27. "Saudi Arabia Ends Ban Limiting Female Employment," *U.N. Wire*, U.N. Foundation, 11 June 2004, <<http://www.unwire.org>>.
28. Pope, "For Saudi Women."
29. Wilson, "Saudi Men Cast Ballots."
30. Raid Qusti, "Our Female Problem," *The Washington Post*, 9 July 2002.
31. Kaplan, "Of Bedouins."

Yemen

1. Deborah Pugh, "Yemen's Remarkable Elections Are a First for Arabian Peninsula," *Christian Science Monitor*, 29 April 1993.
2. Karl Vick, "Yemen Walks Tightrope in Terrorism Stance," *The Washington Post*, 29 September 2001.
3. Ian Fisher, "Hate of the West Finds Fertile Soil in Yemen. But Does Al Qaeda?" *The New York Times*, 9 January 2003.

4. "Yemen: Economy," *CIA World Factbook 2004*, 10 February 2004, <<http://www.cia.gov>>.
5. "Yemen: Country Reports on Human Rights Practices 2003," Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor, U.S. Department of State, 25 February 2003, <<http://www.state.gov>>.
6. "Yemen Economy Reliance on Oil Deplored," UPI, Softcom, 7 December 2004, <<http://www.softcom.net>>.
7. Christopher Ward, "Yemen's Water Crisis," The British-Yemeni Society, July 2001, <<http://www.al-bab.com>>.
8. "Yemen: Economy."
9. "Yemen: Commitment to Education," *Human Development Indicators 2003*, Human Development Reports, UN Development Programme, 2003, <<http://hdr.undp.org>>.
10. "Democracy, Human Rights and Women's Issues," Embassy of the Republic of Yemen, Washington DC, 2004, <<http://www.yemenembassy.org>>.
11. T. I. Farag and A. S. Toughan, "1001 Nights in Old and Modern Yemen, Part 4," *The Ambassadors, Online Magazine* (Canada) 6, no. 1, January 2003, <<http://www.ambassadors.net>>.

Kuwait

1. "Kuwait," *Freedom in the World*, Freedom House, 2004, <<http://www.freedomhouse.org>>.
2. "Kuwait, Elections and Parliament," European Institute for Research on Mediterranean and Euro-Arab Cooperation (MEDEA), July 2003, <<http://www.medeas.com>>.
3. Peter Mansfield, *The New Arabians* (New York: Doubleday, 1981), 112.
4. "Water Quality," *Arab News*, 2002, <<http://www.arabnews.com>>.
5. "Kuwait Way of Life," Embassy of the State of Kuwait, 2000, <<http://www.Kuwait-embassy.or.jp>>.
6. Nirmala Janssen "7.3pc More Kuwaiti Women Join Workforce This Year," *Aman Daily News*, Aman News Center (Jordan), 18 August 2004, <<http://www.amanjordan.org>>.

7. Hassan M. Fattah, "Kuwait Grants Political Rights to Its Women," *The New York Times*, 17 May 2005.

Bahrain

1. "Background Note: Bahrain," Bureau of Near Eastern Affairs, U.S. Department of State, November 2004, <<http://www.state.gov>>.

2. "Bahrain Holds Elections, and Women Are Included," *The Washington Post*, 10 May 2002.

3. Nora Boustany, "In Bahrain Doubts about Reform," *The Washington Post*, 24 June 2005.

Qatar

1. "Islam by Country: Qatar," ReligionFacts, 2004, <<http://www.religionfacts.com>>.

2. "Qatar: Economy," *Encarta: Online Encyclopedia*, Microsoft Corp., 2005, <<http://www.encyarta.msn.com>>.

3. "Qatar: Country Profile," *Emerging Markets Series*, Oxford Business Group, 2005, <<http://www.oxfordbusinessgroup.com>>.

4. "Qatar," *International Religious Freedom Report 2004*, U.S. Department of State, 2004, <<http://www.state.gov>>.

5. "Arab Constitutions: Qatar," POGAR, Programme on Governance of the Arab Region, U.N. Development Programme, 2005 <<http://www.pogar.org>>.

6. Dilip Hiro, "Allah and Democracy Can Get Along Fine," *The New York Times*, 1 March 2005.

7. "Qatar: Country Profile."

8. "Nation and Citizens," The Qatar Foundation, Qatari Ministry of Foreign Affairs, 13 February 2005, <<http://english.mofa.gov.qa>>.

9. Hiro, "Allah and Democracy."

United Arab Emirates

1. "UAE Population Topped Four Million in 2003," *Middle East Online*, 13 April 2004, <<http://www.middle-east-online.com>>.

2. "Financial Management: United Arab Emirates," POGAR, Programme on Governance of the Arab Region, U.N. Development Programme, 2004, <<http://www.pogar.org>>.

3. Ibid.

4. "Universities," The Emirates Network, 2005, <<http://www.theemiratesnetwork.com>>.

5. Nadim Kawach, "UAE Citizens Emerge Top Spenders in Arab World," *Gulf News*, 2 February 2004, <<http://www.gulfnews.com>>.

Oman

1. "Oman: Population," *Infoplease*, 2004, <<http://www.infoplease.com>>.

2. John Daniszewski, "The Sultanate's Arabian Knight," *Los Angeles Times*, 15 December 1999.

3. "Oman's Leader Extends Voting Rights to All Adults," *The Washington Post*, 28 November 2002.

4. Arif Ali, "Oman's Appointment of Another Woman Minister Welcomed," *Al-Jazeera, Arab News*, 22 October 2004, <<http://www.arabnews.com>>.

Appendix: The Arabic Language

1. Jon Mandeville, "Impressions from a Writer's Notebook—At Home in Yemen," *Aramco World* 32, no. 3, May/June 1981:30.

المراجع

- "1999 Revision: Key Findings." *World Urbanization Prospects, World Global Trends*. 1999. <<http://www.t21.ca>>.
- "A Conservative Christian Group Sues the U.N.C. for Assigning Book on Islam." *Democracy Now*. 8 August 2002. <<http://www.democracynow.org>>.
- "A Year after Iraq War." The Pew Research Center. 16 March 2004. <<http://www.people-press.org>>.
- Abdallah, Abdel Mahdi. "Causes of Anti-Americanism in the Arab World: A Socio-Political Perspective." *Middle East Review of International Affairs* 7, no. 4. December 2003.
- Abdel-Halim, Mustafa. 2004. "Denmark Imposes Restrictions on Imams." *IslamOnline*. 18 February 2004. <<http://www.islamonline.net>>.
- Abul Einein, Tamer and Ahmed Al-Matboli. "Austrian Muslims Score Big in 2004." *American Muslim Perspective*, Islam Online. 4 January 2005. <<http://www.islamonline.net>>.
- Ajami, Fouad. "Bush Country." *The Daily Star* (Beirut), 23 May 2005. <<http://www.dailystar.com.lb>>.
- Ajami, Fouad. "The Meaning of Lebanon." The Foundation for the Defense of Democracy, 1 May 2005. <<http://www.defenddemocracy.com>>.

- Alam, M. Shahid. "The Clash Thesis: A Failing Ideology?" Common Dreams News Center. 2004. <<http://www.commondreams.org>>.
- Al-Ajmi, Nassir M. "Heart to Heart Talk—A Friend to Friend Discussion." The Ladah Foundation. 23 October 2003. <<http://www.ladah.org>>.
- Al-Attas, S.N., ed. *Aims and Objectives of Islamic Education*. Jeddah: King Abdulaziz University, 1979.
- Al-Ba'albaki, Munir. "English Words of Arabic Origin." In *Al-Mawrid, A Modern English-Arabic Dictionary*, 101–12. Beirut: Dar El-Ilm Lil-Malayan, 1982.
- Al-Helwa, Muhammad Ibrahim. "Creating Civil Society: An Insider's View." *Al-Sharq Al-Awsat* (London). 9 December 2003. <<http://www.asharqalawsat.com>>.
- Al-Khalidi, Sulaiman. "Iraqi Economic Recovery Seen in 2005," World Bank Global Policy. 6 December 2004. <<http://www.globalpolicy.org>>.
- Al-Krenawi, Alean. "Principles of Social Work Practice in the Muslim Arab World." *Arab Studies Quarterly* (Fall 2003).
- "Algeria: Agri-Food Country Profile." Agri-Food Trade Service (Canada). July 2004. <<http://atnriagr.ca>>.
- "Algeria Election: Reluctant Youth." *Arab-American Journal*. 23 December 2004. <<http://www.arabamerican.com>>.
- Ali, Arif. "Oman's Appointment of Another Woman Minister Welcomed." *Al-Jazeera, Arab News*. 22 October 2004. <<http://www.arabnews.com>>.
- Allaf, Rime. "Dangerous Delusions." *The Daily Star* (Beirut). 3 October 2001. In *World Press Review*, December 2001. <<http://www.worldpress.org>>.
- Allen, J. A. *Libya: The Experience of Oil*. Boulder, CO: Westview Press, 1981.
- Al-Tohami, Mahmoud. "The Reasons for the Enmity and Hatred." *Alam-al-Youm* (Egypt). In *World Press Review*. 1 September 2002. <<http://www.worldpress.org>>.
- Andalusi, Al-Amin. "Spanish Muslims Renew Anti-Terror Stand." Islam Online. 9 March 2005. <<http://www.islamonline.net>>.

- Annan, Kofi. "Confronting Islamophobia: Education for Tolerance and Understanding." *Address to the PDI Seminar*. Document SG/SM/9637. 7 December 2004. <<http://www.un.org>>.
- "Anti-Americanism: What's New, What's Next?" (quoting Ussama Makdisi). *World Economic Forum*. 2002. <<http://www.weforum.org>>.
- "Anti-Muslim Bias Spreads in EU." *BBC News*. 7 March 2005. <<http://www.bbc.co.uk>>.
- "Arab Constitutions: Qatar." POGAR, *Programme on Governance of the Arab Region*. U.N. Development Programme. 2005. <<http://www.pogar.org>>.
- "Arab Democracy." *Outpost*. July/August 2003. Americans for a Safe Israel. <<http://www.afsi.org>>.
- Arberry, A. J. *The Koran Interpreted*. New York: MacMillan, 1955.
- Armas, Genaro. "Census Bureau Says People of Arab Descent Doing Well in the United States." *Detroit Free Press*. 9 March 2005.
- Armstrong, Karen. *Muhammad, A Biography of a Prophet*. San Francisco: HarperSanFrancisco, 1992.
- Asim, Thabet. "The Muslim Science Wars: Modern Muslim Discussion on Science." *Muslims Under Progress* (UK). 2005. <<http://www.underprogress.blogs.com>>.
- Atiyeh, George N. *Arab and American Cultures*. Washington DC: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1977.
- "Background Note: Bahrain." *Bureau of Near Eastern Affairs*. U.S. Department of State. November 2004.
- "Background on Women's Status in Iraq Prior to the Fall of the Saddam Hussein Government." *Human Rights Watch Briefing Paper*. Human Rights Watch. November 2003. <<http://hrw.org>>.
- Bagby, Ihsan, Paul Perl, and Bryan Froehle. "The Mosque in America: A National Portrait." Washington, DC: Council of American Islamic Relations. 2001. <<http://www.cair-net.org>>.
- "Bahrain Holds Elections, and Women Are Included." *The Washington Post*. 10 May 2002.

- Bakar, Osman. *The History and Philosophy of Islamic Science*. Cambridge, England: Islamic Texts Society, 1999.
- Barakat, Halim. *The Arab World: Society, Culture, and the State*. Berkeley: University of California Press, 1993.
- Barber, Mike. "Muslims in the U.S. Military Are as Loyal as Any, Chaplain Says." *Seattle Post-Intelligencer*. 20 October 2001. <<http://www.seattlepi.newsource.com>>.
- Barsamian, David. "The Progressive Interview: Robert Fisk." *The Progressive*, 39–43. June 2005.
- Bashir, Abdul Wahab. "Scholars Define Terrorism, Call for Joint Action to Defend Islam." *Arab News*. 12 January 2002. <<http://www.arabnews.com>>.
- Bassoul, Joelle. "Iraqi Women Poised For Parliament." *The Monday Phenomenon*. 15 February 2005. <<http://www.iafrica.com>>.
- Bayoumi, Alaa. "Integrating European Muslims: Europe's Fearful Bid." *IslamOnline*. 17 March 2004. <<http://www.islamonline.net>>.
- Bazzi, Mohamed. "After a Period During Which Change Seemed Impossible, Saudi Family Tightens Grip." *Newsday*. 26 October 2004. <<http://www.newsday.com>>.
- "Belgium Bans Popular Racist Party." *Dhimmi Watch*. November 2004. <<http://www.jihadwatch.org/dhimmiwatch>>.
- Bell, Richard. *Introduction to the Qur'an*. Edinburgh: University Press, 1953.
- "Berber Languages." *Columbia Encyclopedia*. 6th ed. 2005. <<http://www.bartleby.com>>.
- "Berber Languages." *Wikipedia*. 2004. <<http://www.en.wikipedia.org>>.
- Bergstrom, Theodore. "On the Economics of Polygyny." *Centre on Economics Learning and Social Evolution (ELSE)*. 1994. <<http://www.netec.mcc.ac.uk>>.
- Bhutto, Benazir. "Politics and the Modern Woman." In *Liberal Islam, A Sourcebook*, edited by Charles Kurzman. New York: Oxford University Press, 1998.
- Bilefsky, Dan. "In Netherlands, Some Muslims Work to Convince Voters Islam Is Tolerant." *The Wall Street Journal*. 23 May 2002.

- Blank, Johan. "The Muslim Mainstream." *U.S. News and World Report*. 20 July 1998.
- Blythe, Gilbert P. "We Are All Jews Now." *The Last Ditch, WTM Enterprises*. 19 October 2003. <<http://www.thornwalker.com>>.
- Boehlert, Eric. "Terrorists under the Bed." *Salon.com*. 5 March 2002. <<http://www.salon.com>>.
- Boustany, Nora. "In Bahrain, Doubts about Reform." *The Washington Post*. 24 June 2005.
- Bowen, Donna Lee, and Evelyn A. Early, eds. *Everyday Life in the Muslim Middle East*. Bloomington: Indiana University Press, 1993.
- Brandon, James. "Koranic Duels Ease Terror." *Christian Science Monitor*. 4 February 2005.
- Bremmer, Charles. "Stoned to Death: Why Europe Is Starting to Lose Its Faith in Islam." *Times Online (UK)*. 4 April 2004. <<http://www.timesonline.co.uk>>.
- Bukay, David. "Islamic Fundamentalism and the Arabic Political Culture." *NATIV Online*, no. 3. April 2005. <<http://www.acpr.org.il/english-nativ/index.htm>>.
- Buruma, Ian. "Lost in Translation." *The New Yorker*. 184–191. 14–21 June 2004.
- Caldwell, Christopher. "Allah Mode: France's Islam Problem." *The Weekly Standard* vol. 7, no. 42. 15 July 2002. <<http://www.weekly-standard.com>>.
- Caldwell, Deborah. "'Something Major Is Happening': Are We Witnessing the Beginnings of an Islamic Reformation?" *Beliefnet*. December 2001. <<http://www.beliefnet.com>>.
- Carter, Tom. "Tolerance Tested in Holland." *The Washington Times*. 20 December 2004.
- Casciani, Dominic. "Rise in Muslim Discrimination." *Community Affairs, BBC News*. 16 December 2004. <<http://www.bbc.co.uk>>.
- _____. "Islamophobia Pervades UK—Report." *Community Affairs, BBC News*. 2 June 2004. <<http://www.news.bbc.co.uk>>.
- "Census 2000: Portrait of the Nation." *The Washington Post*. 5 June 2002.

- Cesari, Jocelyne. "Islam in France: The Shaping of a Religious Minority." *In Muslims in the West: From Sojourners to Citizens*, edited by Yvonne Haddad. New York: Oxford University Press, 2002.
- Cheney, Elizabeth. "U.S. Supports Democracy in Every Nation, Culture." U.S. Department of State. 14 June 2005. <<http://usinfo.state.gov>>.
- Choucair, Julia. "Dates of Women's Suffrage and Current Ministerial Positions Held By Women in Arab Countries." *Carnegie Endowment for International Peace, Human Development Report*. 2004. <<http://www.ceip.org>>.
- _____. "Women in Parliament in the Arab World." *Carnegie Endowment For International Peace*. 2004. <<http://www.ceip.org>>.
- Chu, Jeff, and Nadia Mustafa. "Her Turn to Pray." *Time*, 28 March 2005.
- "CIA Insider: The Threat We Refuse to Get." *The Washington Post*. 11 July 2004.
- Clark, Nick. "Education in Libya." *World Education News and Reviews*. July/August 2004. <<http://www.wes.org>>.
- Clayton, Mark. "How Are Mosques Fighting Terror?" *Christian Science Monitor*. 12 August 2004.
- Cohn, D'Vera. "Statistics Portray Settled, Affluent Mideast Community." *The Washington Post*. 20 November 2001.
- Collelo, Thomas, ed. *Syria: A Country Study*, 3d ed. Washington, DC: Department of the Army, 1988.
- "Complete Text of President Bush's National Address." *Globe and Mail* (Canada). 12 September 2002. <<http://www.theglobeandmail.com>>.
- Cooperman, Alan. "September 11 Backlash Murders and the State of Hate." *The Washington Post*. 20 January 2002.
- "Countries in Order of People Per Doctor." *World Development Indicators*. 2001. <<http://www.worldbank.org>>.
- Culver, Virginia. "Many American Muslims Well Off, College Educated, Poll Shows." *Denver Post*. 18 January 2002.

- "Current Religious Affairs Consultation Meeting, Final Communique." Higher Council of Religious Affairs. 18 May 2002. <<http://www.turkishpolicy.com>>.
- Daniszewski, John. "The Sultanate's Arabian Knight." *Los Angeles Times*. 15 December 1999.
- _____. "A Ray of Hope in a War-Torn Sudan." *The New York Times*. 18 October 1997.
- Dawood, Khaled. "Arab Opinions." *Al-Ahram Weekly*. 30 July 2004. <<http://www.ahram.org.eg>>.
- DeBendern, Paul. "Algeria to Press Ahead with Women's Rights Bill," *Jordan Times*. 16 September 2004. <<http://www.jordantimes.com>>.
- "Democracy, Human Rights and Women's Issues." Embassy of the Republic of Yemen, Washington DC. 2004. <<http://www.yemenembassy.org>>.
- "Denmark Rejects Headscarf Plea." *BBC News Europe*. 21 January 2005. <<http://www.bbc.co.uk>>.
- DeYoung, Karin. "Poll Finds Arabs Dislike U.S. Based on Policies It Pursues." *The Washington Post*. 7 October 2002.
- "Distribution of the Islamic Ruling on Smoking in 53,000 Mosques across Egypt." *Tobacco Free Initiative*, World Health Organization. 2005. <<http://www.enro.who.int>>.
- Djerejian, Edward (Chairman). "Changing Minds, Winning Peace." (Submitted to the Committee on Appropriations, U.S. House of Representatives). 1 October 2003.
- Dobbs, Michael. "Arab Hostility toward U.S. Growing, Poll Finds." *The Washington Post*. 4 June 2003.
- Donovan, Patricia. "'The Illegitimacy Bonus' and State Efforts to Reduce Out-of-Wedlock Births." *Family Planning Perspectives* 31, no. 2. March/April 1999. <<http://www.agi-usa.org>>.
- Douglas, Marian. "U.S. Support of Saudi Arabia? Mideast, Oil, Terror." *The Guardian (UK)*. 5 June 2004. <<http://www.guardian.co.uk>>.

- Douthat, Ross. "A Muslim Europe?" *The Atlantic Monthly*. January/February 2005.
- Dover, Hanan. "Siege Mentality: Current Australian Muslim Response." *Forum on Australia's Islamic Relations (FAIR)*. 2 November 2003. <<http://www.fair.org.au>>.
- "Economy: Jordan." *CIA World Factbook*. 2004. <<http://www.cia.gov>>.
- "Egypt." *Encarta Online Encyclopedia*, Microsoft Corp. 2005. <<http://www.encyarta.msn.com>>.
- Emerson, Steven. *American Jihad, The Terrorists Living Among Us*. New York: Free Press, 2002.
- "Enhancing Women's Political Participation Through Social Measures in the Arab Region." International IDEA. National Council for Women (Egypt). UN Development Programme. 2005. <<http://www.hdr.undp.org>>.
- "EU Laments Growing Hostility to Muslims since 9/11." *EU Business*. 22 May 2003. <<http://www.eubsiness.com>>.
- "EU Opens Debate on Economic Migration." *EurActiv*. 14 January 2005. <<http://www.euractiv.com>>.
- Ezzat, Dina. "Rewriting the Textbooks." *Al-Ahram Weekly*, 16–22 December 2004. <<http://www.weeklyahram.org.eg>>.
- _____. "Fortifying Women's Rights." *Al-Ahram Weekly*. 17–23 June 2004. <<http://www.weeklyahram.org.eg>>.
- Farag, T. I., and A. S. Toughan. "1001 Nights in Old and Modern Yemen, Part 4." *The Ambassadors, Online Magazine (Canada)* 6, no. 1. January 2003. <<http://www.ambassadors.net>>.
- "Fatima Urges Protection of Arab Family." *UAE Interact, Ministry of Information and Culture*. 1999. <<http://www.uaeinteract.com>>.
- Fattah, Hassan M. "Kuwait Grants Political Rights to Its Women." *The New York Times*. 17 May 2005.
- Ferne, Elizabeth. "Islamic Feminism Finds a Different Voice." *Foreign Service Journal*, 24–31. May 2000.
- "Financial Management: United Arab Emirates." POGAR, Programme on Governance of the Arab Region. U.N. Development Programme. 2004. <<http://www.pogar.org>>.

- Finnegan, William. "The Invisible War." *The New Yorker*. 25 January 1999.
- Fisher, Ian. "Hate of the West Finds Fertile Soil in Yemen. But Does Al Qaeda?" *The New York Times*. 9 January 2003.
- Fleischman, Jeffrey. "Minarets Rise in Germany." *Los Angeles Times*. 17 March 2004.
- Ford, Peter. "What Place for God in Europe?" *Christian Science Monitor*. 22 February 2005.
- "France Pledges Protection for Mosques." IslamOnline. 9 March 2004. <<http://www.islamonline.net>>.
- Fromkin, David. *A Peace to End All Peace*. New York: Henry Holt, 1989.
- Furlong, Ray. "Germans Argue over Integration." *BBC News*. 30 November 2004. <<http://www.bbc.co.uk>>.
- "Gender: Lebanon." POGAR, Programme on Governance in the Arab Region. UN Development Programme. 2004. <<http://www.pagar.org>>.
- "Germans Have Negative View of Islam." *BUPA International, Expatica*. 16 September 2004. <<http://www.expatica.com>>.
- Graham, Franklin. "My View of Islam." *Covenant News*. 9 December 2001. <<http://www.covenantnews.com>>.
- "Great Hopes Pinned on Syria's Women and Education Forum." *Aman Daily News (Jordan)*. 2 February 2003. <<http://www.amanjordan.org>>.
- Greenburg, Irving and Jerome Shestack. "Carnage in Sudan." *The Washington Post*. 31 October 2000.
- Grimsley, Kerstin. "More Arabs, Muslims Allege Bias on the Job." *The Washington Post*. 12 February 2001.
- "Growing Urbanization." *Human Development Report*. UN Development Programme. 1999. <<http://www.hdr.undp.org>>.
- Haddad, Yvonne, and Jane Smith, eds. "Introduction" in *Muslim Minorities in the West: Visible and Invisible*. New York: Altamira Press, 2002.
- Haddad, Yvonne, ed. *Muslims in the West, From Sojourners to Citizens*. New York: Oxford University Press, 2002.

- Hadidi, Subhi. "Can Saudi Arabia Save Itself?" *Al-Quds Al-Arabi* (London). 28 November 2003. Reprinted in *World Press Review*. February 2004. <<http://www.worldpress.org>>.
- "Half Million Child Deaths 1991–1998." Global Policy Forum. United Nations. 2000. <<http://www.globalpolicy.org>>.
- Hall, Edward T. *The Hidden Dimension*. New York: Doubleday, 1966.
- Hamady, Sania. *Temperament and Character of the Arabs*. New York: Twayne, 1960.
- Hamamy, Hanan. "Consanguineous Marriages in the Arab World." National Centre for Diabetes, Endocrinology and Genetics, Amman, Jordan. *The Ambassadors*. Online Magazine (Canada), 3, no. 7. July 2003. <<http://www.ambassadors.net>>.
- Hanania, Ray. "Failure to Understand Arab-Muslim Issues Exposes Nation To Attacks." 11 March 2005. <<http://www.hananiacreators.blogspot.com>>.
- Harrington, Kimberley. "Microfund for Women: Building a Better Future for Women in Jordan." *Jordan Times*. 7 December 2001.
- Hasan, Aida. "Arab Culture and Identity—Arab Food and Hospitality." Suite University Online. 1999. <<http://www.suite101.com>>.
- "Healing the Nation: Arab American Response to September 11 Attacks." Arab American Institute. 2001. <<http://www.aaiusa.org>>.
- "Health Situation in Iraq." World Health Organization, United Nations. 2003. <<http://www.who.int>>.
- "Healthcare in Saudi Arabia." *Mediwales*. 25 May 2004. <<http://www.mediwales.com>>.
- Hiro, Dilip. "Allah and Democracy Can Get Along Fine." *The New York Times*. 1 March 2005.
- Hirst, David. "Syria's Unpredictable Storm." *Los Angeles Times*. 7 June 2005.
- "Historical Ties Leave Trying Legacy." *Christian Science Monitor*. 27 January 1993.
- Hoagland, Jim. "The Unheralded Revolution." *The Washington Post*. 24 February 2005.
- _____. "In Europe, The Enemy Within." *The Washington Post*. 26 February 2004.

- _____. "The Word in Paris." *The Washington Post*. 21 July 2002.
- Holtzman, Michael. "Washington's Sour Sales Pitch." *The New York Times*. 4 October 2003.
- "How Many Muslims Are in the U.S. and the Rest of the World?" Ontario Consultants on Religious Tolerance. 2002. <<http://www.religioustolerance.org>>.
- "Hughes's Role to Be Outreach to Muslims." *The Washington Post*. 15 March 2005.
- "Human Trafficking in Libya." *The Villager* 74, no. 34. December/January 2004. <<http://www.thevillager.com>>.
- Huntington, Samuel P. "The Clash of Civilizations" *Foreign Affairs* 72, no. 3 (Summer 1993).
- _____. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*. New York: Simon and Schuster, 1996.
- "Internet Users Per 1,000 People." *Human Development Report 2004*. U.N. Development Programme. 2004. <<http://www.hdr.undp.org>>.
- "Intolerance and Discrimination against Muslims in the E.U.— Developments since September 11." International Helsinki Federation for Human Rights. March 2005. <<http://www.ihf-hr.org>>.
- "Iraq: Briefing Paper on Health." Office for Coordination of Humanitarian Affairs, United Nations. 18 May 2002. <<http://www.ochaonline.un.org>>.
- "Iraqi Women and Children's Liberation Act of 2004." S 2519, U.S. Congress. *The Orator*. 15 June 2004. <<http://www.theorator.com>>.
- "Islam by Country: Qatar." *ReligionFacts*. 2004. <<http://www.religionfacts.com>>.
- "Islam Is Love." *Bush on Muslims*. 5 January 2002. <<http://www.muslimsforbush.com>>.
- "Islam Is Violent." *Jesus Is Lord*. <<http://www.jesus-is-lord.com>>.
- "Islam, Jihad and Terrorism." Institute of Islamic Information and Education. 14 October 2004. <<http://www.iiie.net>>.

- Islam, Shada. "The Plot Thickens: Testing European Tolerance." *Yale Global Online*. 17 November 2004. <<http://www.yaleglobal.yale.edu>>.
- Jacoby, Susan. "Sharia: Iraq's Dark Cloud." *Los Angeles Times*. 21 March 2005.
- Janssen, Nirmla. "7.3pc More Kuwaiti Women Join Workforce This Year." Aman News Center. 18 August 2004. <<http://www.amanjordan.org>>.
- Jawdat, Ridwaan. "Islam Fastest Growing Faith in Australia." *Arab News*. 25 October 2004. <<http://www.arabnews.com>>.
- Johnson, Larry. "Commentary." *Seattle Post Intelligencer*, 20 June 2004. <<http://www.seattlepi.nwsource.com>>.
- Jun, Jan. "U.K.: Report Says Britain's Muslims Most Underprivileged Religious Group." Muslim Public Affairs Committee (U.K.). 25 October 2004. <<http://www.mpacuk.org>>.
- Kaiser, Robert. "Enormous Wealth Spilled into American Coffers." *The Washington Post*. 11 February 2002.
- Kaplan, David. "Of Bedouins and Bombings." *U.S. News and World Report*. 24 November 2004.
- Karmi, Ghada. *In Search of Fatima, A Palestinian Story*. London: Verso, 2002.
- Katulis, Brian. "Women's Rights in Focus: Egypt." Freedom House, The Communication Initiative. 19 October 2004. <<http://www.comminit.com>>.
- Kawach, Nadim. "UAE Citizens Emerge Top Spenders in Arab World." *Gulf News*. 2 February 2004. <<http://www.gulfnews.com>>.
- Kennicott, Philip. "An About-Face on America." *The Washington Post*. 24 August 2004.
- Khalidi, Rashid. *Resurrecting Empire: Western Footprints and America's Perilous Path in the Middle East*. Boston: Beacon Press, 2004.
- Khan, M. A. Muqtedar. "American Muslims Push for Role in Policy Planning." The Brookings Institution. *Daily Times*. 25 December 2004. <<http://www.brookings.edu>>.
- Kharoufi, Mostafa. "Urbanization and Urban Research in the Arab World." UNESCO. 1996. <<http://www.unesco.org>>.

- Khouri, Rami. "For Arabs, A Cruel Echo of History." *The Daily Star* (Beirut). 21 March 2003. <<http://www.dailystar.com.lb>>
- Kole, William J. "Hostility and Discrimination toward Muslims Widespread in EU." *Al-Jazeera*. 14 September 2004. <<http://www.aljazeera.info>>.
- Krauthammer, Charles. "Syria and the New Axis of Evil." *The Washington Post*. 1 April 2005.
- _____. "What's Left? Shame." *The Washington Post*. 18 March 2005.
- _____. "Why It Deserves The Hype." *Time*, 14 February 2005.
- Kristof, Nicholas. "Bigotry in Islam and Here." *The New York Times*. 9 July 2002.
- Kronemer, Alexander. "Understanding Muhammad." *Christian Science Monitor*. 9 December 2002.
- "Kuwait." *Freedom in the World*. Freedom House. 2004. <<http://www.freedomhouse.org>>.
- "Kuwait, Elections and Parliament." European Institute for Research on Mediterranean and Euro-Arab Cooperation (MEDEA). July 2003. <<http://www.mede.com>>.
- "Kuwait Way of Life." Embassy of the State of Kuwait. 2000. <<http://www.Kuwait-embassy.or.jp>>.
- Labidi, Kamel. "The Wrong Man to Promote Democracy." *Los Angeles Times*. 21 January 2004.
- Lamb, David. "In a Region of Hate, Morocco is the Land of Harmony." *Los Angeles Times*. 25 October 1995.
- Lampman, Jane. "Muslim in America." *Christian Science Monitor*, 10 January 2002.
- Lawrence, T. E. *The Seven Pillars of Wisdom*. New York: Doubleday, 1926.
- Levinson, Charles. "Egyptian Women See Divorce as Religious Right." *Women's e-News*. 9 January 2005. <<http://www.womensenews.org>>.
- Lewis, Bernard. "Targeted by a History of Hatred." *The Washington Post*. 10 September 2002.

- _____. "The Roots of Muslim Rage." *The Atlantic Monthly* 266, no. 3. September 1990.
- "Libya: Economy." *CIA World Factbook 2004*. 2004. <<http://www.cia.gov>>.
- "Libya: Economy." *ExxUN*. 2003. <<http://www.exxun.com>>.
- Lippman, Thomas. *Understanding Islam, An Introduction to the Muslim World*. New York: Penguin Books, 1990.
- Linzer, Dafna. "Poll Shows Growing Arab Rancor at U.S." *The Washington Post*. 23 July 2004.
- Lynch, Colum. "Report Urges Arab Governments to Share Power." *The Washington Post*. 6 April 2005.
- _____. "U.N. Panel Finds No Genocide in Darfur but Urges Tribunals." *The Washington Post*. 1 February 2005.
- MacFarquhar, Neil. "Under Pressure to Change, Saudis Debate Their Future." *The New York Times*. 23 November 2003.
- _____. "Syria Reaches Turning Point, But Which Way Will It Turn?" *The New York Times*. 12 March 2001.
- "Majority of Europeans Unhappy with Muslims." Euro-Islam.Info, World Affairs Board. December 2004. <<http://www.worldaffairsboard.com>>.
- Makdisi, Ussama. "Anti-Americanism in the Arab World: An Interpretation of a Brief History." *Journal of American History* 89, no. 2. September 2002.
- Mandeville, Jon. "Impressions from a Writer's Notebook—At Home in Yemen." *Aramco World*, 32, no. 3. May/June 1981.
- Mansfield, Peter. *The New Arabians*. New York: Doubleday, 1981.
- Mansur, Yusuf. "Combating Poverty in Jordan." *Aman Daily News*. 14 February 2004. <<http://www.amanjordan.org>>.
- Martin, Lee A. "Not a Prayer." *Harper's Magazine*, 77–79. June 2004.
- McCain, John. "The Road to Baghdad." *Time*, 9 September 2002.
- McConnell, Scott. "Why Many Arabs Hate America." Media Monitors Network. 12 September 2001. <<http://www.mediamonitors.net>>
- McGrory, Mary. "Nuancing the Mideast Dilemma." *The Washington Post*. 14 April 2002.

- McLoughlin, Leslie J. *Colloquial Arabic (Levantine)*. London: Routledge and Kegan Paul, 1982.
- Merle, Renae. "Pentagon Funds Diplomacy Effort." *The Washington Post*. 11 June 2000.
- Metz, Helen Chapin, ed. *Saudi Arabia: A Country Study*. 5th ed. Washington, DC: Library of Congress Federal Research Division, 1993.
- "Middle East and North Africa, 2001." *Europa*, European Union. 2001. <<http://www.europa.edu.int>>.
- "Middle East Population Set to Double." *Popline*, Population Institute. 25 April 2005. <<http://www.populationinstitute.org>>.
- Mitchell, Joshua. "Not all Yearn to Be Free." *The Washington Post*. 10 August 2003.
- Mitchell, Paul. "Egypt Reintroduces Food Vouchers as Poverty Worsens." *World Socialist Web Site*. 5 May 2004. <<http://www.wsws.org>>.
- "Morocco: Country Reports on Human Rights Practices 2004." U.S. Department of State. 28 February 2005. <<http://www.state.gov>>.
- "Morocco: Husbands and Wives Now Equal." *Cairo Times*. 26 January-11 February 2004. <<http://www.cairotimes.com>>.
- Morrod, Tessa. "Too Little: The Vicious Circle of Drought in North Darfur." Intermediate Technology Development Group (UK). October 2003. <<http://www.itdg.org>>.
- Mosa, Ali A. "Pressures in Saudi Arabia." Center for International Higher Education, Boston College. 2000. <<http://www.bc.edu>>.
- Mousalli, Ahmad S. *Moderate and Radical Islamic Fundamentalism*. Gainesville: University Press of Florida, 1999.
- Mujahid, Abdul Malik. "Profile of Muslims in Canada." *TorontoMuslims.com*. 20 April 2004. <<http://www.torontomuslims.com>>.
- _____. "Muslims in America: Profile 2001." *Soundvision.com*. 2001. <<http://www.soundvision.com>>.
- Murad, Abdal-Hakim. "Muslims and the European Right." *The American Muslim*. September/October 2000. <<http://www.theamericanmuslim.org>>.
- Murphy, Caryle. "Distrust of Muslims Common in the U.S., Poll Finds." *The Washington Post*. 5 October 2004.

- “Muslim Communities in Eastern Europe and Baltic Countries.” IslamOnline. February 2005. <<http://www.islamonline.net>>.
- “Nation and Citizens.” *The Qatar Foundation*. Qatari Ministry of Foreign Affairs. 13 February 2005. <<http://english.mofa.gov.qa>>.
- “New Polling Shows Deep Fractures among Lebanese.” *Zogby International*. 7 March 2005. <<http://www.zogby.com>>.
- “News From Italy: Immigrazione Pera.” *Euro-Islam.info*. 29 December 2004. <<http://64.207.171.242/pages/newsitaly.html>>.
- Ngawi, Rodrique. “Rwanda Turns to Islam after Genocide.” *Times Daily*. 7 November 2002. <<http://www.timesdaily.com>>.
- “Not at War against Islam.” Bush on Muslims. 5 January 2002. <<http://www.muslimsforbush.com>>.
- “Oman: Population.” Infoplease. 2004. <<http://www.infoplease.com>>.
- “Oman’s Leader Extends Voting Rights to All Adults.” *The Washington Post*. 28 November 2002.
- Omestad, Thomas. “The Casbah Connection.” *U.S. News and World Report*. 9 May 2005.
- Ottaway, Marina. “Listen to Arab Voices.” *The Washington Post*. 5 April 2005.
- Oumimoun, Nabil. “Teaching Berber in the Moroccan Primary Schools.” *Amazigh World* 2004. <<http://www.amazighworld.net>>.
- Pakkiasamy, Divya. “Saudi Arabia’s Plan for Changing Its Workforce.” Migration Policy Institute. 1 November 2004. <<http://www.migrationinformation.org>>.
- Patai, Raphael. *The Arab Mind*. 1973. Reprint, Long Island, NY: The Hatherleigh Press, 2002.
- “Literacy.” *CIA World Factbook 2004*. 2004. <<http://www.cia.gov>>.
- Peters, Ralph. *Beyond Terror*. Mechanicsburg, PA: Stackpole Books, 2002.
- “Physicians per 1000 Population.” *Commitment to Health, Human Development Report*. U.N. Development Programme. 2004. <<http://www.hdr.undp.org/reports/global/2004>>.
- Pilger, John. “Squeezed to Death.” *The Guardian (UK)*. 4 March 2005. <<http://www.guardian.co.uk>>.

- Pipes, Daniel. *Militant Islam Reaches America*. New York: W.W. Norton & Co, 2003.
- "Polygyny." *Institute of Cultural Social Studies*. Leiden University, Netherlands. 10 March 2005. <<http://www.eolss.net>>.
- Pope, Hugh. "For Saudi Women, Running a Business Is a Veiled Initiative." *The Wall Street Journal*. 2 January 2002.
- "Population Growth." *Human Development Report*. U.N. Development Programme. 2005. <<http://www.hdr.undp.org>>.
- "Primary School-Age Population." *Global Education Database*, U.S. Agency for International Development. Center for Development Information and Evaluation. 2001. <<http://esdb.cdie.org>>.
- Pugh, Deborah. "Yemen's Remarkable Elections Are a First for Arabian Peninsula." *Christian Science Monitor*. 29 April 1993.
- "Qatar." *International Religious Freedom Report 2004*. U.S. Department of State. 2004. <<http://www.state.gov>>.
- "Qatar: Country Profile." *Emerging Markets Series*. Oxford Business Group. 2005. <<http://www.oxfordbusinessgroup.com>>.
- "Qatar: Economy." *Encarta: Online Encyclopedia*. Microsoft Corp. 2005. <<http://www.encyarta.msn.com>>.
- "Qatar is the Richest Arab Nation, Among Top 20 in the World." *Qatar National Bank*. 2004. <<http://www.qnb.com.qa>>.
- Qumsiyeh, Mazin. "100 Years of Anti-Arab and Anti-Muslim Stereotyping." *The Prism*, The American-Arab Anti-Discrimination Committee. January 1998. <<http://www.ibiblio.org/prism>>.
- "Quotation of the Day." *New York Times*. 13 April 2005.
- Qusti, Raid. "Our Female Problem." *The Washington Post*. 9 July 2002.
- Ramadan, Tariq. *Western Muslims and the Future of Islam*. Oxford: Oxford University Press, 2004.
- _____. "Muslims in Italy." In *Muslims in the West: From Sojourners to Citizens*, edited by Yvonne Haddad, 158–166. New York: Oxford University Press, 2002.
- Rasmussem, Will. "LIA Chief Eager to Dabble an the Bigger Picture." *The Daily Star* (Beirut). 6 February 2005. <<http://www.dailystar.com.lb>>.

- Rauf, Imam Faisal. *What's Right with Islam*. New York: Harper's San Francisco, 2004.
- "Report Instances of Extremism or Support of Terrorism." Free Muslims Against Terrorism. 2005. <<http://www.freemuslims.org>>.
- Richberg, Keith. "French President Urges Ban on Headscarves." *The Washington Post*. 17 March 2003.
- Richman, Sheldon. "Another Frankenstein's Monster." Commentaries, *The Future of the Freedom Foundation*. 27 December 2002. <<http://www.fff.org/comment>>.
- Roudi-Fahimi, Farazneh, and Valentine M. Moghadam. "Empowering Women, Developing Society: Female Education in the Middle East and North Africa." *Population Reference Bureau*. November 2003. <<http://www.prg.org>>.
- Rubin, Barry. "The Real Roots of Arab Anti-Americanism." *Foreign Affairs*, (November/December 2002): 73-85.
- Rumsfeld, Donald. "Rumsfeld on Message of 9-11." *International Broadcasting Bureau*, U.S. Government. 11 September 2002. <www.ibb.gov>.
- Sachs, Susan. "Where Muslim Traditions Meet Modernity." *The New York Times*. 17 December 2001.
- Saloojie, Riad. "The Nature of Islam." *The Globe and Mail* (Canada). 16 January 2000.
- Samhan, Helen. "Arab Americans." Arab American Institute. 2001. <<http://www.aaiusa.org>>.
- Sardar, Ziauddin. *Introducing Muhammad*. New York: Totem Books, 1994.
- "Saudi Arabia." *Country Analysis Briefs*. U.S. Department of Energy. January 2005. <<http://www.eia.doe.gov>>.
- "Saudi Arabia: Education." *MapZones*. 2002. <<http://www.mapzones.com>>.
- "Saudi Arabia, International Religious Freedom Report 2004." Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor. U.S. Department of State. November 15 2004. <<http://www.state.gov>>.
- "Saudi Arabia: Population, Health and Well-Being." *EarthTrends* 2002. <<http://www.earthtrends.wri.org>>.

- “Saudi Arabia Ends Ban Limiting Female Employment.” *U.N. Wire*. U.N. Foundation. 11 June 2004. <<http://www.unwire.org>>.
- “Saudi Arabia’s Foreign Workforce.” *BBC News World Edition*. 13 May 2003. <<http://news.bbc.co.uk>>.
- Schell, Jonathan. “Iraq’s Unpredictable Politics.” *The Nation*. 11 February 2005. <<http://www.thenation.com>>.
- Sedgman, Jayne-Maree. “Discrimination Isolates Muslim Australians.” *ABC News Online*. 17 June 2004. <<http://www.abc.net.au>>.
- Shadid, Anthony. “Hussein’s Baghdad Falls.” *The Washington Post*. 10 April 2003.
- _____. “Old Arab Friends Turn away from U.S.” *The Washington Post*. 26 February 2003.
- Sharabi, Hisham, and Mukhtar Ani. “Impact of Class and Culture on Social Behavior: the Feudal-Bourgeois Family in Arab Society.” In *Psychological Dimensions of Near Eastern Studies*, edited by L. Carl Brown and Norman Itzkowitz. Princeton: Darwin Press, 1977.
- Sheldon, Louise. “Reflections on the Status of Women in Islam.” *Baltimore Chronicle and Sentinel*. 2 June 2004. <<http://www.baltimorechronicle.com>>.
- Shepherd, Robin. “In Europe, Is it a Matter of Fear, or Loathing?” *The Washington Post*. 25 January 2004.
- Sheridan, Mary Beth. “Sensitizing Police toward Muslims.” *The Washington Post*. 6 October 2003.
- “Shi’i [Shia] in Saudi Arabia.” *Minorities at Risk Project*. Center for International Development and Conflict Management. University of Maryland. 15 July 2004. <<http://www.cidcm.umd.edu>>.
- Shipler, David K. *Arab and Jew, Wounded Spirits in a Promised Land*. New York: Penguin Books, 1986.
- Simmons, Erica. “A Passion for Justice.” *New Internationalist*, no. 210. 9 August 1990.
- “Situation of Muslims in Denmark a Major Part of LWF Inter-religious Study on Conflict.” *Lutheran World Federation*. 11 December 2003. <<http://www.lutheranworld.org>>.

- Slade, Shelley. "The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll of American Attitudes." *Middle East Journal* 35, no. 2. Spring 1981.
- Smith, Craig. "Voices of the Dead Echo Across Algeria." *The New York Times*. 18 April 2004.
- Smith, Lee. "Democracy Inaction: Understanding Arab Anti-Americanism." *Slate*. 23 April 2004. <<http://www.slate.msn.com>>.
- _____. "Egypt's Islamist Dilemma." *The Nation*, 227, no. 18. 1 December 2003.
- "Spanish Muslims Issue Fatwa against Usama." *U.S. and World, Fox News.com*. 11 March 2005. <<http://www.foxnews.com>>.
- Spencer, Robert. "Death Knell of the West." *FrontPageMagazine.com*. 22 December 2004. <<http://www.frontpagemag.com>>
- Spinner, Jackie. "An Attack Burns Anguish into Kurdish Region." *The Washington Post*. 6 February 2005.
- Stack, Megan. "The Many Layers of the Veil." *Los Angeles Times*. 12 January 2005.
- "Statistics and Indicators on Men and Women." U.N. Statistics Division, Demographic. 2005. <<http://www.unstats.un.org>>.
- Steele, Jonathan. "Terrorism Is Not an Enemy State That Can Be Defeated." *The Guardian (UK)*. 23 November 2003.
- Stewart, Desmond. *The Arab World*. New York: Time Life Books, 1972.
- "Study Shows What Germans Think about Islam." *Deutsche Welle (Broadcaster)*. 27 July 2003. <<http://www.dw-world.de>>.
- "Sudan: Population." *Encyclopedia Britannica Online*. 13 February 2005. <<http://www.britannica.com>>.
- "Syria." *Columbia Encyclopedia, The Free Dictionary.com*. 2005. <<http://columbia.thefreedictionary.com>>.
- "Syria, International Religious Freedom Report 2004." Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor. U.S. Department of State. 15 September 2004. <<http://www.state.gov>>.
- Taspinar, Omer. "Europe's Muslim Street." *Foreign Policy* 135. March/April 2003.

- "Tasks and Challenges of the Reconstruction of Iraq." Baghdad Economic Research Center. Center for International Private Enterprise. 2001. <<http://www.cipe.org>>.
- Taylor, Catherine. "Fundamentals of Democracy." *The Australian*. 1 December 2003. <<http://www.theaustralian.news.com>>.
- Telhami, Shibley. *The Stakes*. Boulder, CO: Westview Press, 2002.
- "Tertiary Gross Enrollment Ration." *Global Education Database*. U.S. Agency for International Development, Center for Development Information and Evaluation. 2002. <<http://esdb.cdie.org>>.
- "The Business Outlook for Arab Women." *AME Info Middle East Finance and Economy*. 6 October 2003. <<http://www.ameinfo.com>>.
- "The Forgotten: Palestinian Refugees in Lebanon." Ockenden International (UK). 6 February 2005. <<http://www.ockenden.org.uk>>.
- "The World's Women 2004, Trends and Statistics." U.N. Statistics Division, Demographic. 2004. <<http://www.unstats.un.org>>.
- "Total Secondary Enrollment." *Global Education Database*. U.S. Agency for International Development, Center for Development Information and Evaluation. 2001. <<http://esdb.cdie.org>>.
- "Tunisia." *World Report*, Human Rights Watch. 2004. <<http://www.hrw.org>>.
- "Tunisia: Economy." Travel Document Systems. 2005. <<http://www.traveldocs.com>>.
- "Tunisia: Education." Tunisia Online. 2001. <<http://www.tunisiaonline.com>>.
- "Tunisia: International Religious Freedom Report 2003." Bureau of Democracy, Human Rights and Labor. U.S. Department of State. 18 December 2003. <<http://www.state.gov>>.
- "Tunisia: Women and Civil Rights." Tunisia Online. 2001. <<http://www.tunisiaonline.com>>.
- "UAE Population Topped Four Million in 2003." Middle East Online. 2004. <<http://www.middle-east-online.com>>.
- "Universities." *The Emirates Network*. 2005. <<http://www.theemirates-network.com>>.

- "UN Report: Most Arab Youth Want to Emigrate to Europe, U.S." *World Tribune.com*. 21 July 2002. <<http://www.worldtribune.com>>.
- "Unprecedented Opportunity." The Center for Public Integrity. Interview with Rami Khoury. 16 March 2005. <<http://www.publicintegrity.org>>.
- Usher, Sebastian. "The Berber Language Is Being Taught in Moroccan Schools for the First Time on Monday." *BBC News World Edition*. 15 September 2003. <<http://www.bbc.co.uk>>.
- Vertovec, Steven, and Ceri Peach. "Introduction" in *Islam in Europe, The Politics of Religion and Community*. London: Macmillan, 1997.
- "Views of a Changing World." *Pew Global Attitudes Project*. June 2003. <<http://www.people-press.org>>.
- Vick, Karl. "Sudan, Newly Helpful, Remains Wary of U.S." *The Washington Post*. 10 December 2001.
- _____. "Yemen Walks Tightrope in Terrorism Stance." *The Washington Post*. 29 September 2001.
- Ward, Christopher. "Yemen's Water Crisis." *The British-Yemeni Society*. July 2001. <<http://www.al-bab.com>>.
- "Water Quality." *Arab News*. 2002. <<http://www.arabnews.com>>.
- Wax, Emily. "Jihad Is Taught as Struggle to Heal." *The Washington Post*. 23 September 2002.
- Waxman, Sharon. "I Love You, Now Go Away" (quoting Farouk Hosny, Egyptian Minister of Culture). *The Washington Post*. 17 December 2001.
- "When the Voiceless Speak." *Al-Ahram Weekly*. 1-7 April 2005. <<http://www.weeklyahram.org.eg>>.
- "Where the North Meets the South, the Pollution Charges Fly." *The Christian Science Monitor*. 27 January 1993.
- Whitaker, Brian. "Why the Rules of Racism Are Different for Arabs." *The Guardian (UK)*. 18 August 2000. <<http://www.guardian.co.uk>>.
- Whitlock, Craig. "Saudis Confront Extremist Ideologies." *The Washington Post*. 6 February 2005.

- _____. "Moroccans Gain Prominence in Terror Groups." *The Washington Post*. 14 October 2004.
- "Why the Islamic World Has Such Hate for the U.S." *Hardball with Chris Matthews*, MSNBC. 19 October 2001. <<http://www.msnbc.msn.com>>.
- Wildman, Sarah. "Third Way Speaks to Europe's Young Muslims." *International Reporting Project*. Johns Hopkins University School of Advanced International Studies. Spring 2003. <<http://www.journalismfellowships.org>>.
- Wilkinson, Tracy. "Promise of Mosque Unfulfilled in Athens." *The Washington Post*. 17 March 2004.
- Williams, Daniel. "Egypt Reins in Opponents of Longtime Leader." *The Washington Post*. 2 January 2005.
- _____. "Egyptian President Says He Will Push Multiparty Elections." *The Washington Post*. 26 February 2005.
- _____. "Immigrants Keep Islam—Italian Style." *The Washington Post*. 24 July 2004.
- _____. "Unveiling Islam: Author Challenges Orthodox Precepts." *The Washington Post*. 7 March 2005.
- Williams, Peter. "Fighting Through Listening." *Al-Ahram Weekly*. 8–14 April 2004. <<http://weeklyahram.org.eg>>.
- Willis, David K. "The Impact of Islam." *Christian Science Monitor, Weekly International Edition*. 18–24 August 1984.
- Wilson, Scott. "Rallies Highlight Rifts in Lebanon." *The Washington Post*. 15 March 2005.
- _____. "Religious Surge Alarms Secular Syrians." *The Washington Post*. 23 January 2005.
- _____. "Saudi Men Cast Ballots in First Election Since '63." *The Washington Post*. 11 February 2005.
- _____. "Shiites See an Opening in Saudi Arabia." *The Washington Post*. 28 February 2005.
- _____. "Saudis Fight Militancy With Jobs." *The Washington Post*. 31 August 2004.

- Wilson, Willow. "The Show-Me Sheikh." *The Atlantic Monthly*, 40-44 July/August 2005.
- "Women in Parliament in the Arab World." Carnegie Endowment for International Peace. 2003. <<http://www.ceip.org>>.
- "Working Conditions in Morocco." CCC, Spanish Clean Clothes Campaign. 2003. <<http://www.cleanclothes.org>>.
- "Worldwide Suicide Rates." Suicide and Mental Health Association International. February 2005. <<http://www.suicideandmental-healthassociationinternational.org>>.
- Wright, Robin. "In Mideast, Shiites May Be Unlikely U.S. Allies." *The Washington Post*. 16 March 2005.
- _____. "U.S. Struggles to Win Hearts, Minds in the Muslim World." *The Washington Post*. 20 August 2004.
- Yahmid, Hadi. "Belgium Recognizes Muslim Executive Body." Islam Online. 2003. <<http://www.islamonline.net>>.
- "Yemen: Commitment to Education." *Human Development Indicators. Human Development Reports*. U.N. Development Programme. 2003. <<http://www.hdr.undp.org>>.
- "Yemen: Country Reports on Human Rights Practices 2003." Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor. U.S. Department of State. 25 February 2003. <<http://www.state.gov>>.
- "Yemen: Economy." *CIA World Factbook 2004*. 10 February 2004. <<http://www.state.gov>>.
- "Yemen Economy Reliance on Oil Deplored." *UPI, Softcom*. 7 December 2004. <<http://www.softcom.net>>.
- Zogby, James J. *What Arabs Think*. Washington, DC: Zogby International, 2002.
- Zogby, John. "American Muslim Poll, November-December 2001." Zogby International. 2001. <<http://www.amperspective.com>>.